الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨

الصحافة
والأقلام المسمومة



أنور الجندي

الصحافة
والأقلام المسمومة

دار الاعتصام

مدخل إلى البحث

صحافة النكسة [1]

الكلام هنا عن الصحافة العربية بعامة فى كل الوطن العربى (لا صحافة قطر بعينه) فى مرحلة جد خطيرة هى مرحلة الهزيمة والنكبة والنكسة ، وهى المرحلة التى بدأت عام ١٩٤٨ تقريباً بقيام رأس جسر للصهيونية فى فلسطين ، إلى ما يطلق عليه النكسة عام ١٩٦٧ وهو العام الذى سيطرت فيه قوى العدو الصهيونى على القدس .

إن خطورة هذه المرحلة على التاريخ الإسلامى العربى لا يوازيها جسامة ولا يماثلها أثراً إلا مرحلة الحروب الصليبية والتتارية التى واجهها عالم الإسلام وما تزال حتى الآن تمثل أشد التحديات .

إن دراسة هذه المرحلة الجديدة التى تجمعت فيها قوى النفوذ الاستعمارى والصهيونية والشيوعية تحتاج إلى النظر فى تلك الآثار التى تركتها الصحافة على الأحداث التى عاشتها المجتمعات الإسلامية والعربية وكيف استطاعت قوى كثيرة أن تعمل على تحطيم عوامل الحصانة والقوة والمقاومة فى قلب هذه الأمة المجاهدة الصامدة عن طريق « بث » تلك السموم التى ظلت تسرى فى العروق حتى خدرتها وحتى أحدثت تلك التحولات من القوة إلى الوهن ،

---

(١) اقرأ للمؤلف :

(أ) الصحافة السياسية فى مصر .

(ب) تطور الصحافة العربية .

(ج) الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية .

ومن الصمود إلى الاستسلام ، ومن المقاومة إلى تقبل ظلال التبعية والنفوذ الوافد فى مختلف مجالات الفكر والاجتماع والاقتصاد والتربية .

وإذا كانت هناك قوى خطيرة عملت على توهين القوى بحيث خضعت للهزيمة والنكبة والنكسة : (ومنها الاستشراق والتبشير والتغريب والغزو الثقافى) فقد كانت الصحافة عاملا هاماً فى احتضان كل ما قدمته هذه القوى وتفريخه وبثه وإذاعته يوماً بعد يوم وفق ألوان الطيف ومن خلال كل القنوات ، فقد كانت الصحافة ولا تزال أخطر وسائل التوجيه والتثقيف ، فهى الزاد اليومى الذى يصل إلى أيدى الناس جميعاً ، وهى بأبوابها المختلفة من قصة ومسرح وكرة وجريمة وفن وأدب وسياسة واجتماع ودين قادرة على تقديم مفاهيم من شأنها أن تحمل قراءها على تقبلها والاقتناع بها عن طريق الخبر والصورة والكاريكاتير والتعليق . وهى قادرة أن تقدم وجهة النظر التى تراها متفقة مع الخط الذى تدافع عنه ، فهى تستطيع أن تصغر ما تعارضه وتكبر ما تدافع عنه ، ومقياسها فى هذا تلك الخلقية التى تحكم المشرفين عليها ، ولقد كانت الصحافة فى هذه المرحلة على خط واحد ، تحمل طابع الوطنية وتتحمس له فى عبارات طنانة وتخفى غاياتها الخطيرة التى لاتنكشف إلا فى المجالات الاجتماعية وصفحات المرأة والمسرح والجريمة ، فتلك هى الميادين التى يمكن بث السموم من خلالها وهدم قوى الشباب وتحطيم إيمانه ، ومنذ وقت طويل كشف هاملتون جب عن خطة الصحافة العربية فقال : إن معظم الصحف اليومية العربية واقعة تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية ، فالصحافة العربية لا دينية فى اتجاهها (Secocas) وكانت الصحافة العربية قد قامت أعمدتها بأيدى المارون خصوم الإسلام والعروبة منذ اليوم الأول ، لافى مصر وحدها (المقطم والأهرام والهلال) ولكن فى مختلف أجزاء الوطن العربي حتى المغرب الأقصى ، ثم تسلمت هذه الصحافة من بعد أيد عربية ومصرية ، كانت أشد عنفاً وقسوة وأكثر ميلا إلى الكشف والإباحية .

(مدرسة روز اليوسف ومحمد التابعي) :

ثم جاءت أخبار اليوم فعادت الصحافة فى الوطن العربى على نحو أشد خطورة ، قوامه مزيد من التقليد للصحافة الأمريكية المثيرة القائمة على إرضاء رغبات الجماهير والاهتمام بالتفاهات والبعد عن الأصالة وتكوين أجيال لا ترى فى الحياة إلا هزلا ورقصاً ومتعة وانصرافاً عن التبعات الجسام التى تواجه المجتمع العربى الإسلامى ، وقد جاءت هذه الموجة الصحفية موازية للنفوذ الصهيونى والشيوعى فى الوطن العربى ، وفى نفس الوقت الذى بدأت فيه سهام التغريب والغزو الثقافى تجتاح بلادنا بقوة ، وقد حملت سياسة تقبل الأمر الواقع ، وتدعيم الأوضاع التى صنعها النفوذ الأجنبى وخاصة ما يتعلق بالانحراف فى مجال المرأة والكرة والسياحة ونوادى الرقص والمسرح والسينما ، والدعوة إلى تنشئة أجيال معجبة بل غارقة فى هذه التيارات وإقامة المسابقات لملكات الجمال وللمرشحات للعمل فى مجال الغناء والمسرح والرقص ، وتقديم أفواج بعد أفواج منها تحت اسم الفن ، وإعطاء هذا الفن شيئاً وافراً من القداسة والتكريم والاحترام والدفاع عن أهل الفن باعتبارهم طلائع النهضة وركائز المجتمع الراقى .

وبذلك فقد أدخلت الصحافة أعرافاً جديدة تعارض تماماً الأعراف الأصيلة ، ومفاهيم زائفة تضاد القيم الصحيحة ، وبدت ميادين الرقص والغناء والمسرح وكأنها دور لها قدر وجلال وخطر ، وانخدع الشباب المسلم بهذه المفاهيم ، التى آزرتها صور عارية وقصص مكشوفة وأغان خليعة ، وتقديم للمغنين والممثلين على أنهم أبطال ومثل عليا ، ولهم تاريخ يروى وأحاديث تجرى وذكريات تجدد ، بينما لم يحظ بمثل هذا علماء أفذاذ ولا أبطال مجاهدون ولا نوابغ قدموا لأوطانهم أجل الخدمات وضحوا فى سبيل بلادهم واستشهدوا أو ماتوا مغتربين .

هذا هو الخطر الذى قدمته الصحافة العربية خلال فترة الهزيمة والنكبة والنكسة والذى كان بعيد الأثر فى الواقع الذى يعيشه العرب والمسلمون اليوم.

وفى الواقع فإنك لن تستطيع أن تجد مقولة خطيرة أو مؤامرة مبيتة ، أو كلمة مسمومة ، أو فكرة مدسوسة ، أو دعوى باطلة إلا وقد وجدت عن طريق الصحافة طريقاً لها إلى الناس ، أيدتها صحف وعارضتها صحف ، ولكنها على كل حال استطاعت أن تبلبل خواطر الناس وتنال من كيانهم وتزلزل رواسيهم .

* * *

(٢)

كان أول المخاطر فى تحول الصحافة هو تلك الدعوة المسمومة التى تطرقت إليها تحت لواء الكسب المادى إلى الاهتمام بنشر الأخبار المثيرة والترويج لكل أسباب الإغراء للقارىء وهدهدة غرائزه ، ودعوته إلى الإباحيات والكشف ، ونشر كل مايتصل باللذات والأهواء والجنس رغبة فى كسبه فى تجارة رخيصة تستهدف استدرار الموارد ببيع هذه السموم ، وكان هذا خروجاً بالصحافة من مسئوليتها الأدبية وأمانة الكلمة والالتزام الأخلاقى لحماية الشباب والفتيات والأبناء جميعاً من أخطار الدعوات الهدامة وعواصف المذاهب الانحلالية .

وبذلك كانت الصحافة من أكبر العوامل فى هدم مقومات الأسرة وتمزيقها وتدمير وحدتها والتأثير بالخطأ والانحراف على الأجيال الجديدة (إلى جوار تأثير السينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون) .

بل إن الصحافة نفسها هى التى هيأت لهذه الوسائل جميعاً سبيل النشاط وأغرت الجماعات والأفراد بما تحتويه أفلامها ومسرحياتها ، ورددت حوارها ونشرت صورها العارية ، وأعلنت عن مسارحها ودورها وأبطالها ولخصت قصصها وأدوار ممثليها .

وقدمت الصحافة قصص الجريمة وقصص الجنس وأفاضت فى نشر تفاصيل الأحداث وأولت جوانب الفساد فيها اهتماماً كبيراً ، وعنيت بلفت النظر إلى الوسائل والأساليب التى قام بها المجرمون فى سرقة البيوت أو ترصد الناس ، وعمدت إلى الاهتمام بنشر أساليب الفساد ،وكشفت للشباب الساذج والفتيات الطيبات عن طرق الاتصال بأصحاب الأهواء سواء بمخاطبتهم بالتليفون أثناء نوم أفراد الأسرة أو الخروج من البيوت فى أوقات النوم

أو غيرها من تفاصيل يشرحون بها صدور الشباب ويداونه على الطرق لاقتراف الجريمة سواء كانت جريمة سرقة أو جريمة عرض .

ولم يقف عمل الصحافة عند حد نشر الوقائع ، بل إن كتاب القصة خلقوا وقائع أشد سوءاً وأكثر تفصيلا للحوار الذى يدور فى غرف النوم ، أو بين من أغواهم المجرم الأثيم ، فيها إغراء وخداع ، وتصدى لهذا العمل كتاب كبار لهم أسماء لامعة ودفعت لهم الصحف فى سبيل هذه القصص المكشوفه أجوراً ضخمة راجت بها صحفهم ومجلاتهم وكسبوا منها مبالغ طائلة بالحرام والسحت ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل لقد عمدت الصحافة إلى تبرير واقع المجتمعات الواقعة تحت النفوذ الأجنبى ، وذلك بخلق أعراف بعيدة عن فطرة الأمم المسلمة ، وذلك بإعلاء شأن الراقصات والمغنين والعاملين فى مجال الفاحشة والإثم بإطلاق اسم الفنانين عليهم ، ثم أذاعوا أن هذا الفن شىء مقدس له أصوله وقيمه وله حدوده التى لا يستطيع أحد أن يتخطاها ، ثم عملوا على تبرير هذه الصور الفاسدة ووصف الرقص مثلا بأنه تموج للأجساد وسمو بها واستعلاء عن الماديات مع أنه غاية الفحش وأعلى مراتب الإثم والاباحية .

وهكذا استعملت الصحافة أساليب الكتابة وكلمات الخير والحق والجمال لتضفيها على هذه السموم .

وحين نستعرض برنامج بروتوكولات صهيون لهدم الأسرة ولإفساد الشباب نجد الصحافة قد قامت بدور كبير فى تنفيذ هذا البرنامج وتطبيقه فى مختلف مراحله وأجزائه ، فحين تدعو البروتوكولات إلى الرحلات المشتركة للطلاب والطالبات وترى أنها خير وسيلة لتدمير القيم والأخلاق نجد الصحافة تنفق جهداً ضخماً متصلا لا يفتر ولا يتوقف فى تشجيع هذه الرحلات المشتركة وتبريرها وتصويرها على أنها الوسيلة المثلى للسعادة والصحة وغيرها ، بينما تخفى الصحافة ما يحدث فى هذه الرحلات المختلطة من أمور تخجل ، وأعراض تذهب .

وحين تشير الصحافة إلى أزمات الشباب العربى المسلم لاتردها مطلقاً إلى أصولها الصحيحة ولكنها تحاول أن تربطها بأزمات الشباب الغربى على الاختلاف البعيد والعميق .

ثم هى لا تنظر إلى الأمور نظرة الأمانة الصادقة والمسئولية الحقيقية :

ولكنها تكذب حين تقول أن شباب هذا الجيل بخير ، وتكذب حين لا تواجه قضاياه مواجهة صحيحة فتقول له : إن مصدر الاضطراب هو الابتعاد عن منهج الله الذى هو الأسلوب الصحيح ، ومما يرثى له أن يرسل الناس مشاكلهم إلى الصحف والمجلات لتقع فى أيدى هذه الأقلام المسمومة فلا يدلون الناس على خير ولا حق ، وماذا يكون الأمر عندما يحل مشاكل الناس رجل لاخبرة له ولاأصالة فى فهم أمور المجتمع ، أوله اتجاه وجودى أو إباحى أو ماركسى أو له مفهوم ضال ، منحرف .

إن بعض كتاب القصة يقولون أن فى أيديهم محاولة لحل مشاكل المجتمع بينما لا نجد من كتاب القصة كاتباً واحداً له تجربة أو فهم أو دراسة لقضايا المجتمعات وصلتها بالعقائد أو له مفهوم أصيل لمعرفة أدواء المجتمعات ، وإنما تعالج القضايا فى القصص على أساس أهواء النفس ، إن أمثال إحسان عبد القدوس . وأنيس منصور ويوسف السباعى ونجيب محفوظ ويوسف إدريس إنما عاشوا فى دن القصة الغربية الملىء بالسموم ، ثم جاءوا بعد ذلك ليتصدوا لقضايا الناس ومشاكل المجتمع ، وهم خالون تماماً من البعد الروحى والنفسى لدراسة المجتمعات والأسرة والشباب والطفولة ، وإذا كانوا قرأوا عنها لماما فإنما قرأوا وجهات نظر غربية أو مادية ، أو وجودية لاتتفق مع مجتمعنا ولا تستطيع أن تمكنهم من إعطاء الناس إجابات صحيحة أو حلولا صادقة لمشاكلهم .

إن الأمور موسدة إلى غير أهلها ، إن هؤلاء العاملين فى مجال المجتمع ليست لديهم أبعاد علمية ولا نفسية لحل قضايا هذا المجتمع الإسلامى الأصيل العميق الجذور ، إن كتاب القصة هؤلاء هم أقل الناس تجربة فى مجال حل مشاكل المجتمعات ، وهم لايملكون من التراث ولا من العلم ما يمكنهم من

استيعاب القضايا أو وضع حلول لها سواء عن طريق القصة أو عن طريق المقال الاجتماعى والسياسى ولذلك جاءت كتاباتهم (بعد ترك مجال القصة) فى قضايا المجتمع والشباب معالجة الهوى والغرض فكانت كتاباتهم مزيجاً من التفاهات والضلال .

وعندما تستعرض كتابات الصحف تدهش ، فأنت ترى الصحافة مدافعة عن كل نظرية باطلة فى علوم النفس أو الاجتماع أو الأخلاق ، فهى تدافع عن أدب الفراش والجنس ، وتدافع عن العامية فى اللغة وتدافع عن الشعر الذى يحطم عمود الشعر وتدافع عن الفرعونية وتذيع الترجمات الضالة المسمومة للآداب والكتب الغربية ، وتدافع عن الفكر الإغريقى والباطنى وعن الوجودية وتدافع عن الخمر وتترك حيزاً قليلا بعد ذلك لكلمات فى الدين أو الأخلاق لاتخلو من تهافت أواضطراب ، بل إنها شاركت فى إفساد المفاهيم الإسلامية بإثارة الشبهات التى قدمها الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى ، ودافعت عنها وأفسحت الصفحات للشعوبيين وأصحاب الأهواء ليذيعوا آراءهم الفاسدة .

وكلما أمعنت فى مراجعة مجلدات الصحف خلال هذه السنوات الطويلة (١٩٤٨ — ١٩٦٧) (من النكبة والهزيمة إلى النكسة) يخيل إليك كأنما تتركز مهمة الصحافة فى الدفاع عن هذه الركائز المسمومة الضارة التى أقامها النفوذ الأجنبى والاستعمار فى أنحاء المجتمع الإسلامى وحمايتها والدفاع عنها والوقوف دون تحطيمها أو القضاء عليها .

هناك الدفاع الحار عن المسرح والفن والغناء والقصة والممثلات والمغنيات والراقصات ، والإشادة بهم والتحدث إليهم ونشر صورهم وأحاديثهم لاعلى أنهم وسيلة من وسائل التسلية وإزجاء الفراغ ، ولكن باعتبارهم المثل الأعلى الذى يحتذى ويقتدى به إلى درجة أن أصبحت راقصة ما مثلا أعلى للمرأة المسلمة ومغن ما مثلا عالياً للشباب المسلم ، فى طعامهما وملبسهما وحديثهما .

بل وذهبت الصحافة إلى الدفاع عن هؤلاء الراقصات والمغنيات والممثلات

وحمايتهم من النقد أو من الكشف عن فساد حياتهم الاجتماعية ، وذلك فى سبيل الارتفاع بهم إلى مرتبة القداسة حيث تنشر عنهم بين حين وحين صفحات تمجيد وإعلاء وإشادة بالصوت الجميل والكلمة والموسيقى ، والمستمعين المخدرين بالحشيش فى سهرات عاصفة تحشد لها الإذاعة والناس ، ويا ويل من يكتب كلمة فى مهاجمة شيء من هذا ، سواء فى مجال المسرح أو السينما أو الإذاعة أو التليفزيون ، فإن الصحف أولا لا تفتح له ، وإن فتح بعضها فإنها سرعان ما تثور ثورة عاصفة إزاء هذا التعرض لحمى الفن المقدس الذى لا يجوز أن توجه إليه أى عبارة امتعاض .

ويا ويل من يشير إلى فساد هذه المجتمعات أو انحرافها أو انحراف ما تقدمه من روايات ومسرحيات وأغان وحوار أو حتى مجرد الإشارة إلى الأخطار التى تحدثها فى المجتمع .

وهناك تلك الصيحات المدوية لانتزاع المرأة من الأسرة ومن طبيعتها وهدم رسالتها ، وذلك بالحديث عن سبق المرأة فى مجال الصحافة أو الرياضة أو العمل ، فالمرأة تتولى الوزارة ، أو تتولى قيادة عمل ما ، أو تسبق فى مجال ما فى تهليل ضخم ، فإذا نقص عدد النساء فى البرلمان حزنت هذه الأقلام الضالة وأنحت باللوم على المتسببين ، وإذا تحدث متحدث عن حق البيت أو الأسرة فى عودة المرأة إليها ووجه هذا الاتجاه بالنقد الشديد ووصف بأنه رجعية ، ولما قدم أحد المشايخ بناته إلى مجال الرياضة والعرى صفقت له الصحف ووصفته بأنه تقدمى ، وجاء شيخ ضال آخر فأفتى له بسلامة عرى بناته فى نظر الشرع .

بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك ، فإن هناك من الفنانين والفنانات من يساهمن فى إنشاء الصحف أو من يدفعون مرتبات لصحفيين لامعى الأسماء ، حتى يدافعوا عنهم وينشروا أخبارهم ، ولقد بلغ الأمر برئيس مجلس إدارة إحدى الصحف أن أصدر قراراً بعدم نشر أسم فنان ما بعد أن

أسرف رئيس التحرير فى الكتابة عن هذا المغنى ، وكانت هناك شركة من الكتاب قد اشترت هذا الفنان لعمل أغان ومسرحيات له ، وكان صديقه هذا ذو الاسم اللامع يقترض منه ألفاً بعد ألف ويسددها له كتابات فى يومياته .

* * *

(٣)

إن مسئولية الصحافة فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الأمة الإسلامية جد خطيرة : ذلك أن الأقلام التى تسلمتها لم تكن وثيقة الإيمان بأمانة الكلمة وبالتبعة الخطيرة التى تحملها إزاء الأخطار الخطيرة التى كانت تحيط بها وتهددها . انتقالا من النفوذ الاستعمارى إلى النفوذ الصهيونى إلى النفوذ الماركسى . ففى خلال هذه الفترة التى نحاول مراجعتها والحديث عنها نجد الصحافة وأقلامها المسمومة قد عملت — من وراء الصورة الظاهرة التى تحمل طابع الحماس الوطنى — على تعميق هذا النفوذ بنفس الأسلوب الذى اصطنعته الصهيونية العالمية فى الغرب حين سيطرت على مقدرات الصحافة والمسرح والسينما والأدب والفن وكل ما يتصل بالمجتمع والمرأة والأسرة ، وعملت فيه عملها لتدمير الأخلاق والأسرة ، بينما تركت الواجهة العامة السياسية للسياسيين ورجال الأحزاب والمجالس البرلمانية دون أن تتدخل فيها إيماناً منها بأن هذه الخطة هى الخطة القادرة على تغيير أعراف المجتمعات وهدمها دون مواجهة الإطار العام . لقد بدأت هذه المرحلة فى نفس الوقت الذى غزا فيه النفوذ الصهيونى والشيوعى البلاد الإسلامية من خلال واجهة الاستعمار الغربى حتى سقطت فلسطين فى يد الصهيونية عام ١٩٤٨ ثم سقطت القدس عام ١٩٦٧ ، وكانت الهزيمة والنكبة والنكسة كلها ثمرة صحيحة لهذا العمل الخطير الذى قامت به الصحافة من وراء العمل السياسى الظاهر ، ونحن نذكر بلا ريب كيف أعلن الاستشراق منذ وقت بعيد أن الصحافة العربية التى أنشأها المارون فى مختلف أنحاء البلاد العربية وتبناها أصحاب الولاء الفرنسى والأمريكى من بعد ، هى فى حضانته وفى قيادته وطوع بنانه وأنه أرسى قواعدها منذ يومها الأول .

ولقد استطاعت الصحافة العربية (التى عملت فى خدمة الاستعمار ، والصهيونية والشيوعية) وعملت مع مختلف الأحزاب والهيئات فى العالم العربى

سواء فى الدعوة إلى الاقليمية أو الطبقية أو الوجودية أو الماركسية أو الدفاع عن النفوذ البريطانى والفرنسى والأمريكى ، استطاعت أن تحقق هدفها الذى رسمه لها التغريب والغزو الثقافى بأن أصبحت لها واجهة وقناع ، أما واجهتها فهى الدفاع عن الوجهة الوطنية أو السياسية التى ترسمها السلطة الحاكمة أيا كانت هذه السلطة ، وقد عاشت الصحافة العربية فى كل بلد عربى مؤيدة للنظام الموالى للنفوذ الأجنبى والوجود الإقطاعى (الاستعمار والاستبداد معاً) بكل أسوائه وفساده ، ومضت مبررة له وداعية إليه ، ما عاش هذا النظام ، فإذا سقط هذا النظام أو تغير سارعت بنقده وإبراز فساده والكشف عن أسوائه ، وإن كانت هى برجالها وصحفيها بأسمائهم اللامعة كانوا قادة هذا النظام ودعاته . وكانت صحفهم من « عطاء » هذا النظام ، فالصحافة من هذه الناحية « الواجهة » موالية للأوضاع القائمة تمام الموالاة من الناحية السياسية بحيث لاتختلف مع السلطة الحاكمة ، ولا تعارضها . ولكنها من ناحية أخرى : « القناع » فهى مطلقة الحرية فى الكتابات الاجتماعية (الفن والمسرح والسينما والقصة والأدب والأسرة والمرأة والشباب) فهى تنطلق فى هذا انطلاقاً واسعاً حراً فتنقل عن الصحف الغربية كل القصص المكشوفة والأحداث المثيرة ، وتكرم أسماء الراقصات والمغنيات وتنشر الشعر الخليع ، والروايات الجنسية ، وتكشف عن عصابة خطيرة من المجان يعملون من وراء الصحافة نفسها من أجل الوصول إلى قلوب رجال الأعمال والاقتصاد والحصول على الإعلانات عن طريق فتيات بارعات الجمال يتولين أمر « الإعلان » ويقدمن كل مثير فى سبيل اقتناص الفريسة ، وكذلك فتحت الصحافة من وراء السياسة والسياسيين أبواباً خطيرة لترضى القارىء وتقدم له ما يرغب إليه من أهواء الصورة العارية والنكتة الكاشفة ، والقصة الماجنة ، على أن يقدم هذا كله بأسلوب كله ذكاء ليكون كأنه واقع الحياة اليومية وليس كأنه قصص يروى أو ينقل من الكتب .

لقد اعتمدت الصحافة على الإثارة ليس من أجل الكسب المادى أو المنافسة غير الشريفة ، ولكن من أجل هدف واضح محدد نصت عليه بروتوكولات صهيون ، وهى تشير إلى مهمة الصحافة فى مجتمعات غير

اليهود « الجوييم » أو الأميين من المسلمين والعرب وغيرهم ، لقد أخذت الصحافة أمانة أداء هذا الدور بكفاءة نادرة ، فجعلت الإثارة هى الأساس للعمل الصحفى كله ، وقصص الكشف والجنس والاهتمام بالمرأة من حيث تحريضها على الاندفاع وراء الرغبات والسخرية من القيم الإسلامية أو المسئولية الاجتماعية للطفل والزوج والبيت .

ولا يغرنك تلك الكلمات البراقة التى يقدمها بعض الكتاب فى أبوابهم اليومية عن الاتصال بالله تبارك وتعالى أو الحديث عن الإيمان بالله فإن هذه كلها مداخل الشيطان فى الصحافة . وهى أبواب الخداع التى تخفى الشباك فى الصفحات التالية . فإذا جد الجد نفض هؤلاء الكتاب أقنعتهم وبدوا فى صورة المجاهدين من أهل تحرير المرأة وصفقوا لكل خبر يرضى أهواءهم أو هاجموا من عارض آراءهم ، المهم أن يرددوا دائماً أن الشباب حر لا وصاية عليه وأن المرأة حرة فى كل تصرفاتها ، فإذا جاء مصلح ليقول كلمة الحق هوجم بعنف .

ولقد صورنا هذا المعنى فى كتابنا (الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية) : لقد فتحت الصحافة الطريق أمام مختلف الدعوات الوافدة وكانت لساناً حاداً على كل من دعا إلى إصلاح أو اعتدال فهاجمت الدعاة إلى تأصيل مهمة المرأة والدعاة من قبل إلى إلغاء البغاء ، واصطنعت أسلوب السخرية فى مهاجمة كل باحث أو مصلح سواء عن طريق الكاريكاتير أو النكتة السياسية أو الاجتماعية .

وكان كتاب هذه الصحف يعمدون إلى إثارة الجماهير فى مشاعرهم بترجمة القصص الفرنسية الماجنة وكتابة الفصول اللاذعة فى مهاجمة القيم الإسلامية والعربية ، وتحوير معالم التاريخ الإسلامى على النحو الذى يصور بعض العصور على أنها عصور تحلل ومجون ، وفى ظل هذه الصحافة وحمايتها أعلن كثير من التغريبيين تحت اسم التجديد حمل لواء الأفكار الوافدة والدفاع عنها . كما عمدت الصحافة إلى خداع الجماهير وتضليلها عن شخصيات لها دورها الخطير فى دعم النفوذ الاستعمارى والأجنبى أمثال لورنس وغردون

وبلفور وهرتسل وغيرهم . كما عقدت لواء الزعامة لشخصيات غير صادقة الوطنية كما فعلت بالنسبة لسعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين وساطع الحصرى ، كما حاولت أن تصور الثورة الفرنسية بأنها عمل بطولى بينما هى من عمل الصهيونية العالمية . كذلك هاجمت الحركات الوطنية فى البلاد العربية ووصفتها بالعصيان ، وانساقت فى تيار الاستعمار الخفى فنشرت صفحات عما أسمته حقوق اليهود فى فلسطين ، ودعت إلى العامية وتغاضت عن حملة التبشير الغربى التى هاجمت بعض البلاد العربية ووصفتها بعض الأقلام بأنها زوبعة فى فنجان .

* * *

(٤)

إن الصحافة العربية فى هذه الفترة ومسئوليتها فى (الهزيمة والنكبة والنكسة) ضخمة وعميقة قد عملت فى تلك السنوات على تغيير أعراف هذه الأمة ، ونقلها عن طريق البث اليومى المسموم المنوع إلى أعراف وافدة مهدت لتدمير وجودها الأصيل الذى شكله الدين الحق .

ولقد أولت الصحافة اهتمامها بأشياء كثيرة : فدعت إلى الخمر بالإعلان عنه وإلى علب الليل والربا ومدحت القانون الوضعى والنظام الاقتصادى الغربى .

بل إن أنيس منصور (١٠ - ١ - ١٩٧٧) الأهرام ، عاق على قرار شركة مصر للطيران بمنع توزيع وبيع الخمور على متن طائراتها بأنه قرار ضار سيىء إلى سمعة شركة مصر للطيران فى منافستها مع شركات الطيران العالمية ، كما حرصت على تقديم كل المسرحيات وأفلام السينما (وفيها قدر كبير من العبارات المكشوفة والصور الخليعة) بكل إعجاب وتقدير ، وشجعت كل ما يقدمه التليفزيون من أفلام الجنس وأحاديث اللغو والأغانى المختلفة فى محتواها وأدائها دون أن توجه إلى هذه البرامج كلمة واحدة من الدعوة إلى الخير أو حماية أطفالنا وأبنائنا وفتياتنا من الصور والكلمات المسمومة التى تعرض عليهم كل مساء .

بل لقد أفسحت الصفحات الواسعة العريضة أمام أخبار الكرة حتى باتت بعض الصحف وهى لاتعتمد فى توزيعها إلا على قراء أخبار الكرة بما تحمل من تفاهات .

وتقف الصحف موقف المعارضة لكل اتجاه سليم ، فهى فى نفس الوقت الذى ترفض فيه نشر صورة نصف مليون حضروا صلاة العيد فى ساحة من الساحات تنشر صور الذين زاروا حديقة الحيوان باحتفاء كبير

ومن خلال تلك اليوميات التي يكتبها لويس عوض وتوفيق الحكيم ومصطفى بهجت بدوى وحسين فهمى تبدو محاولات لفرض مفاهيم زائفة وأفكار « تافهة » على الشباب لا توجهه إلى التسامى والمثل الأعلى ولكنها توجهه إلى البحث عن الأمور الصغيرة الحقيرة .

بل إن هناك محاولة لترويج أفكار الباطنية والمجوسية القديمة على أنها أدب ، وذلك بالحديث عن شعر ابن الفارض والحلاج .

ولسنا نعجب حين نرى مصطفى أمين وزكى عبد القادر وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ومن وراءهم يشكلون مفهوماً خطيراً يبثونه يوماً بعد يوم :

أولا : نظرية تحديد النسل والتهويل من شأن التفوق البشرى فى العالم الإسلامى وهى نظرية صهيونية .

ثانياً : إطلاق حرية المرأة وهى نظرية صهيونية أيضاً .

ثالثاً : الكتابة عن الجنس والإباحية وتحويل القصة إلى مفهوم عام (وتدهش حين ترى بعضهم وقد بلغ السبعين أو قاربها يكتب قصصاً جنسية مثيرة ويتطرق إلى جوانب من وحى شيطان الإغراء والفساد) .

رابعاً : تكريم الراقصات والمغنيات والممثلات وإعلاء شأنهن .

خامساً : تقديس المسرح تحت اسم الفن .

سادساً : تشجيع الكرة .

ولا تدهش حين تجد هناك عبارات موحية جد خطيرة يراد إذاعتها أو إذاعة مضامينها كأن تجد على أمين يقول فى عنوان ضخم لمقال له :

(لص شريف فى حجرة نوم كل زوج)

ولقد خدعت الصحافة الناس حين روجت لنظريات تلمودية ضالة فى شأن التربية والشباب ، وحين قالت أن المنحرفين ضحايا وليسوا مجرمين ، مستهدفة القضاء على أسلوب التربية الذى يقوم على بناء الشباب منذ الطفولة فى داخل الأسرة . ومن أمثال ذلك ترى جريدة الجمهورية تترجم كتاب (بنيامين فاين) الذى يتحدث عما أسماه الموجة العاتية من الانحراف التى تجتاح براعم الشباب فى محاولة لبذر مفاهيم مسمومة فى مجتمع آخر مختلف تمام الاختلاف عن مجتمعنا .

وكل الذين تحدثوا فى هذا الموضوع حاولوا تبرير الخطر نفسه :

(خطر نوبة استهتار الشباب بسلطان الآباء والأهل والمدرس والمدرسة وآداب المجتمع وقوانينه مما أدى إلى وقوع الجريمة) .

والكلمات كلها إيحاء ، وقد عولج الموضوع وفق المخطط الذى فرضته بروتوكولات صهيون ، وهو أنه لاتثريب على الشباب لأن المسئولية على المجتمع وأن الأزمة عالمية تجتاح الأمم كلها ، وردد هذا توفيق الحكيم ومحمد حسنين هيكل ونجيب محفوظ ، وفق مخطط منظم يحمل نغمة واحدة ؛ وتجوهلت تماماً وجهة نظر الإسلام والفكر الإسلامى التى تنظر إلى الأمر من ناحية بناء الأسرة ومسئولية الأب والأم واختلاف البيئة والدوافع والأساليب بين المجتمعات الغربية والمجتمع الإسلامى العربى ؛ وتجوهلت الفقرة التى أوردتها البروتوكولات والتى تقول أنه لابد من تدمير شباب الأجيال الجديدة فى الأمم حتى تستطيع أن تستولى عليها . ونحن نعرف مصدر الانحراف فى شباب المجتمعات الغربية وكل ما يتصل به ، وهو لاينطبق على مشكلتنا ولا على شبابنا ؛ ولقد زرعت التلمودية فى البيئات الغربية عن طريق القصة والمسرح كراهية الأب والحقد عليه والدعوة إلى مقته ، والدعوة إلى عدم توجيه الشباب الجديد وتركه لطبيعته عملا بنظرية فرويد فى الكبت ، وقد تبين فساد هذه

الوجهة ولكن القوى التلمودية ما تزال قادرة على دفع المجتمعات الغربية في طريق الدمار .

والواقع أن الآباء في الغرب قد فقدوا مسئولياتهم تماماً إزاء الأبناء وعجزوا تماماً عن أن يقدموا المثل الصحيح لهذا الشباب نظراً لأنهم غرقوا في انحرافات خطيرة ، وكذلك الأم فعلت نفس الشيء عندما وجدت الرجل قد انحرف ، فالصورة التي يجدها الشباب في الأسرة سواء للأب أو للأم منحرفة ومضطربة ، ولذلك فهو يحتقر هذه الأبوة وهذه الأمومة .

والانحراف لا يقتصر على أبناء الأسرات القليلة الدخل وحدها ، وإنما يرجع إلى إهمال الآباء وضعف حنان الأم ورعايتها ، وانهيار الأسرة وتفككها حين يهمل الأب أسرته بالسهر والانحراف ، وحين يوحي ذلك إلى الأطفال بأن الأب قد نبذهم وهجرهم ، كذلك فإن من مقاتل الأسرة في الغرب (واليوم في مجتمعاتنا) الانغماس في الظهور في المجتمعات والحفلات والسهرات وإهمال الأبناء وتركهم في أيدي الخدم والمربيات الجاهلات مما لا يمكن أن يعوضه حنان الأمومة ولا توجيه الأبوة ، هذا الطفل الذي يجد والديه مشغولين عنه لا يلبث أن يبحث عن قضاء أموره وفهم قضاياه خارج البيت فينزلق إلى صحبة الأشرار .

هذا القول الصحيح ، لا نجد صحافتنا تعنى به أو تواجه به القضايا المثارة ، لأنها لا تريد أن تقوله ، ولأن الذين يوكل إليهم حل مشاكل الشباب والرد على خطابات المتسائلين في المجلات الاجتماعية وغيرها ، هم أناس لهم انتماء وجودي أو ماركسي ، فهم لا يستطيعون تقديم وجهة النظر الصحيحة أو الخالصة . وهم يفسرون الأمور من وجهة نظر مظلمة مسمومة هي وجهة نظر فرويد وماركس ودوركايم .

كذلك فإن الصحف لا تسمح بتقديم مفهوم الإسلام أن يعلو أو يظهر ، وهم يسمونها « رأي الدين » وهي عبارة كريهة بادية السوء لأنها توحي بأن ما يراه الدين ليس إلا رأياً أو وجهة نظر ، وهي واحدة من عدة وجهات

نظر ، وهو أمر غير صحيح فما كان حكم الإسلام رأياً يؤخذ به أو يترك وليست أحكام الإسلام مما يمكن أن يستبدل بها رأى الفلسفة أو رأى علم الاجتماع أو رأى علم الاقتصاد أو غيره ، إنما هو الدين الحق ، خطاب خالق الكون كله وحقه عليهم وحدوده وتكليفه الذى لا سبيل إلى تجاوزه ، ولكن الصحافة لا تقر هذا المفهوم ولا تفسح لحكم الإسلام مكانه الحقيقى على صفحاتها ، أما ما تقدمه تلك السطور التى يطلق عليها اسم الصفحة الدينية أو ما يشابه ذلك فإنها لا تقدم إلا تلك المقولة المغلوطة التى تقول إن الإسلام دين عبادة وصلاة وصيام .

أما مفهوم الإسلام الحقيقى بوصفه ديناً ودولة ، ودنيا ومنهج حياة فإن الصحافة قلما تعنى به لأنه معارض لاتجاهها كله ، فهى لا ترى فى الإسلام إلا أنه دين من الأديان التى يتصل أمرها بأمور لا تلزم الصحافة بشىء . ولا ريب أن الصحافة بأسلوبها السياسى والاجتماعى تعارض الدين الحق من عدة وجوه : فهى لاتقدم الحقيقة كاملة لأنها تتحدث عن وجهة نظر وانتماء لا يمكنها من أن تقدم كل شىء ، ولأنها ترى مذهب ميكافيلى فى التعامل ، فلا تقيم للأخلاق وزناً ، ولا تجد عندها القدرة على أن تتراجع إذا بدا لها وجه الحق ، ولها وسائلها الملتوية وعباراتها الخادعة فى إخفاء حق أو توجيه خبر أو تجاهل واقع . ولقد وصف المرحوم مصطفى صادق الرافعى الصحافة فقال : « لو عرفت الصحافة وأهلها لرأيت أن العمل فيها أشق الأعمال على النفوس الكريمة فهذه ليست صحفاً وإنما هى حوانيت تجارة » .

ولقد سقطت الصحافة فى تلك السنوات فى أيدى اليساريين فانحرفت انحرافاً شديداً وهزمت فيها القيم هزيمة منكرة ، وعورضت كل مفاهيم الدين والأخلاق . ولم يكن الشيوعيون وحدهم ولكن كان معهم الماسون والتلموديون والبعثيون وكل أعداء الإسلام والعرب وقد تجمعوا فى صعيد واحد .

ولقد سحق تيار الشيوعيين فى هذه الفترة كثيراً من أهل الأصالة وأهملهم ووضعهم فى الظل ولم تستطع الصحف أن تجد مجالا لكلمة واحدة عن الأخلاق

والدين إلا ما كان ينشر تحت رقابة شديدة فى مجلة منبر الإسلام يحمل توجيهات الخصوم للدعوة الإسلامية ورجالها وإلى دعوة التضامن الإسلامى .

وفاجأ الناس الدكتور صفى الدين أبو العز وزير الشباب بكلمته المسمومة حين هاجم التراث الإسلامى ووصفه بالجمود والرجعية وتبعه الدكتور يوسف إدريس فدعا إلى حرق التراث .

وجاءت كتابات لطفى الخولى وأحمد عباس صالح وأحمد عبد المعطى حجازى وعبد الرحمن الشرقاوى لترسم محاولة ماكرة فى أن تجعل للشيوعية والاشتراكية والماركسية جذوراً فى الفكر الإسلامى ، وفى محاولة لتفسير تاريخ الرسول والصحابة على نحو تقسيمهم بين اليمين واليسار ، وجرت محاولات لجمع خيوط والتقاط كلمات وعبارات وإخراجها عن سياقها وواقعها من كتابات عبد الله النديم وجمال الدين ومحمد عبده ورفاعة الطهطاوى وعبد الرحمن الكواكبى لمركسة مفاهيم الإسلام ، كما جرى الاتكاء على تيارات مشبوهة كان أصحابها أولياء للنفوذ الأجنبى والاحتلال والاستعمار أمثال شبلى شميل وأديب إسحق ويعقوب صنوع وفرح أنطون وأمين الريحانى وجبران ، وهو تيار مشبوه يجب الكشف عن زيفه وانحرافه .

وجرت المحاولة لجعل كلمة الاشتراكية من مفاهيم الإسلام كما حاول الاستعمار من قبل فى كلمة الديمقراطية (اقرأ كتاب العقاد) .

كانت الغاية هى تقديم اليسار على طبق إسلامى وهى محاولة ضالة ثبت فشلها وسرعان ما هزمت بالرغم من نفوذ الصحافة الماركسية .

أفسحت الصحافة العربية فى هذه الفترة صفحاتها للدفاع والدعوة لعدة قضايا مسمومة :

أولا : مفهوم القومية الوافد المفرغ من القيم العربية والإسلامية .

ثانياً : مفهوم الماركسية والتفسير المادى للتاريخ .

ثالثاً : مفهوم الإباحية والجنس والكشف والإلحاد .

وهكذا صبت صحافة النكسة السموم عن طريق الأقلام الشيوعية والمادية والوجودية .

ولا ريب أنه كان لهذه الكتابات مسئوليتها الخطيرة فى الهزيمة والنكبة والنكسة ، وفى الوصول إلى مرحلة التسليم والتقبل والاحتواء للنفوذ الأجنبي ممثلا فى الشيوعية والصهيونية (هذه المرحلة التى عاشتها البلاد العربية قبل العاشر من رمضان) .

ولقد دحرت بشدة تلك الأقلام التى حاولت أن تكشف هذه الأخطار ممثلة فيما نشرته مجلة الرسالة عن لويس عوض ودور جريدة الأهرام ، وأغلقت تلك المجلات الثقافية لأنها كانت تعمل على طريق الأصالة ، وجرت إلى ذلك محاولة إحياء الماضى الفرعونى والإغريقى والجاهلى العربى وتمجيده وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية ، والباطنية وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس ، والهدف هو هدم التصورات الإسلامية وإخراجها من مفاهيمها الأصيلة والتشكيك فى هذه التقولات وإخضاعها للمفهوم الماسونى الوثنى القديم والحديث الذى يختلف بل ويتعارض مع مفهوم التوحيد الإسلامى .

واستغل الماركسيون رفاعة الطهطاوى كما استغله الليبراليون لأنه تأثر بالفكر الغربى وبالدعوة إلى الوطنية وأعجب بمظاهر الحضارة الغربية وخاصة الرقص الغربى وتنافس عليه خصوم الإسلام ودعاة الشيوعية جميعاً .

وهوجم عزيز أباظة عندما أثار فى حفل توزيع جوائز الدولة مسألة الفصحى . هاجمه الشيوعيون بقوة وشراسة ، هاجمه صلاح جاهين وصلاح عبد الصبور . وقال صلاح عبد الصبور : « إنه رجل سلفى يؤمن بالجمود ويتحدث عن التطور كارهاً . وقد فاته أن التعبير بالعامية لا يعادى اللغة العربية . وقد نسى أو تناسى أوسمة منحت لصلاح جاهين وسعد وهبه ومرسى جميل عزيز . وهم من كتاب العامية . والقضية ليست قضية إطار لغوى ولكنها قضية تعبير عن العصر ، وفى هذا يتساوى من يعبر بالفصحى وأنا منهم

ومن يعبر بالعامية مثل كتاب المسرح والأغنية ، واللغة العامية لغة تعبير موفقة فى كثير من الأحيان ومكملة للعربية فى كثير من الحالات » .

وهكذا أفسحت الصحافة لمهاجمة الفصحى والدفاع عن العامية ووصفها بأنها لغة ، ولم يظهر رجل رشيد يدحض هذه الكلمات المليئة بالمغالطة والانحراف حين يرى أن كل مدافع عن الفصحى سلفى مؤمن بالجمود ، أو دعواه الباطلة بأن التعبير بالعامية لا يعادى الفصحى .

وهكذا كانت الصحافة وعاء لكل تلك السموم . وهددت الصحافة البشرية بالمجاعة موالية بذلك دعوى الرأسماليين وأصحاب الملايين اليهود ، وعارضت تطبيق الشريعة الإسلامية وغضت من شأنها وفتحت صفحاتها لكل من يستطيع أن يثير الخلاف أو يقدم الرأى الذى ينتقص من الشريعة .

وحملت ترجمات القصص الأجنبية المكشوفة أمثال أزهار الشر وصورة دون جراى وهكذا تكلم زرادشت وعشيقة اللورد شترلى ، وفتحت صفحاتها أسبوعاً وراء أسبوع لترويج هذه السموم المكشوفة والصور الفاضحة .

وبالجملة فإن الصحافة العربية فى فترة (الهزيمة والنكبة والنكسة) — ١٩٤٨ - ١٩٦٧ التى نؤرخ لها قد حملت كل الأفكار التى طرحها الاستعمار والتغريب وروجت لها وأشادت بها وقطعت أشواطا طويلة فى الدعوة لها والدفاع عنها والإلحاح بها والبث يوماً بعد يوم ، وفى مقدمتها الاشتراكية ، الدمقراطية ، القومية ، الوطنية ، وكلها مستمدة من مفهوم غربى من شأنه أن يمزق الوحدة الإسلامية الجامعة ، وكان أغلب زعماء الصحافة فى هذه الفترة ماسونا ومن غير دين الأغلبية ، يهودا وكاثوليك وموارنة ، ثم جاء من بعدهم أتباع الروتارى والليونز وحملة لواء الوجودية والبهائية والقاديانية ، وقد دافع هؤلاء وأولئك عن التفرقة بين الاشتراكية والشيوعية وبين الصهيونية واليهودية .

وهى التى والت النفوذ الأجنبى على مختلف جهاته : فرنسيين مع فرنسا وإنجليز مع بريطانيا وأمريكيين مع الولايات المتحدة وروساً مع الاتحاد

السوفيتى . وهم من وراء ذلك موالون لما هو أشد خطورة ، للماسونية العالمية التى تربط بين الرأسمالية والشيوعية والصهيونية برباط خفى ، وهى التى حملت على رجال الدين وعلى الأزهر وعلى كل صيحة إسلامية ، وشوهت الأسماء اللامعة بالسخرية منها بالنكتة الفاضحة والكاريكاتير السخيف .

وهى التى أخفت كل الحقائق حتى يظل النفوذ الأجنبى قادراً على العمل خادعاً للمسلمين ، وكم من وثائق وتصريحات لقادة عالميين كبار ويهود وغيرهم تكشف عن مخططات يراد بها هدم الإسلام أوتدمير المسلمين ، عملت الصحافة على تجاهلها ثم كشفت عنها الحقائق من بعد .

وقد كانت الشخصيات التى حاربت الإسلام وخدعت العرب والمسلمين موضع تقدير الصحافة العربية من أمثال لطفى السيد وسعد زغلول وساطع الحصرى وطه حسين وقاسم أمين ، وعلى العكس من ذلك كان كل المجاهدين العاملين من أجل إعلاء كلمة الله موضع تجاهلها والاغضاء والإنكار .

* * *

الباب الأول

المرأة والصحافة

أولت الصحافة (اليومية والأسبوعية) اهتماماً كبيراً للمرأة ، وظهرت صحف متخصصة لقضايا المرأة : (حواء والشرقية) وغيرها . تحمل هذه الأبواب الثابتة ذلك الفكر الذى يعتمد على مفاهيم مضللة عن حرية المرأة وعمل المرأة من خلال مفهوم يقوم على الهجوم الدائم والمتصل على كل الدعوات التى تحمل لواء مسئولية المرأة فى المنزل ورسالتها الحقيقية فى الأسرة والزوج وتربية الأبناء ، وتركز على مجموعة من المفاهيم الخاطئة كالقول بأن عمل المرأة من شأنه أن يزيد دخل الأسرة مادياً وأن المرأة تعاون الزوج فى نفقات البيت ، ثم تركز على مسائل الأزياء الجديدة وكل ما يتصل بالزينة والملابس والإغراء ، وهى تتمثل بأن هناك عداء للمرأة يحمل لواءه الرجل ، وأن نظم الزواج والطلاق لا تحقق للمرأة رغبتها فى التحرر وامتلاك الإرادة والقضاء على ما يسمى بالقوامة ، وتستمد هذه الكتابات مفاهيمها من دعوة منحرفة تقودها منظمات عالمية هى فى الأغلب على صلة بالصهيونية العالمية . وتعتمد على عبارات مسمومة مما يتردد فى كتابات بعض دعاة الهدم أمثال سيمون دى بوفوار وفرنسوا ساجان وكثيرات ممن يجرين فى نفس الفلك، وهى فى مجموعها مفاهيم ودعوات لا تمثل طابعنا العربى الإسلامى ولا تصلح لمجتمعنا .

ولعل مجلتى حواء والشرقية هى أشد المجلات عنفاً وجرأة فى هذا المجال حيث تشن حملات مستمرة شديدة متصلة على كل قيم الإسلام ، وقد حملت حملات واسعة على حركة العودة إلى الله التى ظهرت فى مجال الطالبات الجامعيات والدعوة إلى الزى الإسلامى ، ووصفت هذه الحركة بكل تحقير ، كما أعلنت خصومتها لكل دعوة إلى الملابس المحتشمة أو أخلاقيات الملابس ، وسخرت

من القائمين بها ، كما حملت على القائمين على حدود الله فى أمور الطلاق وتعدد الزوجات .

وقد بدأت صحافة المرأة فى صورتها الأولى فى مجلة « روز اليوسف » حيث حرصت هذه المجلة فى سنواتها الأولى تحت اسم الفن وأهله على تمييع الخلق الإسلامى وتذويب الشخصية الإسلامية وضرب القيم الإسلامية عن طريق تقديم قصص مكشوفة من ناحية . والبحث عن أسرار البيوتات الكبرى والإفاضة فى الحديث عن الساهرات والراقصات وعن فنون الغواية حتى بدا أن هذه هى صورة المجتمع الطبيعية ، وكان لهذا كله أثره الخطير على تفكير المرأة العربية المسلمة ووجدانها .

* * *

إن ميدان المرأة فى عالم الصحافة هو أكبر ميادينها وأوسعها مجالا لتقديم مادة الغزو الفكرى واستغلال عواطف المرأة كقارئة (سواء كانت أما أو زوجة أو طالبة) ودفعها دفعاً إلى مجموعة من الأفكار تختلف كثيراً وتتعارض مع المفاهيم الأصيلة التى تحفظ كيان المرأة من الأخطار ، وهى تقتحم هذه الميادين المليئة بالأخطار سواء فى مجال العمل أو فى مجال التعليم أو فى مجال الاختلاط أو فى مجال العلاقات الاجتماعية بالأصدقاء والجيران والزملاء .

ولن تجد واحداً من البارزين فى مجال الصحافة العربية إلا هو من أكبر المتحمسين لهذه المفاهيم التى تحرض المرأة على الانطلاق والتخفف من مسئولياتها فى البيت والزوج ، وإنكار هذه التبعة ، والإغراء بالأجور المماثلة للرجل بما يوحى أن المرأة مادامت تعمل وتكسب فإنه لا سلطان للرجل عليها ، أو أن هذه المقدرة المادية تستطيع أن تغير وضعها من الرجل بحيث يكون لها أن تكسر قوامته ولا تستسلم لإرادته ولا تعترف بأن له الرأى الأخير فى أمر هذه الحياة الزوجية المشتركة ، وفى هذا خروج واضح وأكيد عن قانون الزوجية الذى يعطى الرجل درجة بالمسئولية وكلمة نهائية فى الأمور الأسرية من أجل دوام هذه الرابطة واستمرارها وسلامتها على المدى الطويل .

وما تزال المجلات النسائية فى مصر والبلاد العربية تحتضن فى أعماقها خلفية من الكراهية للمفهوم الإسلامى وتعليما واضحاً لبث هذه السموم يوماً بعد يوم من خلال كل الموضوعات التى تعرض والمناسبات التى تمر . ترى ذلك واضحاً فى مجلات الشبكة وحواء وروز اليوسف والموعد وأخبار اليوم (وتوزع مجلة الموعد والشبكة ٣٠ ألفاً فى مصر و ٤٠ ألفاً فى الجزيرة والخليج) .

وإليك بعض العناوين : (راقصة تنتحر فى منزل صديقها الطالب لأنه رفض أن يحضر لها المأذون) الصفحة الأولى بالبنط العريض (أخبار اليوم) ٢٩ يونية ١٩٦٣ .

(خرجت التلميذة من جحرها وأصبحت تسافر للخارج بمفردها : جربوا هذه الفكرة) أخبار اليوم ٤ ـ ٥ ـ ١٩٦٣ . أيهما أجمل بنت الأمس أم بنت اليوم (الأخبار ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٥) موضة فوق الركبة (١٤ ـ ٨ ـ ١٦٥ الأخبار) . انظر إلى زوجتك على أنها زوجة رجل آخر وسوف تجد أنها رائعة ــ (الأخبار ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٦١) أجمل من رأيت فى شارع كذا (عنوان أسبوعى دائم تقدم من خلاله مجموعة من الأفكار التافهة مع صورة فتاة فى مظهر غير لائق)

هكذا اندفعت الصحافة فى مجال هدم الأسرة وتحطيم كرامة المرأة .

(٢)

لقد حرصت الصحافة العربية على أن تغير العرف الإسلامى العام فى مجال الاجتماع والمرأة والأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة ، مستهدفة تحطيم ذلك الحاجز القوى الذى أقامه الإسلام على أساس المحافظة على العرض والبكارة والشرف والخلق . حين دعا إلى حماية كرامة المرأة بالفصل بينها وبين الرجل فى المجتمعات ودوائر الأعمال وفى لقاء البيوت والأسر ، وهذه المحاولة التى قامت بها الصحافة لاريب خطيرة ولها أثرها السريع فى تحطيم العلاقات الأسرية وإفساد العلاقات الاجتماعية والقضاء على سعادة كثير من البيوت .

ولا ريب أن المرأة ترى فى تلك المحاولة البراقة التى تقوم بها الصحافة ، صورة الحرية وعلاقة التحرر والانطلاق والقدرة على تحقيق رغباتها الفردية فى الاتجاه الذى ترضاه وترغب فيه . والذى تقودها إليه أهواؤها وتطلعاتها . ولكنها حين تندفع نحو ذلك لا تسير فى الطريق الصحيح . ولا تتجه نحو الحرية الحقيقية ، وإنما تتجه نحو الأسر والعبودية وتجعل من امتلاك إرادتها وسيلة للاسترقاق من حيث إن هذا الاتجاه لن يعطيها الأمان ولا السعادة ، وأن الذى يعطيها ذلك بحق هو طريق الإسلام المضئ المشرق الواضح الخالى من كل المؤامرات والعثرات . هذا الطريق الذى رسم لها الضوابط وحماها من أن تكون قينة أو رقيقاً أو مستعبدة لأهواء الرجل ومطامعه .

إن الإسلام قد أعطى المرأة من الحقوق ما تزال المرأة الغربية تجاهد من أجل الحصول على مثله ، أعطاها الحق الكامل فى إدارة أموالها مستقلة عن ولاية زوجها ، وعلى الزوج أن يدفع لها المهر والنفقة . ولاريب أن ما تحاول الصحافة أن تسوق المرأة إليه إنما يرجع أصلا لفساد الأساس ، وهو التعليم والتربية التى قامت على أساس علمانى بعيد عن مفهوم صحيح لمهمة المرأة ودورها الحقيقى ، ولا ريب أن تربية المرأة وتعليمها يعد عبثاً ما لم يستهدف أموراً ثلاثة : تربية أنوثتها فهى هبة الله الكبرى . وتربية أمومتها فهى جوهر ذاتيتها وتربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها .

وتنطلق النظرة الغربية الوافدة التى تحمل لواءها الصحافة العربية من خلفية آثمة تستهدف إخراج المرأة من دائرة حياتها الحقة : من مكانها الأصيل ، لتكون أداة التسلية والهوى والإفساد للمجتمعات حسبما تصور ذلك بروتوكولات صهيون تحت اسم تحرير المرأة وحقوق المرأة ، فهى تجعل منها ألعوبة ووسيلة معاً ، تدفعها إلى الخروج من الفطرة والأصالة لتكون وسيلة إلى إثارة غرائز الشباب واجتناء الشهوة المحرمة تحت اسم الحب والصداقة البريئة وتضخيم الإحساس بالجنس والوصول من ذلك إلى مجموعة من الأغراض والمكاسب الاستعمارية التى تعمل على تثبيت النفوذ الأجنبى واستشرائه ، وقد أكد كثير من الباحثين أن المرأة ما تزال سلعة يتلاعب بها يهود العالم ، وأن الصحافة هى وسيلتهم الكبرى فى ترويج هذه السلعة .

إن من أشد مقاتل الصحافة ومصادر اتهامها أنها لا تقدم الحقيقة للمرأة وإنما تفضل أن تقدم لها الرأى المضل الخادع الغاش ، وأنها تخفى الحقائق الأصيلة ، فهى تحول بينها وبين التعرف على الواقع المعاش ، وهى نتائج واضحة تكفى حين تعرض أن تصرف المرأة عن هذا الأسلوب الوافد . ومع الأسف فهى حين تحجب هذه الحقائق — لأنها تتعارض مع هدفها الأساسى فى التدمير انسياقاً وراء الغاية التى تخفيها — تكثر من تقديم كتابات الغرب الداعية إلى الفساد، وتتجاهل عمداً عشرات الأبحاث الجادة التى تقول الحقيقة وتكشف عن فساد الواقع المعاش ، ذلك أن عشرات من كتاب الغرب المنصفين الغيورين على مجتمعاتهم قد كشفوا حقائق خطيرة ولكن صحافتنا عمدت إلى حجب هذه الدراسات لأنها ضد هدفها المدمر .

وفى أشياء كثيرة تكشف الوقائع والأبحاث الجادة والإحصائيات فساد ما تدعو إليه الصحافة وخاصة من وجهة نظر المجتمعات الغربية التى تنقل عنها صحافتنا .

أولا : فى مسألة عمل المرأة وحريتها، فقد كتب فى هذا عديد من الباحثين فى مقدمتهم الدكتور ألكسس كاريل فى كتابه « الإنسان : ذلك المجهول » وعدد من السيدات وبعض الدارسين فى مجال الإحصاء ، وأمامى كتاب السيدة مارتن باولى : ماذا حدث للإنسان فى الغرب The Prinato future حيث تقول : لقد انهارت سلطة الأسرة ودمرت الوفرة كل الأفكار العظيمة .

إن الزوجة التى تعتبر آخر حجر فى بنيان سلطة رب الأسرة بدأ وضعها يتغير ، أولا : بالتمرد على الالتزامات التى توثقها بالأسرة ، وثانياً : باندراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل مما يخضعهن لسلطة أخرى هى سلطة المؤسسات وقوانينها ، ثم تزايد معدل الطلاق بحيث أصبح فى طريقه لأن يصل إلى ٥٠ فى المائة من عدد الزيجات ، وصورة المنزل التقليدية تغيرت هى الأخرى وأصبحت مجرد خيال .. حتى العلاقة بين الآباء والأبناء أصبحت تعصف بها الشكوك .. إلخ .

وهناك دراسات أخرى لعدد من السيدات وبعض الباحثين والدارسين في مجال الإحصاء كشفوا عن فساد الاتجاه الغربي المنحرف الذى ما زالت تتبناه صحافتنا وتقدم جوانبه التي تدفع إلى التدمير ، وتحجب الحقائق عامدة :

ثانياً : في مسألة تحديد النسل :

كشفت دراسات كثيرة عن فساد الدعوة إلى تحديد النسل وكيف أن الغرب يدعو إلى ما يضادها من تشجيع النسل وكيف أن قادة الدين المسيحى رفضوا الموافقة على تحديد النسل .

وكشفت الأبحاث عن أخطار أخرى للأسرة وللعلاقات الزوجية نتيجة حبوب منع الحمل ، ولكن صحافتنا تحجب هذه الجوانب .

ثالثاً : في مجال قضايا الشباب والأسرة :

كشفت دراسات كثيرة وفى مقدمتها ما كتبه برتراند رسل عن فساد الأسرة والواقع والمجتمع الغربي الذى تصوره لنا الصحافة العربية بصورة براقة وتدعونا إلى اتخاذه مثلا أعلى ونبراساً .

إن الصحافة العربية متهمة بأنها تخفى عن قومنا أن المرأة في الغرب تجأر الآن بالشكوى وتطالب العودة إلى البيت ، ولكن إذا جاء رجل مثل سعد الدين الشريف وطالب بعودة المرأة إلى البيت فى نظير أن تحصل على امتيازات كثيرة ، قامت فى وجهه العاصفة وخرجت الأقلام كلها ترفض أن تعود المرأة لمهمتها الأساسية : تربية أطفالها ، وإن كان ذلك يحقق لها أن تحصل على نصف مرتبها ويعفيها من متاعب الخروج الباكر والعودة المتأخرة وترك بيتها وأولادها وزوجها فى أيدى الخادمات والحاضنات .

(٣)

لا ريب أن المحاولة التي يقوم بها النسائيون دعاة تحرير المرأة فى العصر الحديث لم تكن فى الحقيقة إلا لحساب النفوذ الأجنبي وعلى حساب الأسرة المسلمة

وحساب المرأة نفسها ، فإنها محاولة مسمومة مضللة عمدت إلى تقديم مجموعة خاطئة من المسلمات ثم مضت تركز هذه المفاهيم خلال تلك السنوات الطويلة من قنوات الصحافة والإذاعة والسينما والمسرح والقصة ، وهى فى مجموعها ترمى إلى خلق عقلية مضللة للمرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة فى المجتمع خارج نطاق الزوجية والأسرة والأمومة ومن حيث هى قادرة مادياً على أن تجد موردها الذى تعيش به ، ومن حيث إن هذا القدر يعطيها الحق فى أن تختار الطريق الذى ترضاه فى الحياة الاجتماعية دون أن تعبأ بتلك الضوابط والحدود والأعراف التى رسمها الدين الحق ، كذلك فإن إباحة موانع الحمل والإجهاض كانت عاملا هاماً باعتراف دعاة التغريب والمخططات الصهيونية والتلمودية — فى فتح الطريق أمامها إلى كل الرغبات والأهواء التى ساقها إليها الرجل . ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها فى ظل موانع طبية موفورة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه كما تحول دون حدوث الحمل .

ويمكن تلخيص عمل الصحافة فى سبيل إفساد فطرة المرأة المسلمة فى ميادين مختلفة :

أولا : فى مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة والتهليل والتصفيق لكل امرأة وليت عملا من الأعمال : منادية فى البورصة . سائقة تاكسى ، كناسة فى شوارع روسيا .. إلخ .

ثانياً : خلق جو التبرج الصارخ والخروج عن الفطرة بالدعوة إلى موضات الملابس المتعددة ، حيث تدفع بيوت الأزياء كل يوم صنفاً جديداً أكثر تبرجاً وإبرازاً لمحاسن المرأة وأكثر إغراء للرجال ، وقد وقف وراء بيوت الأزياء ووسائل الزينة والإغراء والدعاية يهود وسماسرة للجنس .

ولا ريب أن المرأة المسلمة لا تخضع لهذه التيارات ، وتختار لباسها المناسب طبقاً لمعتقدها دون التقيد بأزياء العصر . وغايتها هى الستر والحشمة والكمال ، كذلك فإن الإسلام يدعو المرأة إلى عكس ماتدعوها إليه الصحافة : يدعوها إلى إغماد سلاح الفتنة أمام الرجال حتى لاتكون عامل إغراء ، وحين تدعو

الموديلات إلى الملابس الضيقة يدعو الإسلام إلى الملابس الواسعة التي لا تشف ولا تصف ، وحين تدعو الصحافة والأقلام السينمائية إلى إيقاد الشهوات يدعو الإسلام إلى تبريد العواطف .

ثالثاً : تعمل الصحافة لتحقيق هدف خطير : هو دمج الرجولة في الأنوثة وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس ، وذلك في نطاق ما أطلق عليه شياطين الصحافة « الجنس المشترك » وبالدعوة إلى إغراء الشباب بإطلاق الشعر في نفس الوقت الذي يدعون فيه إلى أن تقص المرأة شعر رأسها لتكون (ألاجرسون) أي غلمانية ، وكذلك بالدعوة إلى إلباس المرأة الجلابية الرجالي وإلباس الشباب القمصان الملونة الصارخة والأحذية العالية .

والإسلام يحتم الفصل الدقيق والعميق بين الرجولة والأنوثة ولا يقبل اختلاطهما بأي حال من الأحوال . وقد حرص الإسلام على أن تحتفظ المرأة بكل مقومات الأنوثة ، فلا تخوض المجتمعات العامة ولا تعرض مفاتن جسدها على الأنظار .

رابعاً : إن دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل : هذه الدعوة تحمل في طياتها خطراً شديداً ، فقد أشارت أبحاث العلماء أن انتشار أقراص منع الحمل بدون رقابة أدى إلى انتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف مما نتج عنه تزعزع أركان الأسرة ومن ثم لم تعد الفتاة الغربية ومثلها الشاب يرون في الزواج وتكوين الأسرة ضرورة اجتماعية .

خامساً : أشار تقرير عصبة الأمم (١٩٢٧) إلى أن الدعوة إلى حرية المرأة وإطلاقها من ضوابط الدين الحق : قد خلق طائفة من الفتيات يجد سماسرة الأعراض بينهن مورداً عظيماً لا ينضب . وهذه الطائفة هي الممثلات والراقصات وفتيات المسارح والحانات وأمثالهن . ومما يدعو إلى الأسف أن كثيرا من مديري تلك المسارح والحانات يشترطن في الفتيات اللائي يستخدمونهن ألا يرفضن بيع أعراضهن إذا طلب منهن ذلك ، وقد يتمادون إلى حد أن يشترطوا عليهن ذلك كتابة في عقود استخدامهن .

سادساً : أن الصحافة عن طريق نشر عشرات الحوادث على طريقة الإغراء بها وعشرات القصص ، وما تنقله عن المجتمعات الغربية إنما تستهدف أن تبدو العلاقة غير الشرعية فى نظر الفتيات سهلة يسيرة ، بل ومقبولة ، ويحاول بعض كتاب القصة عن طريق الصحافة الإيحاء بأن الشرف والفضيلة والعرض كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء .ويحاول كتاب القصة تعميم هذه الظاهرة التى لا توجد إلا فى أعداد قليلة جداً على المجتمع كله بإيحاء أن المجتمع كله لا يرى أهمية للشرف أو البكارة ، ولا ريب أن ذلك من أسوأ ما حملته الصحافة الاجتماعية العربية ، وإنه معارض تمام المعارضة لهدف حماية المرأة وحماية الأسرة من الفساد واختلاط الأنساب وفساد الفطرة .

سابعاً : كيف وقفت الصحافة من الجريمة الخلقية ؟

لقد كان موقف الصحافة العربية من الأحداث شيئاً شديد السوء ، فإن الخبر هو أداة الصحافة فى الكشف عن الوجهة التى تتجه إليها ، فى صياغة الخبر نفسه تبدو الخلفية والغاية التى تريد أن تبثها فى القارئ ، ولما كان الدين النصيحة فإن الصحافة عمدت إلى الغش والخلط والتمويه فهى تعرف أن أخبار الجرائم الأخلاقية تثير النفوس فتعرضها على نحو تهون فيه من شأنها وتوحى من وراء التعدد والموالاة والتكرار أن الظاهرة عامة . وأنها طبيعية ، وأنها لا تؤثر على المجتمع . وهى لا تحاول مطلقاً أن تقدم مع الحدث الوجهة الصحيحة أو مصدر الخطر أو الدعوة إلى الإصلاح فذلك أمر تتجاهله تماماً ولا ترى أنه من مهمتها أو وظيفتها ، ولا ريب أن موالاة عرض الجرائم والأحداث أسبوعاً بعد أسبوع ويوماً بعد يوم وإعداد صفحات دائمة وأبواب ثابتة لها هو من أخطر ما تقوم به الصحافه فى سبيل توهين روابط المجتمع ، وليس عملها فى هذا المجال أقل من اهتمامها بنشر التفصيلات الوافية عن أفلام الجريمة والجنس .

ولا ريب أن صفحة الجريمة الثابتة هى عامل أساسى فى التوجيه الذى تقوم به الصحافة فتنشئ به فى نفوس الفتيات المراهقات ذلك الإحساس بالاستهانة بالخلق والجرأة فى الاندفاع إلى إقامة العلاقات مع الجنس الآخر دون احتياط ولا حذر ، من حيث ترى هى أن المجتمع لا يسقط المنحرفات .

ولا ريب أن الصحافة العربية مسئولة عن نتائج هذه الاتجاهات وموالاة البث فى هذا الطريق ، فقد استهان الناس بمسائل الشرف والعفاف ولم يعد لها فى نظر الكثير منهم أى أهمية إزاء المطامع المادية .

كان من نتائج هذا أن نشأت عصابات تستدرج القاصرات كما تقول جريدة الأخبار (٣ - ٥ - ١٩٧٢) من دور السينما إلى المقابر ثم إلى الضياع .

والعصابات تتاجر بالرقيق الأبيض ، ومن النتائج أيضاً ما نشرته الصحف من أن ١٥ ألف زواج تم فى سنة ونصف سنة ، وهو زواج يتم على أساس التوكيل . وقد انتهت هذه الزيجات فى الغالب بإعادة الزوجات إلى القاهرة بعد إصابتهن بحالات من الانهيار العصبى الشديد ، إذ تفاجأ الفتيات المخدوعات بأن الزوج فى سن الستين أو السبعين بينما هى فى العشرين ١١ - ١٠ عام ١٩٧٢ . وفى اليوم التالى : ٨٢ فتاة فى المصيدة ، إغراء الفتيات على السفر للعمل فى الخارج ثم تجرى محاولة إرغامهن على الخطأ .

هؤلاء الفتيات ضحايا ما تنشره الصحافة العربية من حوادث فى صفحة الجريمة ، موجهة توجيهاً معنيا يوحى بأن الأخلاق والضوابط لا قيمة لها ولا فائدة منها ، أو نتيجة قصص ينشرها كتاب لهم أسماء لامعة فى صفحة الأدب ، أو نتيجة إيحاءات مختلفة متعددة تأتى من كل مكان لتدفع الفتاة المراهقة الصغيرة التى لم تعرف ما ينتظرها إلى الانطلاق .

ألم تقل لهاأخبار اليوم فى ٤ - ٥ - ١٩٦٣ تحت عنوان :

لقد خرجت التلميذة من جحرها وأصبحت تسافر للخارج بمفردها : قالت ما يأتى : إن عجلة الزمن دارت أسرع من ذلك حتى أخرجت الفتاة المصرية خارج حدود بلادها بمفردها لا والد ولا والدة ولا شقيق يرعاها ويخاف عليها ، حمل هذه الدعوة أحد دعاة الغرب (عبد الفتاح شاهين) فدعا بتعميم نظام الرحلات للبنات إلى الخارج ، وطبلت الصحافة المصرية المذلك وصفقت .

ألم تكتب عايدة ثابت (١٧ سبتمبر ١٩٧٠) فى أخبار اليوم تحت عنوان (حرية الفتاة بلا حدود) قالت :

إن ما نسميه نحن انحلالا يفعلونه كأى ظاهرة طبيعية أخرى ، فلم يعد فى هذا المجتمع (تقصد الأوربى) شيء غير مباح وغير مقبول . ولم يعد الشباب يواجه فى سلوكه وعلاقاته كلمة ممنوع .

أليس هذا يوحى بالدعوة إلى تقليد مثل هذه المجتمعات بالرغم مما أشارت إليه الكاتبة من زيادة نسبة الجرائم بين الشباب وزيادة الشذوذ الجنسى نتيجة لهذه الحريات المطلقة .

إذن لماذا تحرص الصحافة على تقديم هذه الصور وتغرى بها شبابنا وفتياتنا . ولا تتوقف الصحف عن تقديم هذه الصور المسمومة إلى شبابنا وبناتنا حيناً بعد حين عن طريق تصوير المجتمع الغربى وهو تصوير يوحى بالتقليد ويقوم على أسلوب الإعجاب والإغراء به .

وفى عشرات الميادين الأخرى يأتى إغراء الصحافة للمرأة .

يأتى الحديث بالإغراء عن الرقص . يقول أنيس منصور :

« لو أردت أن تقول لنفسك عن مزايا الراقصات المصريات فإنك لا تدرى بالضبط ما هى صفاتهن . فالرقص متشابه الحركات . والفساتين واحدة . تلتصق بالبطن ، ومفتوحة من الجانبين ، أما الصدر المشدود ذو الشراشيب فالموسيقى هى التى تهزه وتعطى من الحيوية والشباب ماليس فيه ، نحن مشهورون برقص البطن فى جميع أنحاء العالم ، وكنت إلى وقت قريب جداً أتصور أن الرقص الشرقى صعب ، أو كأى فن فى حاجة إلى مجهود هائل وتدريب طويل ، ولكنى لاحظت أن كل طفلة صغيرة ترى التليفزيون تجد نفسها بلا أى مجهود ترقص . زيزى مصطفى أحمل راقصة ، وسهير زكى أخفهن دماً ، وزينات علوى أكثرهن دلالا ، وناهد صبرى أكثرهن اجتهاداً ، ونجوى فؤاد أشهر من الجميع » .

هكذا يقدم كتاب الصحافة لفتياتنا الوسائل التى تدفعهن إلى الإعجاب بالرقص ، فإذا جاء من يدعو إلى إلغاء هذا العمل المهين — الذى يسمونه

الفن — قامت قيامة الصحافة ضده ، واتهم بالرجعية والتخلف والعمل على هدم الحضارة والحيلولة بين البلاد العربية وبين النهضة .

وهناك فى الصحافة النسوية اهتمام بالغ بالمودة أو الموضة أى بالأساليب الجديدة والمتجددة دائماً للزى ، وهناك إصرار بالغ واهتمام كبير بهذه التغيرات .

وبالرغم من الأخطار التى يتحدث الباحثون عن آثارها فى المرأة فإن موجة الاندفاع لا تتوقف . يقول واحد من هذه الأبحاث :

إن المجتمع يدفع المرأة إلى الجنون فنى كل دقيقة تظهر موضة جديدة وفى كل لحظة هناك منتجات ظهرت خصيصاً للمرأة ، وتجد المرأة نفسها منجذبة نحو هذا التيار الجارف من المعروضات لدرجة تكاد تدفعها إلى الجنون ، إنها تريد أن تجرب كل شيء وتشترى كل شيء ، وعندما لا تستطيع تصاب بعقدة ، ويقول علماء النفس : إن المرأة التى ليس لها رصيد من القناعة يصبح لها رصيد من العقد فهناك آلاف من الأشياء التى تجذب المرأة إليها والتى تجعلها تفقد الاهتمام بزوجها ، والحل أن المرأة عليها أن تخلق التوازن ، وأن تحدد باقتناع ما تريد وتزن الأمور حتى لا تصبح فى النهاية فريسة للضياع فى بحر من العقد .

هذا ما يقوله العلماء ، ولكن الصحافة العربية تقول غير هذا . تقول على لسان أنيس منصور « سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محتشمة جداً وسخيفة جداً ، لأن الفساتين سوف تكون طويلة وواسعة وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين وأن ما بينها وبين هذه الفساتين خصام ، فلا الفستان يحتضنها برفق على الصدر أو على الخصر أو على الأرداف ، ثم إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة ، فلا الساقان ظاهرتان ولا النهدان أو الردفان ولا الذراعان ولا العنق ، كأنها أنواع مختلفة من الخيام ، ، وإن المرأة قد ضربت حولها وأمامها ووراءها الخيام فلا يراها أحد » .

أرأيت ما يقال للمرأة المسلمة تحريضاً لها على العرى والفساد ؟

ثم يقول الكاتب واسمه « محمد أنيس منصور » :

« إن ملوك الأناقة عوضوا المرأة عن هذه الخيمة بأشكال جميلة من قمصان النوم ، ومعنى ذلك أن الموضة ستجعل المرأة جميلة فى البيت وغير ذلك فى الشارع ، على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس ، فإنها تفضل أن تكون جميلة لشخص واحد . والمرأة التى لا تسعد برجل واحد فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين ، ولذلك فإن المرأة تسارع إلى الشارع وتتمتع بنظرات الناس إليها لأنها لا تجد هذه المتعة فى البيت » .

وهذا هو التحريض على هدم كل القيم التى جاء بها الدين الحق للمرأة المسلمة من أن تكون زينتها قاصرة على بيتها وزوجها وألا تخرج إلا بالملابس الواسعة المحتشمة .

ويصل أنيس منصور إلى مفاهيم مسمومة تدعو إلى الفساد والشر وتقلب كل المفاهيم الأصيلة : فالمرأة فى الموضة تقف فى حالة تلهف والرجال يكرهون الحشمة لأنهم يتطلعون إلى السيقان العارية والصدور البارزة والظهور المكشوفة .

هذا هو الموقف من الملابس والزى ، فإذا جاءت جماعة من المسلمات لتستجيب للدين الحق وتفضل الملابس المحتشمة ، هوجمت هذه الجماعة بعنف ووصفت بالجمود والتأخر .

قالت أمينة السعيد (١٨ نوفمبر ١٩٧٢ — مجلة حواء) :

إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفى وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله . فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها « زى إسلامى » لم أجد ما يعطينى مبرراً منطقياً معقولا لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزى هو والكفن سواء .

وهذا الزى اسمه الخيمة عند أنيس منصور والكفن عند أمينة السعيد ..

ولكن أمينة السعيد نسيت أن الزى الإسلامى هو الأصالة وأن الزى المتفشى هو الزائف الوافد .

وتستطرد الكاتبة فى امتهان هذا الاتجاه الكريم فتقول : « بعضهم قال أنه تقليعة جديدة تلجأ إليها الفتيات من أجل لفت الأنظار بعد أن استنفد الميني جب أغراضها ، والبعض قال إنها الرغبة فى الظهور بمظهر التدين سعياً وراء الزواج والتحايل على أزمة الزواج » .

وتقول أمينة السعيد أن التدين ليس بالتدثر بالأكفان وإنما التدين بالإيمان والعقيدة وطهارة النفس والعفة فى السلوك .

ونحن نسأل من أين تأتى طهارة النفس وعفة السلوك إذا لم يكن لها مظهر من مظهر التماس رضاء الله والعزوف عن تعرية ما أمر الله أن يحجب أو الخوف من عقاب الله حين تعرض المرأة جسدها على الناس . وكيف تكون هذه متدينة وهى تعرف أن أول أسس الدين هى المظهر الخارجى .

وهكذا تكشف الصحافة عن هدفها المبيت الدفين فى التهوين بالمظهر الخلقى . وبالعفاف والعرض .

وكما تعارض الصحافة وجهة النظر الأخلاقية تعارض وجهة النظر الصحية فى أمور المرأة ، فهى تدعو إلى كل أسباب الزينة ولا تدع أمراً من أمورها كبيراً أو صغيراً إلا وتقدمه وتدعو إليه ، ومن ذلك دعوتها إلى تزجيج الحواجب وتقديم المودات الوافدة الجديدة فى هذا المجال لإغراء المرأة بتقليدها والإعلان عن الأنواع المختلفة لأقلام الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد .

ومع ذلك فإن الدكتور وهبه أحمد حسن (كلية طب جامعة الإسكندرية) يقرر أن إزالة شعر الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار . فهى كلها مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق تذاب فى مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو ، كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية وكلها تضر بالجلد . إن امتصاص المسام الجلدية لهذه

المواد تحدث التهابات وحساسية ، أما لو استمر استخدام هذه الماكياجات فإن تأثيرها يمتد إلى الأجهزة المختلفة فى الجسم فتحدث تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى ، فهذه المواد الداخلة فى تركيب الماكياجات لها خاصية الترسيب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة .

إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة تنشط المسام الجلدية فتتكاثر خلايا الجلد ، وفى حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والجبهة واستدارة الوجه.

ثامناً : إن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العرف الإسلامى للمرأة هى رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات وجعلهن مثلا عالياً للفتاة فى أمور الملبس والمأكل والعادات والتقاليد .

(وبالنسبة للشباب فإن الصحافة تجعل المغنين والممثلين مثلهم الأعلى أيضاً) والواقع أن الإسلام يفصل فصلا تاماً بين سيدة الأسرة (زوجة وأماً وبنتاً) وبين الغانيات (القائمات على المسرحيات والأغانى والرقص) فإن من شأن إزالة هذا الفارق العميق أن تتبنى المرأة المسلمة مفاهيم الغانيات وهى مفاهيم تستهين بالخلق والدين ، من حيث اختلاطهن بالرجال من وراء الكواليس وفى أدوار الحب والغرام ومن شأن ذلك إخراج المرأة المسلمة من مهمتها ورسالتها ، والتحريض على دفعها إلى كل مكان غير البيت .

ومن أسباب التغرير والامتهان أن يقال أن هذه الممثلة أو هذه المغنية أو هذه الراقصة أو كاتب القصة الجنسية فلان : إنه يصلى أو إنها تصلى ، أى سخرية هذه بالعقول .

هذه عبارات رددتها الصحف كثيراً منسوبة إلى أم كلثوم وإحسان عبد القدوس ، بينما الصلاة لا قيمة لها إذا لم تكن تصدر عن إيمان كامل بالمفهوم الإسلامى .

ولا ريب أن العمل فى مجال الغناء والرقص والمسرح من الأعمال التى يحرمها الإسلام على الرجال والنساء .

تاسعاً: فساد نظرة الصحافة إلى الأمور المتعلقة بالمرأة والعمل، من حيث تركز على أن العمل للمرأة هو عامل مساعد على تحسين موارد الأسرة وأن المرأة بذلك تشارك زوجها فى المسئولية ، والواقع أن هذه النظرة كاذبة وباطلة حين ننظر إليها من واقع الإحصائيات والأحداث والأوضاع التى نراها . فالمرأة العاملة فى الواقع عبء على الأسرة وكل مواردها تضيع فى الملابس والمواصلات والمظاهر الخارجية ولا يستفيد منها البيت شيئاً له قيمة أو أهمية ، ومهما يكن حجم مورد المرأة فإنه لا يساوى شيئاً بالنسبة للخسارة المحققة للأسرة من ناحية الانصراف عن رعاية الأبناء والزوج والبيت . فضلا عن أن هذه الأمور لا يمكن أن تقاس بالمقاييس المادية وإنما تقاس بالتقسيم الطبيعى للمسئولية الاجتماعية والدور الذى أعده الله تبارك وتعالى للمرأة .

وما تزال أمينة السعيد تثرثر بهذه الكلمات فى هذه المناسبة وتردد هذه النظرية الباطلة التى ثبت فسادها وضلالها .

فهى تقول : « إن خروج المرأة إلى مجال العمل يعنى زيادة دخلها ودخل أسرتها وبهذا تستطيع أن تمنح أولادها وزوجها معاً فرصة أكبر للعيش فى مستوى لائق .

ونحن نقول : أى أهمية للعيش فى مستوى لائق بالنسبة لفقدان أكبر عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية للطفل والأبناء ، وهو رعاية الأم المباشرة الدائمة المتصلة يوماً بعد يوم . وما قيمة أن تحسن الأسرة وجبات الطعام والشراب فى مقابل أن تفقد الحنان والتربية والخلق وبناء الشخصية الذى تفقده فعلا لغياب المرأة عن مجالها الحقيقى فى الأسرة .

إن الذين ينخدعون بهذه النظرية التلمودية المادية هم السذج والأغرار ، أما الذين يفهمون حقيقة المسئولية الاجتماعية ويعرفون خطورة التكوين الاجتماعى للأفراد فإنهم يعلمون أن خسارة ضخمة تحل بكل أسرة تنصرف ربتها إلى العمل لأنها حين تنصرف تفقد عناصر الأسرة كلها وأفرادها

جميعاً ذلك العطاء الربانى الأصيل من الرضاعة والتربية والتشكيل النفسى ، وما أحسب السيدات العاملات إلا منصرفات باقى يومهن بعد عودتهن من العمل عن أداء ولو جزءاً يسيراً من هذه المهمة بالسهرات أمام التليفزيون أو فى زيارات الأصدقاء أو فى دور السينما .

وتقول أمينة السعيد :

إن الخروج إلى العمل يكشف للمرأة الحياة كلها ويعطيها فرصة التعامل مع الناس ودراسة الحياة . وهذا كله ينعكس على شخصيتها وعلى أسرتها بشكل إيجابى سليم يرفع من مستوى المجتمع .

والواقع أن هذا التفسير خاطئ ومضلل . فإن المرأة فى مجال العمل مع الأسف الشديد لا تجد إلا صوراً من المجاملة والإعجاب الخفى والكلام المعسول الذى يحملها على المقارنة بين الرجل فى العمل وبين الزوج ، والذى يفقدها كثيراً من التقدير للأزواج ، فضلا عما يضلل النفس عن مفهوم المسئولية الزوجية نفسها ، والوقائع تشهد بآثار ذلك على الطلاق وعلى الانحراف إلا من رحم الله .

أما تعلم المرأة الذى تشير إليه أمينة السعيد بأنه يرتقى بها ذهنياً ويجعلها أكبر كفاءة وقدرة على تربية أبنائها فإنه من باب التضليل والكذب . ذلك لأن التعليم الذى تتلقاه المرأة لا يعطيها من قريب أو بعيد تلك الكفاءة المزعومة أو القدرة الحقيقية على تربية أبنائها لأنها لا تتلقى فى المدارس على وجه الإطلاق أى منهج يشكلها كزوجة أو كأم . وهى لا تعرف من هذا شيئاً يعينها على بناء بيتها وأولادها ، ولو أنها علمت على هذا النحو لحقق ذلك نتائج إيجابية حقيقية تصرفها عن العمل وترى فى مسئولية البيت أكبر المسئوليات .

ولكننا نتابع الغرب فى هذه المسألة متابعة عمياء . والغرب يعترف اليوم بخسارته وتحطم أسرته ، أفما آن لنا أن نرجع عن ذلك ، إن المرأة الشرقية مخدوعة بتلك الدعوات ، والذين يقدمون لها هذه المادة من الإغراء لا يريدون بها ولا بالأسرة ولا بالأمة الخير ، ولكنهم ينفذون مخططات بروتوكولات صهيون .

وتمضى أمينة السعيد فى بث سمومها فى كل الآفاق ، فهى تعارض عودة المرأة إلى الزى الإسلامى ، وترى فيه هوساً دينياً ، وفاتها أن هذه العودة إنما هى التماس للأصالة وعودة إلى الله بعد أن بلغت عوامل الانحراف بالسفور إلى تلك النتائج الخطيرة التى نراها ونسمع عنها .

وهى تعترف بأن قوامة الرجل على المرأة شىء مقرر فى الإسلام ولكنها فى نفس الوقت تعتبر القوامة اليوم لا مبرر لها لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التى كان الرجل يتمتع بها فى الماضى فى مجال الثقافة والمال . وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل فى كل المجالات فلا مبرر للقوامة . ولا ريب أن هذه الآراء المسمومة التى ترددها أمينة السعيد هى التى طرحتها سيمون دى بوفوار ومجمع المؤامرات المنعقد على المرأة المسلمة .

ونحن نؤمن بأن القوامة أساس العلاقة بين الرجل والمرأة ، وأنه لا يتغير ولا يزول مهما كانت المرأة من الغنى أو الرزق أو القدرة أو الثقافة ، وأن عوامل الاختلاف بين واقع المرأة اليوم من حيث العمل والارتزاق لا يغير منه شيئاً فهو بمثابة الميزان الدقيق والمفتاح الصحيح لهذه العلاقة ولهذه الرابطة . والمرأة المسلمة مهما كانت غنية ومثقفة فإنها دائماً تضع مالها وثقافتها بين يدى زوجها . وتقف منه موقف التسليم وترى أن رأيه هو الرأى الأخير .

عاشراً : فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا :

وقد ذكرت فتاة سقطت فى خطاب لها إلى مجلة روز اليوسف (٧ - ٤ - ١٩٦٦) أن جانباً من المسئولية فى مأساتها يرجع إلى ما تنشره الأفلام والمجلات والأغانى من إثارة وتحلل . وفى ردود المجلات (روز اليوسف وصباح الخير وحواء) وغيرها على السائلات سخرية واضحة عميقة بالدين ، واستهانة بالأخلاق ودعوة إلى التخفف من الحكم فى جريمة الزنا واللامبالاة الاجتماعية بهذا النوع من الآثام . والميل إلى اعتبار الآثار الخلقية داخلة فى إطار الحرية الشخصية .

وينصح يوسف إدريس (الجمهورية ٢١ - ٥ - ١٩٦٦) فتاة تشكو من حبها المصحوب بالحرمان . إلى أن تخفف من حرمانها كوسيلة للتخلص من

شدة عاطفتها . أى أنه يدعوها إلى اقتراف المنكر ، وهو يسخر منها لأنها رفضت قبلة صديقها وفتاها ، ويقول أنها لو قبلت لاستراحت ، وبقى عليها مقاومة الحياة .

ولا ريب أن هذه النصيحة المسمومة سترتد إلى نحر يوسف إدريس بالجزاء الأوفى وبالنقمة والمثلة ، فإنه بذلك قد أفسد عقلية فتاة مسلمة وعاطفتها وكشف لمئات من القارئات عن الاستهانة بهذه الأمور ، وحرضهم على الاندفاع وراء الأهواء وتحمل وزر ذلك كله وجرمه عند الله تبارك وتعالى .

ونجد فى الصحافة النسوية عشرات الأمثلة من هذه الإجابات قدمها أنيس منصور وإحسان عبد القدوس وأمينة السعيد وغيرهم :

وفى بريد حواء (١٩٦٦) فتاة تشكو من قيود عائلتها المتدينة هذه القيود التى تمنعها من الخلوة بخطيبها ، وتندد المجلة بهذا الجمود ، ولو أحسنت لقالت لها أن الخلوة حرام فى هذه المرحلة وهى ليست جموداً وإنما هى بمثابة حفظ لها وحرص واحتياط لأن هذا الخطيب ربما تغيرت نظرته واختلف معها قبل أن يتم العقد فهى بذلك تكون قد حمت شرفها وعرضها عن المهانة .

ومن بريد حواء فتى متدين يشكو من أن بعض جاراته يحاولون لفت نظره بطرق شتى فماذا يكون الرد : الرد هو السخرية منه والتنديد بجموده وتقوقعه .

ولو أحسنت مجلة حواء لحذرت هذا الشاب من الوقوع فى أخطار الحرام .

وتحمل مجلة صباح الخير لواء الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم وتسخر من المعارضين ، ولا ريب أن هذه الدعوة مسمومة الهدف .

كذلك تحمل بعض المجلات الدعوة إلى تعليم الجنس فى المدارس وهى من الدعوات الخطيرة التى تريد هدم مقومات الأخلاق ، وهناك فى الصحف

النسوية والاجتماعية والأسبوعية بعد ذلك كله الصور المغرية الداعرة التى يندى لها الجبين (أخبار اليوم وحواء وآخر ساعة) .

وتنصح أمينة السعيد فى إحدى المشكلات الواردة لها باللجوء إلى الزواج العرفى تخلصاً من حكم القانون بسقوط حق الحضانة من المرأة عندما تتزوج مرة ثانية (المصور ٣ - ١٢ - ١٩٦٥) هذه النصيحة على ما تتضمنه من احتجاج خفى على موقف الشرع من أحكام الحضانة فإنها دعوة إلى الهروب من القوانين .

وتهاجم صباح الخير (١٩٦٥) بعض الآباء الذين يحيطون بناتهم بالحماية والرعاية ويحافظون عليهن من أخطار المراهقين وتصف هؤلاء الآباء بأنهم جهلة ، وأن هذه الرقابة تحرمهن من الحب ، ولا ريب أن عرض الأمور على هذا النحو فيه كثير من الخطأ ، فقد كان على المجلة أن تقدر رعاية الوالدين لبناتهم وحمايتهن من الأخطار ، وأن تفتح الباب المشروع وهو أن يتقدم لها الزميل الذى يرى أنها صالحة له ليخطبها لا أن يتصل بها من الأبواب الخلفية ، ودون علم والديها ، وبذلك تكون معرضة للفساد والخطر .

وما تزال كلمة « الحب » تستعمل فى الصحافة العربية استعمالا ضالا مضلا عن طريق كتاب الجنس والقصة المكشوفة .

ونجد محررة روز اليوسف (مديحة) تدعو بحرارة إلى دعوة البغاء الرسمى كعلاج لانحراف قلة بغيضة من النسوة . قالت : يجب أن يخصص مكان معين للمحترفات بالرخصة تحت الإشراف الحكومى ، وهى بهذا تدعو إلى تنظيم الزنا تحت إشراف حكومة مصر الإسلامية ، ولم يردعها بقية من حياء الأنثى المحصنة العفيفة من أن تغمس قلمها فى ماء البهيمية القذرة . وهناك دعوة صلاح حافظ إلى رفع ولاية الرجل على المرأة بدعوى أنها تحرص على الفضيلة بدافع ذاتى لا أثر فيه للرجل .

وهذا الكلام لايعنى أكثر من أن هؤلاء القوم يحاربون الإسلام دون أن يفهموه حتى ليكونوا قادرين على معارضته ، والا فما العلاقة بين الفضيلة وولاية الرجل !

وتدعو أمينة السعيد إلى تحديد النسل وترمى المسلمين بالجهل فى قولها فى كلمة لها فى المصور ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٦٦ إن ملايين الجهال فى بلادنا هم الذين يرددون أن الله يرسل لكل طفل رزقه . ويقول الدكتور يحي هاشم الذى انتفعنا بدراسته عن التيارات المعادية للإسلام : إن هذا القذف يتعدى الأشخاص إلى العقيدة التى يؤمنون بها . ويقول إنه بالرغم من أن بعض علماء الدين حاول أن يروج للدعوة إلى تحديد النسل بتطويعها لبعض قواعد الإسلام فإن ذلك لم يرض أصحاب هذه الدعوة لاختلاف المبدأ عند كل منهم .

حادى عشر :

موقف الصحافة من الأحداث :

يبدو هذا واضحاً من حادثة اكتشاف شبكة الرقيق الأبيض . فقد وقفت منها الصحافة موقفاً رديئاً مماثلاً للشر ، وكان من المتوقع لو خلصت النيات أن تعالج صحافتنا هذه الظاهرة بما يتفق مع خطورتها على كيان المجتمع . ولكن للعجب اكتفت أكثر الصحف بنشر الخبر بدون تعليق . وانبرى صاحب (فكرة) للدفاع عن شخصية الفتيات الصغيرات اللاتى ضبطن ضمن بقية أفراد الشبكة . وتمنى أن تكون بينهن فتاة مظلومة تثبت براءتها فتقاضى الجرائد التى نشرت اسمها ويحكم لها القاضى بعشرة آلاف من الجنيهات رداً لشرفها وسمعتها .

إن الفتاة المظلومة التى تمنى الكاتب ظهور براءتها لا يمكن أن تضع نفسها فى هذا الوضع المهين ، أو تتردد على أماكن الدنس والفجور ، ولكن كاتبنا يرى أن الشرف والبراءة لا يتعارضان مع التردد على شبكات الرقيق ، وإن الدفاع عن كرامة الساقطات أهم من الدفاع عن كرامة الوطن وسمعته .

وتساءلت مجلة الاعتصام : لحساب من يلقى بفتياتنا هكذا فى مهاوى الرذيلة . هل من أجل الالتحاق بمعهد الرقص أو الباليه أو الفن أو الموسيقى أو السينما أو التمثيل بأجوائها العفنة المنتنة ؟ . ماذا جنت تلك المسكينة حتى يقذف بها إلى هذا الميدان الملوث الموبوء ؟ . هل يستطيع ولى أمرها المستهتر وهو بعيد عنها أو قريب أن يحميها من نظرة ضارة أو قبلة حارة ؟ هل يستطيع أن يدفع عنها الأسود المفترسة ويحرسها من الذئاب الجائعة ؟ هل تستطيع أن

تعارض المخرج فى وضع خارج أو لقطة مبتذلة أو منظر فاضح رخيص . لا تستطيع لأن هذه قواعد الفن الأصيل ، ويحدث هذا باسم العلم وباسم الفن : الفن الذى يخدش حياء الفتاة وينال من شرفها وعفتها .

ويؤخذ على الصحف أنها حين تنشر أخبار الجرائم الخلقية تخفى نصف الحقيقة حماية للأهداف التى تدعو إليها فهى حين تتوسع فى نشر الأحداث المثيرة تتحفظ إذا كانت تتعلق بإحدى الراقصات أو المغنيات أو الممثلات (وهل حقاً هن يدفعن لبعض رجال الصحافة مرتبات شهرية) وهنا لاتنشر الصحف الأسماء حماية للراقصات وقد حدث هذا فعلا عندما نشرت الأخبار ضبط شقة بالجيزة تديرها للدعارة راقصة معروفة ، وهنا نتساءل هل تكون الصحافة جديرة بالأمانة الملقاة على عاتقها . إن القرآن بتشريعه الحكيم يرى عدم الاكتفاء بتوقيع العقوبة على الساقطين والساقطات بل لا بد من التشهير بهن حتى يرتدع الغير وصدق الله العظيم :

(ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

ثانى عشر :

حملت الصحافة حملة شعواء على العلماء الذين قدموا حكم الإسلام فى المرأة فى مواجهة سمومهم وأضاليلهم ، وفى مقدمة هؤلاء محمد أبو زهرة ، ومحمد الغزالى فحمل أحمد بهاء الدين على الشيخ أبو زهرة وحمل موسى صبرى على الشيخ الغزالى .

يقول بهاء الدين : إن بعض رجال الدين يريدون أن يحتكروا تفسير الدين ، وبالتالى يحتكروا تفسير الحياة ، ووصف عقولهم بأنها متحجرة فى أغلب الأحيان لأنهم عاشوا حياتهم العقلية أسرى بين جدران كتب محدودة ، ووصف معارضة الشيخ أبو زهرة للمفاهيم الماركسية المنحرفة فى شأن المرأة : بأنها مطالبة بموت هذه الأمة .

ويباهى بهاء الدين بانحراف الصحافة والإعلام فى مسألة المرأة ، فيقول : إن التليفزيون يذيع ساعات طويلة من التمثيليات التى تشترك فيها النساء والأغانى التى تغنيها المطربات. والدولة ترسل بعثات من الفتيات إلى الخارج ، وإن

البنت تذهب بمفردها إلى أوربا وإن فى الأندية الرياضية آلافاً من الفتيات يقدمن التمرينات والألعاب والاستعراضات .

ونحن نقول للكاتب : وهل يكون هذا الانحراف عن المفهوم الأصيل لعمل المرأة ومهمتها وأوضاعها حجة على الإسلام نفسه ؟ إن المجتمعات قد تنحرف وقد تتحرى الصواب ولكن مفهوم الإسلام يبقى فوق كل اعتبار هو الحق الذى لا مرية فيه ، ومهما كثر الانحراف ، فإنه هو الكلمة الأخيرة التى يجب على المجتمعات بعد أن تجرب وتنحرف أن تجد نفسها ولا سبيل لها إلا العودة إلى حدود الله .

إن هذه الصور التى يعرضها الكاتب هى حجة عليه . وهى علامة على الانحراف وليست دليلا على الأصالة أو على الطريق الصحيح ، إن من وراء هذا كله بيوتاً مضطربة ونفوساً مضطربة أيضاً ، ولن يصلح أمر هذا المجتمع إلا بعودته إلى الأوضاع الطبيعية من حيث أن تصبح المرأة مسئولة عن بيتها وزوجها وأطفالها . ونحن نعلم أن وراء هذه الاتجاهات ضحايا كثيرة ومآسى عسيرة وإحساساً يملأ النفوس بأن هذا الطريق ليس هو الصحيح .

ويهاجم موسى صبرى (أخبار اليوم) الشيخ محمد الغزالى لأنه أثار ضجة حول المرأة فى اجتماعات المؤتمر الوطنى (١٩٦٢) يقول : يرى الشيخ الغزالى أن الرجل والمرأة سواء فى جميع الفضائل والتعاليم الدينية ، ومن حق المرأة أن تعمل فى التجارة وتعمل مدرسة وطبيبة وممرضة ولا مانع من اشتغالها محامية ، ولكنه يرى استحالة مساواة المرأة بالرجل فى الوظائف وتولى المناصب القيادية ، فالرجال قوامون على النساء بحكم الطبيعة والدين الذى جعل حق الإنفاق وقيادة الأسرة للرجل وشهادة الرجل وميراثه كشهادة وميراث امرأتين ، أما مساواة الرجل فى الوظائف فإنى أكتفى فيها بشهادة ديوان الموظفين عن مدى صلاحية المرأة للتوظف قبل وبعد الزواج ، وهى لا تصلح للمناصب الرئيسية . ويهاجم موسى صبرى هذه الآراء ويصف الشيخ محمد الغزالى بأنه عدو جديد للمرأة ، ولا ريب أن موسى صبرى يعد متطفلا فى هذه المسألة فإن القضية تتعلق بالمرأة المسلمة لا بالمرأة بصفة عامة ،

وهو من هذه الناحية لا يستطيع أن يفتى بحكم دينه وثقافته ويعد هذا منه تدخلا معيباً .

ثالث عشر : الحرص على تقديم النماذج الفاسدة .

تهتم الصحافة اليومية بتقديم النماذج الفاسدة المنتقاة من جميع صحف العالم ، وتعني بالمرأة الآبقة (سيمون دى بوفوار) وتردد كثيراً مقالتها وآراءها فى الهجوم على العفة والأخلاق والقوامة .

وقد أولتها اهتماماً خطيراً أثناء زيارتها لمصر مع جون بول سارتر وحاولت أن تصور هذه العلاقة بأنها أعلى وأكبر وأجل من علاقة الزواج ، من حيث أن سيمون ليست زوجة شرعية لسارتر ولكنها محظية ، ولقد نشرت الصحف فخرها بهذه العلاقة ، واهتمت بتصويرها وإعلاء شأنها ، مع أن تحسين هذه العلاقة رمز إلى احتقار مفهوم الزوجية الشرعى ، ويدمر مفهوم علاقة الرجل بالمرأة فى وضعها الطبيعى ، ومن الأسف أن اهتمت الصحف بعباراتها التى قالتها عن أنها تدعو إلى تحطيم قوامة الرجل وأى وصاية من الرجل على المرأة .

ويصور هذا المعنى تصويراً مسموماً : الكاتب الماركسى محمد عودة . (الجمهورية ١٩ - ١ - ١٩٦٧) فيقول :

هى علاقة قد لا يفهمها البعض عندنا بمقاييسنا الشرقية وذلك كما لا يفهمها أيضاً البعض فى أوربا المحافظة ، ولكنها إحدى العلاقات التاريخية التى تقوم على أعمق وأصدق ما تقوم عليه العلاقة بين الرجل والمرأة ، وقد أغنت الحياة الأدبية والعاطفية للعصر كله ، وهى علاقة لا بد أن يفهمها ويستشعرها شبابنا وفتياتنا لأن الثورة الاشتراكية هى أيضاً ثورة فى أعم علاقة إنسانية وهى العلاقة بين الرجل والمرأة .

وهذه العبارات المسمومة لا تعنى أكثر من قلب للمفاهيم الأصيلة التى يعرفها الناس جميعاً عن العلاقات الشرعية بين المرأة والرجل حسبما أحل الله ذلك وأن كل علاقة غير هذه ، أو من هذا النوع الذى يجهر به سارتر وسيمون

هو نوع من الدعارة والزنا والفساد الذى لا يقره عرف ولا شرع ، والذى لا يرضى عنه أى دين أو أى مذهب ، أو أى نحلة . فحين يحاول أمثال محمد عودة من الشيوعيين تحسين هذه العلاقة وتصويرها على هذا النحو الفاسد إنما يروجون لمفهوم معروف فى الشيوعية وفى المذاهب المادية ، وهو الإباحية ، فإذا قيل أنها أغنت الحياة الأدبية والعاطفية ، فبماذا أغنتها إلا بتلك الصفحات المسمومة السوداء التى تصور علاقة غير شرعية بين رجل وامرأة ، والتى تصور أسوأ من هذا ، تلك الانحرافات التى تتصل بالكاتبة فى علاقات أخرى ، وهذا هو ما يسميه محمد عودة وغيره ثورة فى العلاقات الإنسانية أى هدم لكل القيم . إن العلاقة بين سارتر وسيمون وما كتب عنها هى أسود صفحة فى تاريخ العلاقات بين المرأة والرجل على السواء ، لأنها هدم للمجتمع والدين والخلق على سواء .

رابع عشر: محاولة تصوير الدعاة إلى تحرير المرأة بأنهم أنصارها الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل . وأنهم هم المخلصون لها ، وأنهم يختلفون عن الذين يريدونها متاعاً فقط . والواقع غير ذلك فإن أنصار المرأة هؤلاء الذين يكتبون عنها فى الصحف ويردون على أسئلتهم بالغش والغلط هم أعداؤها الحقيقيون الذين يريدون أن يخرجوها من طبيعتها ورسالتها وجوهر مسئوليتها وعن بيتها وعن تربية الأجيال الجديدة إلى أن تكون متعة خالصة فى المرقص والعمل والشارع .

إن هؤلاء هم فى الحقيقة دعاة الحريم الحقيقيون .

إن الذين يدفعونها إلى هذا الطريق لا يخلصون لها النصح ولا يقدمون لها الخير ، وإنما يريدون أن يخرجوها عن عرشها الحقيقى ومكانها الطبيعى ، إلى الشارع ، إلى الفراغ والانحراف ، حيث الأعاصير والسموم التى تجتاحها من كل جانب .

ولقد آثر كتاب المرأة المضللون السبح فى المياه العكرة ، وتقديم صفحات غاية فى السوء مما نقلوه من كتب الغربيين ، وكتب التلموديين بالذات مما كتب بأسلوب معين واستهدف غاية واضحة ، وهى كتابات تثير

الشبهات كل الشبهات فى صورة تساؤلات ، لماذا يتزوج الشبان ، لماذا ينجبون الأطفال ، ويصفون هذا كله بالغموض ، ويرون أن هذه العلاقات لا مفهوم لها . والحقيقة غير ما يقولون ، فإن الدين الحق قدم للناس سر هذه العلاقات فى وضوح ، وكشف عنها فى صراحة وقال إنها هى الفطرة الطبيعية التى ركب عليها الرجل والمرأة ، وإن كان أنيس منصور يقول هذا فهو فى تيه من الضلال ، وإن كان يترجمه فهذا أسوأ ، إنه ينقل هذه السموم وهو معترف بها مبشر لها ، وكان أولى به إذا قدمها أن يدحضها ويكشف فسادها ويقول أن للعرب والمسلمين من ثقافتهم وعقيدتهم وفكرهم ما يوضح لهم هذا الطريق ويضعهم على الجادة ، وأن هذا الخلط المزعج ، والشكوك والوساوس التى تشيرها كتابات التلموديين فى الغرب بهدف تمزيق الأسرة وتدمير ذلك المجتمع لا تستطيع أن تحقق شيئاً فى أفقنا الإسلامى. ولو أنه يعرف الثقافة الإسلامية ، ولو أنه يؤمن بها لكان لسان صدق فى الدفاع عن الحق ، ولكنه لا يقدم إلا السموم ولا ينشر إلا الشبهات .

إنه يردد مع الضالين « أن هناك من يقول عن الزواج أنه لحظة جنون أن يكون لنا أطفال ، وأن حبوب منع الحمل تستطيع أن تعطى الزوجين فرصة لعدم الحصول على أطفال » فهل هذا بالله كلام يقوله رجل تعطى له الصدارة ليكتب صفحة أسبوعية فى جريدة منتشرة مثل أخبار اليوم لمدة بضعة عشر عاماً دون توقف يحشوها كل أسبوع بمثل هذا الهراء .

خامس عشر :

يقول مصطفى أمين : حارب الأحرار فى هذا البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى الوراء .

وقد يحدث هذا فى أى مكان ولكن لا نفهم أن يحدث فى الجامعة مهد التقدم والفكر الحر (أخبار اليوم : ٥ نوفمبر ١٩٧٧) .

وهكذا يشهد مصطفى أمين على نفسه وعلى تلك المجموعة التى شكلها

محمد التابعى فى مجلة روز اليوسف لتحمل لواء هذه الدعوة وتتزعم تلك الصحافة التى تحرض المرأة على الخروج من القيم الدينية والأخلاقية وتدافع عن أمثال أم كلثوم وفاطمة رشدى وتحتفظ بأسماء أولئك الذين كشفت التحقيقات عن إدارتهن لبيوت الفساد ، فى مخطط واضح دقيق مستمر ، وقد أشار بعضهم أكثر من مرة أن المرأة هى التى تشترى الجريدة من مصروف المنزل والذلك فهم يؤيدونها ، ولكن المرأة الرشيدة تعلم أن ما يدعونها إليه ليس هو فى مصلحتها أو من أجل إسعادها ، وما ترى المرأة سعادتها فى عمل يحرمها من تربية أبنائها أو من سهرات تحول بينها وبين دين الحفاظ على وجودها الذاتى وكيانها وأسرتها .

ونحن نضع أمام دعاة تحرير المرأة ما أذيع من توصيات مؤتمر الجريمة التابع للأمم المتحدة الذى انعقد فى جنيف (١٩٧٨) من أن حركة تحرير المرأة تعنى مزيداً من النساء المجرمات ، وقد أنذرت هذه الدراسة بأن الأمر لا يتوقف فحسب على ارتفاع نسبة الجريمة بين النساء بل إن النساء بدأن فى اقتحام أنواع الجرائم التى اقتصرت على الرجال وحدهم ، مثل جرائم الاختلاس والعنف ، كذلك تشير هذه الدراسة الدقيقة إلى أنه حتى بالنسبة لمحترفات الدعارة فقد ظهرت بين النساء اتجاهات عدوانية ومحاولات للاستقلال عن الوسطاء من الرجال وفيما بين ١٩٦٠ — ١٩٧٢ ارتفعت نسبة عدد النساء الذين قبض عليهن بتهمة السرقة ٢٢٧٪ ، وجرائم السطو على المنازل — بنسبة ٣٠٠٪ .

هذه التجربة الأمريكية تشير إلى وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الجرائم النسائية وتناقص التعاون الاجتماعى بين الجنسين ، تعنى أن محاولة التقريب فى المساواة بين الجنسين هى السبب المباشر فى ازدياد نسبة الجريمة بين النساء .

والعجيب أن الغرب الذى يحاول الآن بواسطة خبرائه العودة إلى تصحيح مفاهيمه بالنسبة لوضع المرأة التى جرفها تيار العصر بل وبالنسبة لأخلاقيات المجتمع وسلوكه إذ بنا هنا فى الشرق الإسلامى نصر ونتشبث بتقليد الغرب وننسى قيمنا والحدود الطبيعية المقررة بين الرجل والمرأة . وندلل المرأة

اندفعها إلى طريق الأهواء والانحراف ، ونحن نعلم أنها فى مجال العمل لا تؤدى مثل ما يؤديه الرجل ولا نصفه ، ونعلم أنها تجرى وراء زينتها وأهوائها . ولكن وراء الدعوة التى تحمل لواءها الصحافة غايات خفية ، تحرص الصحافة على إخفائها بتلك الكلمات البراقة التى تخدع بعض الناس من التوجه إلى الله بالدعاء . وهناك الحديث النبوى المعروف فى هذا من أن الرجل يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له . إن تجاوز الصحافة لمهمة المرأة الأساسية فى بناء الأسرة وتربية الطفل هى نقطة الاختلاف بين طريق الأصالة وطريق الانحراف ، فى فهم الأمور كلها . أما هذا التهليل لامرأة تولت وزارة أو وظيفة أو منصباً فإنه أمر لا قيمة له فى التقدير العام ، فبقدر ما تنصرف المرأة عن مهمتها الأصلية بقدر ما تترك من ثمرة الجريمة والخطأ والاضطراب فى الطفل والأسرة والعلاقة الزوجية ، بل إن إفساد الفطرة النسوية التى تعمل الصحافة — مع السينما والمسرح والأغنية — على تحقيقه قد أدى إلى أن ترى مظاهر تتقزز لها النفوس لأنها تخرج عن طبائع الأشياء ، كأن ترى امرأة تدخل فى معارك عن الأهلى والزمالك أو عن صوت امرأة مغنية أو أن ترى امرأة تكتب تحليلا لقصص الجنس أو تدافع عن صورة الفساد الاجتماعى والخلقى فى مجتمع الغرب .

سادس عشر :

إن الصحافة تقود مؤامرة خطيرة ترمى إلى إخراج المرأة المسلمة من قيمها وأعرافها والحدود والضوابط التى رسمتها لها شريعة الإسلام والأوضاع الأخلاقية الكريمة ، وإحلال أعراف جديدة من شأنها أن تدفع المرأة إلى كراهية الأسرة وانتظار الحمل والولادة ، والهرب من مسئولية تربية الأطفال للبحث عن الأهواء والملذات والسهرات والتخفف من عملية البيت نهائياً .

وإن الهدف من وراء ذلك هو إسقاط الأسرة ، وذلك هدف كشفت عنه مخططات بروتوكولات صهيون وأسس الفكر الماركسى والمادى ، فالصحافة تعمل بكل ما وسعها على تدمير كيان المرأة لإخراجها ودفعها إلى مجالات العمل التى لا تصلح له ، وللخروج من فطرتها وبيئتها وذلك

بالسخرية من رسالتها وعملها الأصيل والتركيز دائماً على تلك الصور الكاذبة التي يصورونها على أنها انتصارات للمرأة .

وقد رأينا كيف هزمت المرأة هزيمة منكرة في أكثر من بلد حين أسلمت إليها مسائل السياسة والحكم ، وجاءت تجربة بندرنيكا ، وأنديرا غاندي ، وإيفا رون ، وجولدا مائير كلها تجارب شاذة فاسدة لم يتحقق معها — إلا الاضطراب والفوضى ، وكذلك في كل عمل تولته المرأة وزيرة أو نائبة أو غيرها من صور الخداع البراق الكاذب الذي لا يستهدف إلا إخراج المرأة من رسالتها الحقة ، ويعرف الذين عملوا مع المرأة في مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة كيف هي قاصرة وفارغة وعاجزة لأنها تخوض أعمالا ليست معدة لها بطبيعتها ولا مهيأة لها بفطرتها ، وأنها مع الأسف ومع نقص تربيتها تربية خاصة بمهمتها لا تعرف إلا مسائل الأزياء وموداث التسريحات والأحذية ذات الكعوب العالية التي تترك عاهاتها الجسيمة في جسمها وأعصابها.

سابع عشر :

كشفت الصحافة طرفاً من خلفيتها في مسألة المرأة حين تقدم بعض المصلحين بدعوة المرأة إلى العودة إلى المنزل واستجابت المرأة لهذا النداء ، فقد حملت الصحافة لواء المعارضة لأنها تعلم أن في هذه الدعوة هدماً لهدف خطير تقوم به فلم تلبث أن صدرت صفحات كثيرة تهاجم الدعوة وتتنكر لها وتصف الداعي بأنه عدو المرأة ، وقال الصحفيون الأجلاء : هذا رجوع لعهد الحريم ، كيف تضعون للأسوار حول المرأة بعد أن حطمتها . وكتبت روز اليوسف تقول : المرأة ترفض نصف الوقت بنصف الأجر . وقال محمد زكي عبد القادر : ليس من السهل إرجاع المرأة إلى البيت فإنه مخالف للتطور وللاتجاه العام في العالم ، ثم إنه ردة إلى الوراء ليست مقبولة بأي منطق أو تبرير .

هذه الحملة لا تهدف إلى الوصول إلى علاج للمشاكل المتفاقمة نتيجة عمل المرأة ولكنها تهدف إلى إبقاء الوضع كما هو ، والحيلولة دون تغييره إلى الأصلح وبالرغم من كل ما قاله الباحثون الاجتماعيون الأعلام :

١ — الدكتور أحمد دويدار وكيل وزارة الاقتصاد .

إن المرأة فى مصر لا تصلح للعمل ما دامت تزوجت وأنجبت أطفالا ، ويجب على الدولة أن تضع قانوناً يجبر المرأة على البقاء فى المنزل . إن هذا يوفر للدولة الكثير لأن إنتاج السيدات ضعيف جداً .

٢ — الدكتورة سميرة بحر ، الباحثة .

نادينا منذ أكثر من عشر سنوات أن على المرأة أن تأخذ أجازة بدون مرتب لتربية أطفالها فإذا أعطتها الدولة نصف المرتب فهذا تقدير لجهود المرأة فى تربية أطفالها بدلا من أن تمتهن المرأة فى المواصلات وتستنزف جهدها فى العمل ، وبالها مشغول مع أولادها فى البيت .

ولقد رأينا عشرات من السيدات الموظفات يوافقن على هذا الاقتراح ويرون أن رعاية أبنائهن أهم من العمل وأجدى ، ولكن الصحافة كانت ضد الخير والحق والاتجاه الصحيح .

وقال سعد الدين الشريف : أنا لست عدواً للمرأة ، إن المجتمع الذى لا يكرم المرأة هو مجتمع مريض ، إنى قدمت اقتراحى لصالح المرأة نفسها ، إنها تعانى يومياً من المواصلات وتتعرض لأنواع من الامتهان داخل وسائل المواصلات كلنا يعلمها ، وهذه المتاعب توصلها إلى المكتب وهى مرهقة مطحونة ، وفى طريق العودة تتعرض لنفس المتاعب وتصل إلى بيتها لتجد فى انتظارها عملا أشق فى البيت بالإضافة إلى رعاية الأطفال .

إنه لأكرم ألف مرة للمرأة أن تبقى فى بيتها تؤدى رسالتها وتصون أخلاقها لأنه لا يمكن أن نزن العرض والشرف والصحة بالمال .

وإذا ضاع الحياء بيننا فلا دين ولا إيمان ولا حياة .

يقولون أن العمل المنزلى لا يحتاج إلى تفرغ كامل للمرأة ، ولكن ذلك مشروط بوجود الطباخة والسفرجى والمربية وجميع الأدوات الكهربائية اللازمة ، وهل هذا متوفر بالنسبة للغالبية العظمى من النساء العاملات الكادحات . أما الذين يقولون أن عمل المرأة يمتص الخلافات الزوجية فأرد عليهم بأن

هذه الخلافات تنشأ من توتر الأعصاب والاجهاد بعد العودة من العمل، والمادة ليست كل شيء .

أن ٨٥ فى المائة من السيدات رحبن بالاقتراح وللأسف فإن أغلب المعارضين من الرجال، ويقولون أن عودة المرأة إلى البيت هى ردة وعودة إلى عصر الحريم وينسون أننا نعطى المرأة العاملة نصف مرتبها إذا لزمت البيت مقابل تربية أبنائها جيل المستقبل الذى تحتاجه البلاد .

أنا أطرح على المعارضين السؤال : إذا كانت المرأة وزوجها فى العمل فأين الطفل ؟

إن علماء النفس والتربية يؤكدون حاجة الطفل إلى حنان الأم وعطفها فى السنوات الخمس الأولى حيث تتكون الطباع ، وأن الطفل يكون فى هذه المرحلة سلوكه وأخلاقه التى تبقى معه طيلة عمره ، وأن الطفل الذى لا يجد الرعاية والحنان يتحول إلى عاق شرير قاس .

وهذه طبيعة أغلب الأطفال الذين ترعاهم دور الحضانة أو الشغالات . وإذا تدرجنا فى مراحل نمو الابن نجده فى حاجة إلى رعاية الأم وتوجيهها فى المرحلة الأولى من التعلم حتى سن المراهقة حيث إن الصبى أو الفتاة يكونان شديدى التأثر بالبيئة المحيطة بهما ، وفى حاجة دائمة إلى رقابة الأم التى تسارع إلى الأب إذا رأت أى عارض يعترى أولادها ، ويتعاون الاثنان بحكمة وتفهم وعلم إلى علاج هذه الحالة قبل استفحالها .

إن الجهد الحقيقى للمرأة هو فى رسالتها المقدسة قبل المجتمع ، وعليها أن ترعى الله سبحانه وتعالى فى وطنها وأولادها وزوجها وبيتها ، إننا نحمل المرأة « الحامل » فوق طاقتها . إنها لا تستطيع أن تؤدى عملها على الوجه الأكمل ، وهى لذلك تلجأ إلى الإجازات من إجازة وضع إلى إجازة رضاعة إلى مرضية، فإذا نادينا بإعفائها من هذا كله بإعطائها إجازة إجبارية بنصف مرتبها لمدة خمس سنوات أكون عدواً للمرأة .

ونقول : وهل من يفعل هذا يكون رجعياً وداعياً إلى عودة عصر الحريم؟

الواقع . أن الصحافة تقتل كل دعوة إلى الخير والحق وتجهضها حتى يظل طريقها ممهداً إلى الفساد والظلم والهدم ولكن إلى حين .

وتعلق جريدة الجمهورية فى سخرية : البعض يفضلونها ست بيت : ولكن السيدات يدمغن الصحافة فيقلن أن أغلب مرتب الزوجة يضيع فى المواصلات والأحذية والملابس وهي بعد أن تفقد عافيتها تفقد أولادها الذين يتربون على أيدى الخادمات وينشئون على عقوق وجفاف خلقى واضطراب نفسى . وتستطيع المرأة أن توازن الأمور وترجح كفة المكسب والخسارة.

الصحافة العربية تحارب التيار الإسلامى :

من أبرز الظواهر التى كشفت عنها الصحافة العربية فى معارضتها للحق وفطرتها موقفها من التيار الإسلامى تحت اسم « العودة إلى الله » الذى حملت لواءه الفتاة المسلمة حين صدعت بالحق وخلعت الزى العصرى والتمست الزى الإسلامى الأصيل . وإذا كان للصحافة الحق أن تستكشف الظواهر الجديدة فى المجتمع فإن من حق الناس عليها وإليها مسئولية الكلمة وأمانتها أنها إذا وجدت ظاهرة طيبة كريمة أن تشيد بها ولكن العكس هو الذى حدث فإن ذلك الصحفى الذى أوفدته مجلة صباح الخير إلى المدينة الجامعية للطالبات فى جامعة أسيوط وتحدث إلى الطالبات عن حاضرهن ومستقبلهن لم يقبل اتجاه الأصالة والكرامة واتهم الطالبات بأنهن مضللات .

كان السؤال عن زوج المستقبل وكيف يكون اختيارهن له :

قالت إحداهن : إن الحب ليس شرطاً للزواج وأن الواحدة منهن يجب أن تتزوج الرجل الذى يختار له والداها حتى لو كانت ترفضه .

فيعلق الصحفى فيقول (صباح الخير ١٦ يناير ١٩٧٥) :

أى جامعة هذه وأى طالبات جامعيات هؤلاء فى النصف الثانى من القرن العشرين . حيث المرأة مساوية للرجل وتصعد إلى الفضاء، إن كل ما يفعله المجتمع وكل ما تفعله الحكومة من تعليم البنت وتشغيلها وما تفعله زعيمات النشاط النسائى فى مصر لتأكيد هذه المساواة وتربية المرأة المصرية على الخروج

على عقلية الحريم تهدمه مثل هذه الأساليب فى التربية والرعاية فى المدن الجامعية للطلاب .

ثم سخر الصحفى سخرية واسعة من أن تنصاع الفتيات لرأى أسرهن فى اختيار الزوج حتى تخرجهن . وتحدث عن العصور الوسطى حيث كانت المرأة تستعذب الرق والخضوع للرجل والاستكانة إلى المنزلة المتخلفة التى وضعها فيها بحكم السيطرة الاقتصادية .

وهكذا نجد أن الصحافة تحرض الفتيات على الخروج عن القيم والدين وطاعة الأهل وتدعوهن إلى التمرد ، والانحياز إلى دعاوى الانحلال والتحريض على الفساد وتحطيم قيم المجتمع .

كذلك ما نرى من كتابة بعض المجلات النسوية من مهاجمة الفتاة المسلمة التى ترتدى الزى الإسلامى ، فقد كان انتشار هذا الزى طعنة فى صدور تجار الفسق والفجور الذين يعيشون حياتهم العامة والخاصة دون قيم ولا مثل ولا شعور بكرامة العرض .

إن أخطر ما تقوم به الصحافة أن تهاجم تيار الأصالة والكرامة والعرض الشريف وكل اتجاه كريم ، ويقوم صحفى قليل الثقافة والخبرة لا يعرف حدود الله ولا أصول الشرع ليهاجم هذا الاتجاه وهو فى ظل هذا الاتجاه يحمى أخته وابنته وأسرته من عوارض الفساد وتيارات الرذيلة ، وقد كان أولى به أن يشجع هذه الظاهرة ويرعاها إلا من كان فى نفسه مرض وله هوى مع الانحراف .

إن أخطر اتجاهات الصحافة هى تشجيع مثل هذا التيار الداعى إلى الانحلال والمشجع لمثل هذه الانحرافات وغبن الاتجاه الأصيل فى الطريق إلى الله وتحرير المجتمع من الفساد الذى قدمته الدعوات المنحلة والهدامة خلال سبعين عاماً .

ولعلك تعجب حين ترى جريدة وقورة كالأهرام تتهم السيدة خديجة رضى الله عنها بأنها حولت دارها إلى حزب نسائى (الأهرام ٢١-٩-١٩٧٥) ووصفتها بأنها كانت تدعو إلى تحرير المرأة .

ويشير الدكتور يحيي هاشم إلى انحدار الصحافة إلى هذا المستوى من الافتراء على إحدى أمهات المؤمنين بأن ينسب لها ما هي منه براء دون بينة أو دليل معقول : إنه لا يوجد مرجع واحد يشير من قريب أو بعيد إلى هذه المزاعم الساقطة من دعوتها إلى حقوق المرأة أو منافستها الرجال فى التجارة أو تزعمها النساء إلى تحرير المرأة ، ذلك أن هذه الحقوق نزل بها الإسلام بعد هجرة النبي إلى المدينة ، وتمكن من إيجاد المجتمع الإسلامى الآمن من كل سيطرة أو عدوان . والسيدة خديجة توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ، أما أنها كانت تنافس الرجال فى التجارة فهو تعبير جارح لأنها رضى الله عنها ما تاجرت قط بنفسها بل وكلت عنها من يقوم بذلك من الرجال ، وكان ذلك قبل الإسلام فلما تزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت ذلك فلم تشتغل بأى تجارة لا قبل بعثته ولا بعدها وما سمعنا قط أنه كان للنساء أعياد خاصة بهن أو أن السيدة خديجة قد حولت دارها إلى مقر لحزب نسائى قبل الإسلام ولا بعده .

ولست تجد أغرب من مجلة مثل أكتوبر فى اهتمامها بكباريهات شارع الهرم ومجتمع النساء الثرثارات فهى تفسح العديد من الصفحات للنساء التافهات وحفلاتهن الساطعة . ثم لأحمد عدوية مطرب السكارى والمخمورين والهاربين من وجه العدالة والقطط السمان فى كباريهات الهرم ، ثم هى توجه النقد والسخرية لمن يرتدين الزى الإسلامى ومن الدكتورة سعاد ماهر لأنها لو تدث هذا الزى الإسلامى المحتشم .

* * *

الباب الثانى

صحافة الإثارة والجنس

أولاً : صحافة الإثارة والجنس

ثانيًا : مدرسة الإثارة



الفصل الأول
صحافة الإثارة والجنس

لو أن مسابقة عالمية عامة عقدت لتضع تعريفاً موجزاً للصحافة العربية في مرحلة الهزيمة والنكبة والنكسة لما أمكن أن تخرج عن أنها صحافة الإثارة في كل ميادين الكتابة . صحافة البحث عن الكلمة الصارخة والحادثة المثيرة والموقف العنيف والصورة المكشوفة . لقد كان رؤساء تحرير الصحف يسوقون المحررين والكاتبين يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة للبحث عن المثير والغريب والشاذ .

وأن ذلك كان يستدعى أن تكون الحصيلة كلها هى التفاهة والاضحاك وتوهم أن الأمور حين تجرى على طبيعتها وأن الأحداث حين تمضى فى يسر فإن ذلك كله لا يعد عملا صحفياً ، ولم يكن هذا الاتجاه إلا واحداً من عدة اتجاهات فى الصحافة الغربية ، ولكنه هو وحده الذى اختاره الذين أشرفوا على الصحافة العربية ليجعلوه منطلقاً وحيداً إلى نقل الأحداث والأخبار والصور والمواقف إلى القراء فى البلاد العربية ، إلى حد أن أحد رؤساء التحرير كان لا يقبل أن ينشر خبراً أو كلاماً أو باباً من الأبواب إذا لم يكن « زاعقاً » أو « عاصفاً » أو فيه شقشقة الإثارة ، فكل ما سوى ذلك يجب أن يلقى فى سلة المهملات ، وأن الصحيفة يجب أن تصدر وهى تحمل العناوين الصارخة وأن تتصدرها الأحداث المثيرة فى الجريمة والجنس والحب والفن والمرأة .

ولقد كان من أثر ذلك أن نشأت فى نفوس قراء الصحف فى البلاد العربية تلك « العادة » السيئة التى تضيق بالصحيفة إذا لم تكن تحمل المثير والغريب ، ولما كان المثير والغريب فى طبيعة الأمور والحياة هو العارض

الذى يحدث بين آن وآخر فقد أصبح ترقبه وانتظاره وطلبه عاملا خطيراً يدعو الكتاب إلى تصيد الأحداث وتحريف الواقع وخلق القصص الكاذبة والإضافة والحذف حتى يتحقق لهم إرضاء رؤساء التحرير بتقديم المثير والغريب ، إلى أن أصبح أحدهم يلجأ إلى التلفيق واختراع الأحداث .

وما بالك بخبر يروى عن جريمة من الجرائم فلا يهم الصحيفة إلا الجلباب المخطط ذى اللون الأحمر أو الأزرق الذى يلبسه المتهم أو الحذاء ، أو القلنسوة ، أو أن تجد صحفياً ينقل فتاة تبيع أعقاب السجائر إلى لوكاندة فاخرة ويلبسها ملابس الراقصات أو الممثلات ثم يذهب بها إلى محل مصفف الشعر وإلى محلات الأزياء ثم إلى الحفلات المثيرة وحفلات الرقص ليصور من ذلك كله « تحقيقاً صحفياً » يقدمه للقراء .

هكذا تحولت الصحافة العربية فى هذا المرحلة إلى صحافة الإثارة والجنس ، من خلال تقديم الأخبار المثيرة ، والصور الصارخة ، والبحث عن فتاة فى خمار الناس ، أو إجراء كلام مسموم على لسان ممثلة أو راقصة أو مغنية من أولئك الذين ساهمن بجزء من أموالهن فى رأس مال الصحيفة بإغراء أن تدافع عنها الصحيفة ضد من يحاولون الهجوم عليها أو ضد خصومها الآخرين .

والمعروف أن السيدة روز اليوسف الممثلة المشهورة قد اتجهت إلى إنشاء مجلة تحمل اسمها واستخدمت لها الأستاذ محمد التابعى بهدف واحد هو أن تهاجم خصومها من الممثلات المنافسات . ومن هنا أسهمت أم كلثوم فى إنشاء أخبار اليوم التى حمتها من كتابات كانت تملأ الصحف عنها قبل ذلك .

وقد وصف محمد التابعى — الذى كانوا يعدونه أستاذ الجيل كله من الصحفيين الذين خرجتهم مجلة روز اليوسف — الصحافة بأنها ذات تبعية خارجية متعددة الألوان ، فقال بالنص :

« هذه الصحيفة صنيعة أمريكا وهذه الصحيفة مأجورة للإنجليز ، وهذه المجلة تصدر بأموال شيوعية ، وهذا الصحفى يتلقى أوامره ومرتبه الشهرى من موسكو أو وارسو أو براج . وهكذا أصبحنا جميعاً نحن الصحفيين بين

فاسدين ومفسدين ، ومنافقين وخونة ، مأجورين للكتلة الغربية والكتلة الشرقية . وأصبح الشعب فى حيرة من لسانه المسموم ، الصحف التى أيدت الطغيان ودافعت عن الفساد . الصحفيون الذين مرغوا جباههم تحت أقدام الطغيان بعد أن أسفر الطغيان » . (أخبار اليوم ٢٥ - ١٠ - ١٩٥٢) .

والمعروف أن محمد التابعي هو رأس مدرسة الإثارة ، بدأها عام ١٩٢٦ فى مجلة روز اليوسف ثم بعد أن خرجت روز اليوسف أجيالا من الصحفيين تبلورت المدرسة فى دار أخبار اليوم التى صدرت عام ١٩٤٣ واتسعت من بعد ووضعت اسم محمد التابعى على رأس جريدتها اليومية باعتباره الأستاذ الأعظم حتى قريباً من وفاته (سنة ١٩٧٦) .

وفى الناحية الأخرى كان فكرى أباظة على رأس صحف دار الهلال فهو فى مقدمة الذين عملوا مع أبناء زيدان (إميل وشكرى) منذ عام ١٩٢٦ أيضاً إلى أن توفى عام ١٩٧٩ وكان هو حامل لواء الصفحات المثيرة عن أخبار الناس وأخبار البلاج وملكات الجمال والسخرية بكل القيم الاجتماعية فى مجلات المصور والكواكب وحواء (وما تزال تصدر) والدنيا الجديدة والفكاهة وكل شيء والاثنين (وقد توقفت) .

وقد مرت الصحافة بأدوار مختلفة كان أبرز اهتمامها أخبار الناس وتعقب الأسر والفتيات فى البيوت وفى الأندية والاحتفال بأخبار علاقاتهم الخاصة والاهتمام بأخبار الممثلات والمغنيات والراقصات وتقديم ذلك على أوسع نطاق .

وقد تطورت أساليب الإثارة والإغراء بأن أصبحت هذه الأبواب تطعم ببعض الأخبار الجادة أو الأحداث التى تتعلق بالشخصيات العامة حتى تكسب ثقة القارىء فيها من باب الخداع ولكنها فى الحقيقة لاتهدف إلا إلى تكبير صورة عالم الفن كما يسمونه والاهتمام به والتركيز عليه وتكريم أهله ورفعهم فوق كل مستوى وآية ذلك باب :

أحاديث الناس فى الأخبار ، بدون عنوان فى الأهرام ، حديث المدينة فى الجمهورية .

ولا يتوقف بث الإثارة عند هذا الحد بل أن يوزع توزيعاً عادلا على صفحات السينما والمسرح والإذاعة ، وعلى صفحة الرياضة وصفحة الجريمة وصفحة الإذاعة (هذا فى الصحف اليومية) أما فى المجلات الأسبوعية فإنه يتقدم إلى أبواب الرد على الأسئلة ، والقصة ، وهو وهى ، والبحث ، والكلمات المتقاطعة ، وباب الأدب وأسرار النجوم . وغيرها وغيرها .

فى كل هذه الأبواب سموم منثورة ، وأشواك مطروحة ، وكلمات موحية من هنا وهناك يراد بها تثبيت مفاهيم وأعراف وتقاليد تختلف تماماً عن مفاهيم الإسلام وقيمه ، بل وتتعارض معها بحيث تصبح بتوالى النشر عنها أشبه بالمسلمات التى تبدو وكأنها مشروعة أو غير متعارضة مع ما تجرى به الحياة الاجتماعية من انحراف واضطراب .

وفى مجال القصة والكرة والجريمة والصورة العارية والكاريكاتير الساخر والشباب والمرأة تجد السخرية اللاذعة بكل مفاهيم الدين ورجاله والدعوة إلى تجاوز الحدود والضوابط التى تحقق الأهواء والرغبات ، وفى المجموع العام لحصيلة التى تقدمها الصحافة تجد ظاهرة « التفاهة » فالمحاولة كلها تهدف إلى خلق مزاج نفسى اجتماعى من مجموعة من المعلومات السخيفة الساذجة التى تجعل من أبناء المجتمع جماعة من التافهين الذين لايستطيعون الارتفاع إلى قدر من الثقافة العالية أو الفهم الأصيل للحياة ، أو امتلاك الإرادة لمعرفة وبحث ودراسة القضايا العليا .

يبدو ذلك واضحاً فى الموضوعات المثارة دائماً :

الراقصة التى قادت مظاهرة فى الأمم المتحدة .

من هى مدام نو : المرأة التى ترأس شبكة مخابرات مكونة من ٢ مليون فتاة وسيدة .

من هى الراقصة الثرية المشهورة التى كتب عنها الجراح نجيب محفوظ فى مؤلفاته ، ومن ذلك قولهم : إن أم كلثوم مثل الأهرام .

وتمضى صحافة الإثارة فى تتبع تفاصيل الفضائح بكل ما فيها من إثارة وقذارة وخروج على أبسط ما يجب أن تضعه أمامنا من حدود تفرق بين الخبر وبين حواشيه الداعرة . وهى حين لا تجد قصصاً جديدة تجدد القديم مثل قصة كريستين كيلر ، إنه انتقاء دائم للمثير الذى لا ينبغى أن يكتب ولا أن يقال ، ويرى بعض الصحفيين أن الإثارة هى سر النجاح الصحفى ووسيلته .

وما من صحفى يذهب إلى بلد من البلاد إلا وتكون مهمته الأولى هى هذا الجانب ، إبراهيم سعده يكتب من هونج كونج : خمر وجنس وأفيون. سعيد سنبل يكتب من لندن عن التقليعات الشاذة ، والهيبية والنساء الداعرات والخنافس .

ويكتب أنيس منصور عن مؤتمر الأدباء فى بغداد فيقول أن الأدباء كانوا يجلسون فى عشرات المطاعم فى شارع أبى نواس يأكلون ويشربون ويضحكون ويحبون وينظرون بعين واسعة جريئة إلى الميني جب تحت العباءة السوداء ، ثم يقول هذه العبارة الشريرة :

(ويبدو أن هناك اتفاقاً سرياً بين النساء والرجال أن تكشف المرأة وبسرعة صدرها وساقيها بشرط أن ينظر الرجل) .

وهناك مقالات عن بعض البلاد الأوربية لاتعدو أن تكون إعلانات للسياحة موضوعة فى قالب مقال أو تحقيق صحفى ، عشرات المقالات للتابعى وطه حسين تتحدث عن الإغراءات وكيفية استقبال الربيع فى باريس وصور عارية وخمور ونساء . وحديث عن مونت كارلو التى تقوم على القمار ، وهناك صور الفساد المختلفة بهدف إغراء القادرين على الذهاب للانفاق ، بل إن التابعى لم يتورع أن يكتب فى يوم ما عن رحلات التصييف إلى مصايف إسرائيل !

ويفيض التابعى فى الحديث عن الشذوذ الجنسى الذى أصبح فى بريطانيا عملية قانونية أو ما يسمونه الجنس الثالث : نتيجة انتشار مودة الخنافس فى أوروبا .

ويقول التابعى أن هذا ليس غريباً فإن الشذوذ قديم قدم التاريخ ومنذ عهد لوط . هل مهمة الصحافة : هى عرض الشر أم تبرير الشر .

تقول جريدة أخبار اليوم : كانت النتيجة ظهور جنس ثالث غير الرجل والمرأة ، جنس لا يمكنه أن يجزم بأنه فتى أو فتاة لأول وهلة . ولقد أطلقوا على هذه التقليعة اسم الجنس الحيادى أو الجنس الموحد .

(الولد أشبه بالبنت والبنت أشبه بالولد إلى حد كبير) .

هل هذه مهمة الصحافة : عرض الشبهات دون تعليق ، هذا خبر غربى لا يتصل بمجتمعنا فلماذا الاهتمام به ، وإذا عرض أفلا تقتضى الأمانة الصحفية ومسئولية القلم الذى أقسم الله تبارك وتعالى به والذى سوف يسأل أصحابه يوم القيامة عما كتبوا : أليس من الأمانة لهذه الأمة التى يأخذون أموالها . أن يقولوا لها الحقيقة : أن هذه المحاولة مؤامرة لها هدف ومخطط له ترتيب فى بروتوكولات صهيون يرمى إلى القضاء على الأصالة ، وهدم رجولة الرجل وأنوثة الأنثى . لا تثريب على الصحف أن تنشر أخبار العالم ولكن من مسئوليتها أن تهتدى إلى الحق وأن تفسر الأمور ، وأن تقول للمسلمين والعرب شيئاً يتفق مع قيمهم ومفاهيمهم ، إن هذه الأخبار تستهدف إغراء ذوى النفوس الضعيفة والسذج والأغرار ، وترمى إلى نشر التفاهة ، ومحاولة إغراء القارىء العربى والمصرى ليعجب بها ويتلقفها ويحاول تقليدها على النحو الذى نراه من تأثير أفلام الجنس والجريمة حين يقوم الشباب بتقليد وقائعها ولا تستحى الصحف أن تقول إن ظهور الخنافس أدى إلى نجاحهم وجعل الشباب والفتيات يقلدونهم فى كل شىء .

(٢)

لا يتوقف بث السموم فى مجال واحد ، بل إنه متصل ومستمر على جميع الجبهات .

أولا : محاولة نقض مفاهيم هى من صميم الدين : كالجدل حول الختان وإثارة الشبهات حوله والدعوة إلى إلغائه والسخرية به ، ووصفه بأنه مصدر

الشر والسخرية بالقول الصادق من أن الختان يحمي الفتاة من الانحراف . لماذا ؟ لأن أصحاب الشهوات يريدون أن يحطموا أمراً يزعجهم هو ختان الفتاة المسلمة الذي يجعلها بعيدة عن مؤثرات الإغراء . إنهم يحاولون أن ينكروا علاقته بالدين، يقولونه أنه عادة ، وأن عليه أن يختفي ، لا لأن الأوربيين لايفعلونه ، بل إنهم يرونه مظهراً من مظاهر التخلف ، وهو ليس كذلك. إن دعاة هذه القضية ورجال العلم المادي لا يعلمون أبعاد هذه المريضة الدينية ويرددون أنها عادة سودانية تتبع لتجريد الفتاة الصغيرة التي تصل مرحلة البلوغ بحكم ظروف مناخ بلدها الحار في سن مبكرة لا تزيد عن عشر سنوات ، تجريدها من أجزاء ذات حساسية في جسدها الصغير . وتجعل نضوجها الجنسي يتأخر لأقصى درجة ممكنة، وأن هذه العادة تحقق السعادة لزوجها عند الزواج. هذا ما يرددونه وهو كله كذب وهراء ، فإن الختان له آثار طيبه وقد أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم على نحو معتدل فقال : « ولا تنهكي » فهو نظام اجتماعي له أهميته ونتائجه الطيبة ولكنه يجد من الصحافة الهدامة دعوة مستمرة إلى الاعتراض .

ثانياً : ترويج نظريات فاسدة كاليوجا :

فإن الصحافة لا تلبث أن تردد هذه الدعوة الضالة . وتوحي للقارىء بأنها علاج ونجاح ، وتجزم بالنتائج ، ولا تقول مرة أنها محاولة أو فكرة قد تصلح أو لا تصلح وتقدم تجارب إميل سمعان وغيره . كنت تلميذاً في مدرسة اليوجا ، ويردد هذا الهراء أحمد رجب وغيره . .

ولو دروا أنهم مبطلون فإن في الإسلام كل خير في اليوجا وفي حماية من شرورها .

ما معنى أن إميل سمعان يذهب إلى الهند ثلاثة شهور في السنة حيث يصعد إحدى قمم الهملايا ويظل واقفاً على رجل واحدة لمدة شهرين فارداً ذراعيه لمدة شهرين ، متنفسا من جانب واحد من أنفه لمدة شهرين ثم يعود مشياً على الأقدام . وأن المشي فوق سطح المحيط الهندي ممكن لليوجي المخلص .

ما هذا العبث الذى تنشره الصحف لتضحك على ذقون الناس وتخدع السذج والأغرار وتنشر التفاهة تحت دعوى عريضة هى نشر الجديد والمثير .

ويتساءل أحمد رجب : أترى لو أخلصت لليوجا أصل إلى مرحلة الرادجايوجا وبذلك أقف على قدم واحدة ولكن بلا قدمين أصلا ، يعنى معلقا فى الهواء . ويقول : تصورت أن الصديق يقوم معى بدور أبو لمعة وأنا الخواجة بيجو . ونحن نقول : إذن لماذا تقديم أمثال هذه التفاهات لأمة لها من مفاهيمها وصلاتها وعبادتها ما يحقق لها كل الآمال المرتجاة من التركيز والصبر وسلامة الرؤية وحسن العمل وبناء الإرادة .

يا قوم : لسنا فى حاجة إلى أهوائكم وتفاهاتكم فكفوا عنا .

إن المسلم ليس فى حاجة إلى إراحة الأعصاب من التشنج أو التوتر المرهق لها فهو يؤمن بأمر الله كله ويرضى عنه . وهو مستغن عن اليوجا التى تدعون أنها تركز الذهن بهداية القرآن وجمع القلب حول مناجاة الله باسم من أسمائه والاقبال عليه بالصلاة التى تعتبر أعلى درجات ذكره (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) فهذه طريق الإسلام إلى توفير سلام النفس وتخليص الإنسان من همومه اليومية وتوتر أعصابه .

ثالثاً : الترويج للسوالف الطويلة والقمصان الملونة :

تهتم الصحافة بنشر أخبار الحلاقين الذين يتحدثون عن « مودات جديدة » للسوالف وحضور مؤتمرات تعقد فى أوربا لهذا الغرض ، ووصفات تتعلق بإضافة محلول كذا إلى الماء أو إلى العطر لإحداث تلميع أو تبريز للشعر ، وكان حقاً على الصحافة أن تكون أمينة على شباب الأمة وأن تكشف له عن خلفية السوالف الطويلة وأنها من ابتداع الصهيونية التى عملت على إشاعتها لتجرب مدى قدرتها على بث التقليعات القبيحة والشاذة بين الشباب ومدى تأثيرها عليهم ، وقصة سوالف اليهود معروفة منذ أخرجهم ملك بابل إلى أرضه ٥٨٧ قبل الميلاد ، هناك أرادوا تمييزهم ليعرفهم الناس فأمروا أن يطيلوا سوالفهم واعتبرت هذه السوالف سمة لهم (دبو الزلف) وفجأة ظهر ممثل يهودى

فى رواية سينمائية بسوالف طويلة لأنه يهودى ولأنه يمثل دور يهودى متدين .
وبدأت اللعنة .

واستطاع اليهود خداع الشباب فى العالم كله فجعلوه يهودى المظهر والهوية .

ثالثاً : مودة الصدر المكشوف :

وتعجب حين ترى رجلا معدوداً من العلماء أمثال الدكتور حسين فوزى يكتب فى الأهرام (٢١ - ٨ - ١٩٦٤) عن مودة الصدر المكشوف ، وبعد أن يفيض فى هذا الحديث ويحسنه ويغرى به كل قارىء يقول : وقى الله بلادنا هذه التبرجات المهبولة . ونقول : كيف نتقيها وفينا من يعرضها ويقدمها فى إغراء شديد وإعجاب بالغ مع صور غاية فى الكشف والإغراء .

والدكتور حسين فوزى لا يتردد فى القول بأنه من دعاة الحضارة الغربية فى فسادها ومجونها وانحرافها وفنونها الداعرة من موسيقى ورقص ومسرح ، ولا يترك فرصة دون مهاجمة الحضارة الإسلامية والادعاء كذباً بأنها انتهت . ويكذب حسين فوزى حين يرى أن شئون الزينة تتصل بالعادات والتقاليد بينما هى فى الحقيقة من أصول الأخلاق .

رابعاً : تأصيل كتابات الجنس :

وذلك باستغلال الأحداث وإبرازها والتوسع فيها وتحويلها من أحداث فردية إلى ظاهرة عامة فى المجتمعات ونقلها إلى مجال القصة وإلى مجال الجريمة وإلى مجال الاجتماعيات والتركيز على المرأة تركيزاً شديداً : ملابسها ، أزياؤها ، مفاتنها ، المرأة فى السينما ، المرأة فى الرقص ، المرأة فى الغناء ، تحت اسم الفن ، ووضع إطار وهمى زائف لهذه الصور واعتبار الفن علماً له أصول . وواقع له قداسة وتقدير ومعجبون ورسالة ، ووصف هذه الرسالة بأنها كرسالات الأديان .

ويهدف هذا كله إلى خلق مثل أعلى (ضال ومسموم) للفتيات من الفنانات والراقصات والمغنيات وخلق مثل أعلى للشباب من لاعبي الكرة والممثلين والراقصين ، وهذه هي أخطر محاولة للصحافة ، وكل ما وراء الصحافة بعد ذلك لا قيمة له . وقد رفعت الصحافة كتاب أدب الفراش وأغاني الجنس إلى أعلى الدرجات أمثال يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ونزار قباني .

ثم هناك الخوف المبيت من كلمة الدين واعتبارها مصدر الخطر ، والمراوغة في تفسيرها واعتبار كل من يدعو إلى أخلاقية المجتمع أو تطبيق أصول الشرع مخرفاً أو دجالا ، أو راغباً في الهدم ، هكذا تنطلق أقلام محمد التابعي وإحسان عبد القدوس ومصطفى أمين وأحمد بهاء الدين .

وقد زيفوا المثل الأعلى للمرأة وقدموا للشباب صورة أخرى باهتة تافهة ، وزيفوا المثل الأعلى للرجل وقدموا للفتاة صورة منحرفة خادعة . ودخلت مفاهيم زائفة وكاذبة على علاقات الشباب والفتيات والمرأة والرجل هدمت الأسرة ، ولقد كان حقاً للمرأة أن تسأل : ما هو المثل الأعلى للشباب الذي يصلح زوجاً ، رجولة وإيماناً وخلقاً . وكذلك على الرجل أن يسأل عن الفتاة المؤمنة . أما هذا الزيف فإنه مضروب بالباطل وذاهب إلى نهايات كلها هزيمة وشر .

خامساً : فساد مفاهيمهم عن الموت :

يقول يوسف إدريس في ظروف وفاة كامل الشناوي عن الموت :

« ولكن الغادر - أي الموت - لم ينتظر لكي يريه الفجر ، ضن عليه ببضع ساعات ، يا موت رفقاً بكامل الشناوي ، يا موت دعه يرى الشروق وهو يقبل على القاهرة كما كان يريد ، يا موت ، حين تحين النهاية اجعله ينام في سلام كما ينام الأطفال ، ربك خده ، وهدهد عليه . ضمه بحب كما كنا نضمه ، كم كان شفافاً أيها المعتم ، كم كان ذهباً متوهجا يا أيها الغبي المغلق ، كم كان إنساناً . كم كان يخافك يا ملعون ، يا حق ، يا من

لا مهرب منك . ولكن الموت ، ذلك الصديق الغادر ، فى غل بارد ، وبإرادة حديدية متجمدة ، كان يضمر له النهاية ، فاجأه مرة بأن انقض عليه وحيداً ، من فرط ثقتى قد خلت أنه أقوى من الموت حتى لو ربط الموت فى فراشه ، كنت متأكداً أنه خالد ، يا كامل لا تمت ، تلك اللحظة التى تلقى فيها عدواً ظالماً خشيته ، النهاية التى ليس بها إلا رفيق كئيب مستمر لا يأخذ ولا يعطى ولا يتكلم » .

هذه هى مفاهيمهم عن الموت وحديثهم معه ، وهو حديث ضال مظلم يدل على أن صاحبه لم يعرف كلمة واحدة من المفاهيم التى قال بها الدين ، أى دين - عن الموت ، ولقد كان أولى به أن يخشع وينتظر نفس المصير ، ضربة القدر قبل الموت ، التى تلحق بكل هؤلاء الضالين المبطلين الذين لا يعرفون الله ولا يلتمسون طريقه الحق .

وماذا كان يفعل كامل الشناوى بالصباح إذا أشرق ، إلا أن يلقاه كما كان يلقاه دائماً غارقاً فى أهوائه ، هل كان ينادى الله إذا أشرق الصباح أو يتذكر أن يوماً جديداً قد أقبل من عمره وأن عليه أن يعمل فيه خيراً أم أنه كان يستقبل الصباح بالنوم ، ويستقبل الليل بالسهر ، دون أن يستجيب لحق واحد من حقوق الله عليه ، أى رفق يتوقع يوسف إدريس من الموت لهؤلاء الضالين الذين لم يضعوا جباههم على الأرض لله يوماً ، وكيف يمكن أن يخاطب الموت بمثل هذه اللغة ، والموت حق نعلم جميعاً أنه ينتظرنا وأنه ينقلنا إلى عالم جديد ، وأن الموت ليس هو النهاية التى يتصورها يوسف إدريس حين لا يؤمن بالبعث من جديد والوقوف بين يدى الله والحساب والجزاء ، فما الموت إلا نقلة من حياة إلى حياة أخرى وهى لاتخيف إلا الضالين والظالمين الذين لم يقدموا شيئاً والذين عاشوا حياتهم فى أهواء التيه والضلال .

أما كامل الشناوى فحسابه أشد عسراً لأنه حفظ القرآن وتعلم فى الأزهر ونشأ فى بيئة الدين ثم خرج على كل هذه القيم وهجرها وفضل حياة الضلال والهوى .

ولا ريب أن إذاعة هذا المفهوم الفاسد عن الموت ، كما يصوره دعاة الفكر المادى وكتاب الوجودية والماركسية حين يتردد فى مقالات تنشرها الصحف كل حين إنما يوحى للقارئين بأنه مفهوم الموت بينما هو مفهوم زائف مضلل ، وأن المفهوم الإسلامى الأصيل يختلف عن هذا اختلافاً كبيراً . فنحن نؤمن بالموت كحقيقة أساسية يقوم عليها مفهوم العمل كله فى الدنيا ، ونؤمن بأن بعد الموت بعثاً ونشوراً وجزاء وحساباً وعقاباً وجنة وناراً وأن الدنيا مزرعة للآخرة ، ولذلك فنحن لا نخاف الموت ونؤمن بأنه يحمل للمؤمنين الرضوان والخير ، وأنه نهاية كل حى وأنه حين يأتى فتلك نهاية عمل الإنسان فى الحياة يتقبلها فى رضى واستبشار ، وليس فى جزع وخوف ، ذلك أنه لا يخاف الموت إلا أصحاب الأعمال الشريرة الفاسدة أولئك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم فهم يرهبون لقاء الموت لأنه يضعهم على حافة الحساب والعقاب .

سابعاً : ترديد الدعوات المسمومة التى أذاعها الانحلاليون والماديون فى الغرب ، ومن مثال ذلك ما تجد من عشرات الأحاديث والقصص والكتابات عن سارتر وفرويد وماركس وهربرت ماركوز ، وكلها كتابات تحفل بالعبارات المسمومة والإيحاءات الضالة .

فسارتر تصدى لقيم المجتمعات وسخر من المفاهيم الأخلاقية وحرض بالثورة على الآباء وتقاليدهم ، والتهكم على المجتمع والاستهتار بأوضاعه، ونادى بأن الإنسان ما ولد إلا ليموت وما أحقر الحياة إذا لم يقطف الشباب قطوفها دون ما خوف من حساب أو عقاب مشكوك فيه ، وقرر أنه ليس وراء الموت إلا الموت وما الله — جل وتعالى عما يقولون علواً كبيراً — وجنته إلا أفيون الشعوب ، ونادى بالعودة إلى الدهرية القديمة وفكر الجاهلية الأولى.

ولا ريب أن سارتر وفلسفته قد أدت دوراً كبيراً فى هدم المجتمعات الغربية وإفساد الشباب وتدميره ، وكانت إحدى وسائل الفكر الصهيونى التلمودى فى تدمير المجتمعات ، وقد ركزت على الشباب بالذات لتحطيم معنوياته ودفعه فى طريق الغواية .

وتحرض الصحافة العربية على أن تقدم أفكار هربرت ماركوز اليهودى الذى اتّهم كلا من الرأسمالية والاشتراكية بالمادية ووفرة البضائع الاستهلاكية وبعدهما عن الوجدان والروحانيات ، والذى يتجه إلى هدفه الحقيقى من اتهامه وهو تحريض الطلبة والنساء والزنوج المتنورين فى كل مكان للخروج على المجتمع القائم إلى مجتمع اللذة تباح فيه المحظورات والاستمتاع الجنسى والعاطفى والجمالى بلا رادع من دين أو خلق أو تقاليد .

وتحاول الصحافة العربية أن تنقل نفس المادة وتقوم بنفس الدور الذى تقوم به الصحافة الغربية من حيث تخدير الشباب بواسطة الأغانى الصارخة والرقصات والاسطوانات وتيارات الخنافس وأمثالهم ، وخلق روح السلبية واللامبالاة والابتعاد عن المشاركة الجدية فى مجتمعاتهم وقضاياها العامة . لكى يغرقوا فى مشاكل فردية سواء . أو تستحوذ عليهم العادات الاستهلاكية الرأسمالية .

ثامناً : وضع الكتابات الجنسية بسمومها فى قالب خداع :

وقد حرصت الصحافة أن تنجح فى الترويج لأهدافها عن طريق المراوغة والخداع والتضليل فجعلت فى جزئيات من هنا وهناك كلمات تحمل طابع الحماس الوطنى أو الدفاع الخلقى . هذه السطور لا قيمة لها إزاء الصفحات الواسعة والموضوعات المتعددة المليئة بالسموم ، بل لقد برع كتاب الجنس فى تقديم مادتهم ، فإنهم يأخذون من الأحداث الواقعة غلافاً للإباحية ، من حيث استغلالهم للسياسة والأحداث الوطنية وغيرها ليجعلوها إطاراً يصبون فيه سمومهم محاولين إرضاء القراء بإثارة مشاعرهم وأهوائهم تحت أسماء كثيرة.

وقد تعجب أن يقدم لك الكاتب كل الأحداث المشينة بتفصيلاتها التى تتقزز لها النفس ثم يختم القصة بأن يقول أن البطل هزم أو مات أو قتل أو تحطم لأنه كان فاسداً ، إن هذه النتيجة السريعة لا تؤثر فى النفوس شيئاً إزاء التفصيلات الواسعة والوقائع المريرة المكشوفة التى تبقى صورها فى الذهن والنفس وتفعل فعلها فى أعماق الشباب والفتيات .

ومن ذلك أكاذيبهم وأضاليلهم حيث يصفون المرأة القائمة على أسرتها وأولادها بأنها المرأة التي سجنها المجتمع وجعل وظيفتها في الحياة إنجاب الأطفال وتربيتهم وهذا يستدعي مهاجمة المجتمع الذي يظلمها . ويطالب لها الكاتب بحقها في الحرية والحب ، ومثل هذا يفعله إحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي ونجيب محفوظ في قصصهم ، ونحن نسألهم : أين هي المرأة التي أزعجها أن تكون أما وربة أسرة ؟ ومتى أحست بأنها مظلومة أو مسجونة وما هي الحرية التي تطلبونها لها آلإلا أن تكون الفساد والإباحية .

وهم يطلقون على هذه الدعاوى المسمومة « تغيير المفاهيم الخاطئة في المجتمع » بينما هم الخاطئون الذين يعملون على هدم القيم والأخلاق والأعراف الكريمة القائمة على المحافظة على العرض وصون الشرف وحماية العفاف .

وتقول الدكتورة بنت الشاطيء في هذا المجال :

إن كون الكاتب يصف موقفاً أو مغامرة بكل دقائقها وتفاصيلها دون تحرج فهذا يمكن أن يقوم به رجل الشرطة حين يضبط واقعة فعل فاضح ، أما الأدب فهو شيء آخر ، إنه تعبير عن وجدان وليس طبعاً طبق الأصل ، إن هناك فرقاً بين الكتابة للإثارة وكون الكاتب يصف موقفاً أو مغامرة .

تاسعاً : العمل على تلخيص الكتب الجنسية والأفلام الجنسية وشرح الفلسفات المادية ، هذا عمل حرصت الصحافة العربية على تقديمه لإحداث بلبلة خطيرة في نفوس الشباب والفتيات ، وقد تولى هذا صحفيون كثيرون في مقدمتهم أنيس منصور الذي قدم ركاماً أسود مظلماً من الفلسفات والمذاهب والنحل الباطلة المدمرة سواء منها اليونانية أو الشرقية أو الحديثة في موضوعات غامضة مختلفة كالسحر والأساطير ، خلط فيها بين جد الفلسفات وهزلها وبين صحيحها وفاسدها في عملية عجيبة يحاول فيها تقديم الغريب والمثير ، دون تقدير لمسئولية الكاتب ومهمة صاحب القلم في حماية القاريء من السموم والعثرات ، وتقديم الخير له ، المرأة هي الرسالة الأولى المضطربة المضببة ، تاريخ المرأة في بابل وآشور والحضارة الفرعونية وعند الهنود وعند الإغريق

وعند الرومان ، ثم فى الغرب الحديث ، أما عن الحضارة الإسلامية فلا شىء إلا سطور قليلة لا تشفى غلة ، ولا تكشف جوهر هذا الفكر وهذه الحضارة لأنها ليست مجالا لتقديم سموم — فهى متروكة بالكلية ، وكأنما هو مكلف بابتعاث كل فساد وسموم وسيئات الفكر البشرى القديم الذى دفن ومات بمجىء الإسلام ، والذى أحيته التلمودية الحديثة وحملته إلى الفكر الغربى لتفسده وتزيفه وتدمر النفس الإنسانية به ، ثم جاء أنيس منصور مع من جاء لينقله إلى العربية وينشره فى صحف توزع الألوف والملايين ويقرؤها السذج والبسطاء والشباب الصغير دون أن يعرف خلفيات الكلمات ولا هدفها ولا وجهة نظر الإسلام فيها .

إن هؤلاء الكتاب متهمون بأنهم مثيرون للسموم ، مجددون لعناصر الإفساد ، فإن كانوا لا يعلمون مدى خطر الدور الذى يقومون به والأثر الذى يتركونه فى نفوس الشباب والفتيات وعقولهم فتلك مصيبة ، وإن كانوا يعلمون الدور الذى يقومون به ويعرفون أبعاده فإن حسابهم عند الله جد عسير .

وتعجب حين تقرأ لأنيس منصور مثلا قوله : نحن نعيش فى عصر الإثارة الجنسية ، وليس فى عصر الجنس ، فالجنس من ألف سنة كان أعنف وأقوى وأكثر تنوعاً من الجنس الآن ، وفى استطاعتك أن ترجع إلى ألف ليلة وإلى شعر أبى نواس وإلى مقامات الوهرانى وإلى كتاب الروضة العطرة وإلى قصور الملوك فى فرنسا ، إنها مليئة بأشكال وألوان من الجنس ، أكثر بكثير مما جاء فى مؤلفات المركيز دى صاد ، أما العصر الذى نعيش فيه فإنه عصر الإثارة الجنسية ، عصر بلبلة العواطف وتقليب المشاعر وتضليلها ، الأغانى مثيرة ، والمجلات والأفلام كذلك ، والرقص والانفجار . . » .

ويحرص هؤلاء الكتاب أن يقدموا فى الصحافة العربية نماذج مظلمة ، لماذا يحرصون على تقديم هذه الوجوه الكالحة ، والنفوس الشريرة ، المفعمة بالسوء والإثم .

إن أحد هذه النماذج التى يقدمها أنيس منصور : آندريه مالرو يقول : « لقد انتحر جده ، وأبوه أيضاً انتحر ، وكان مالرو فى الرابعة عشرة من

عمره ولا يعرف ماذا جرى لأبيه . كل ما عرفه أنه ابتلع كمية من السم ، وخشي الأب وهو يترنح أن يظل فى غيبوبة دون أن يموت فأطلق على نفسه الرصاص ، وحزن مالرو على والده ولم يحزن على ما صار إليه أمر الأسرة ، فالأسرة لا تهمه ولا هى رباط متين ولا هى علاقة إرادية ، ولا هى أى شيء ، وكل ما كان يربطه بالأب هو أنه نسخة من أبيه ، وصورة هذا الأب تطارده فى أحلاقه على شكل قط أسود مخيف . فهو هارب من أحلامه هارب من شعوره » .

هذه هى النماذج التى تقدمها الصحافة العربية فى فترة النكبة والنكسة والهزيمة لأبناء الأمة العربية .

ما قيمة هذا كله فى أن يقدم للقارىء العربى ، ألا يوجد لدى مالرو فكرة أو فكرتان إنسانيتان يمكن أن ينتفع بهما الناس ، ولكن الهدف من الترجمة هو تقديم سموم الناس ، لقد كان مالرو ملحداً وكان فاسقاً فلأى شيء ننقل عنه إذا لم يكن لنا هدف .

عاشراً : تحسين الجريمة والخمر والبغاء :

لأول مرة نجد صحفيين مسلمين يدافعون عن البغاء وعن الفساد الاجتماعى ويقاومون كل صيحات الدعوة إلى الحد من القمار أو الخمر فى المجتمع ، نجد فى مقدمة هؤلاء محمد التابعى ، فى مقدمة هؤلاء الصحفيين ، فى جرأة غالبة . وتتبعه مدرسة أخبار اليوم وروز اليوسف ، هذه المجلات التى ما تزال تهدر بالسموم ، مجلة حواء ، وصباح الخير ، وروز اليوسف ، والكواكب ، وآخر ساعة وأخبار اليوم من صور عارية وتجسيم للجنس حيث يكتب مصطفى أمين وزكى عبد القادر وهما فوق الستين قصصاً غريبة ، يقلد فيها مصطفى أمين إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وينشر فيها زكى عبد القادر كل آراء تجرى على ألسنة المفتونين والمغررين .

وتجد الجريمة صفحات أسبوعية متصلة ، تروى الجرائم المختلفة التى تقدم للشباب مجموعة من المفاهيم الخطيرة عن عصابات تسرق السيارات

والبيوت ، ومصوغات السيدات ، وتقدم الصحافة التفاصيل الدقيقة لهذه الجرائم على نحو يجعلها أشبه بالبطولات ، وتكشف هذه الحوادث عن أن مجموعة كبيرة من الشباب والطلاب قد انحرفوا نحو هذا الاتجاه .

وتدافع الصحافة العربية عن الخمر بأن تنشر إعلاناته ، وأن توردة في كل قصة ورواية بل وتدافع عنه عن طريق شاربيه ومدمنيه الذين يدافعون عنه أمثال يوسف وهبي (مجلة روز اليوسف — العدد ١٤٥٧) .

قال : لا أرى تحريم أي شيء طالما أن الضرر أو النفع يعود على الشخص نفسه ، فأنا أمقت تحديد الحريات ما دامت هذه الحريات تعبر عن إطلاق القيود في المجتمع ، وكل امرىء مسئول عن عمله وكل فرد منا له عقل يعرف كيف يتصرف به ، فإن من يمنع شيئاً بالقوة مثل من يمنع اللص من السرقة بوضعه داخل أربع جدران ، وتحريم الخمر يماثل أمر الحاكم بأمر الله الذي قضى على زراعة الكروم ليمنع الناس من شراب النبيذ » .

وينسى يوسف وهبي أو يتجاهل مدى الأخطار الاجتماعية التي تصيب شارب الخمر وتحريم الشرائع والأديان لها ، بل ويتجاهل ما يقوله الأطباء من أخطارها على الكبد والمعدة والعقل .

ويتحدث موسى صبري عن حرية الحب في السويد ، وينقل إلينا الصورة مع اختلاف البيئة والزمن والدين والتقاليد والقيم الاجتماعية ، ويقصد بحرية الحب ، حرية الجنس ، ويفيض في الحديث عن التجربة التي تعلم الجنس للفتيات في سن مبكرة واعتبار الجنس متعة كالطعام والملابس ، ويردد عبارات أساطين الجنس والانحلال فيقول : إن ما يباح للشاب يجب أن يباح للفتاة ، وأن أحدهم يقول أنه يحترم العلاقة الشاذة بين أخته وصديقها وإنها مسئولة عن نفسها تماماً .

ولا يتردد موسى صبري أن ينقل لأبنائنا تلك السموم التي ترددها كتابات دعاة التحلل وتدمير المجتمعات كأنما هي « التصريح الذي يؤهلهم لتسنم مراكز القيادة في الصحف » ويتساءل موسى صبري : ماذا تفعل الفتاة إذا أصبحت

إما بغير زوج ؟ والجواب : هو إما أن تتخلص من جنينها أو أن الدولة كفيلة برعايته ، والابن غير الشرعى له تقدير فى نظر المجتمع . وهكذا نجد أن الصحافة تنقل لنا سموم المجتمع الغربى لا بقصد تفسيره فى ضوء مجتمعاتنا ولا من أجل تبريره والدفاع عنه بل لهدف أخطر وأشد خطراً هو أن تصبح مجتمعاتنا منقادة لهذه الأعراف الفاسدة الضالة وقابلة لها وهم يضعون بين يدى المنحلين والفاسدين العبارات والوسائل والدفوع التى يتذرعون بها فى دعواهم وفى محاولاتهم لخداع الفتيات واغتصاب البريئات :

« الابن غير الشرعى له كل تقدير فى نظر المجتمع » .

هذه العبارة لا ترمى إلا إلى أن تهدم مقومات هذا المجتمع المسلم الذى يقوم على أساس حماية العرض وإنكار الزنا ، وتقوم شريعته الإسلامية على أساس الضرب على أيدى المفسدين بالجلد والتنكيل .

ثم يصور لنا موسى صبرى كيف أن هذه الدول التى يصل الدخل القومى فيها إلى أعلى مستوى فى العالم يقوم شبابها على أساس إدمان المخدرات والخمور وأن عشر الذين يصلون إلى سن البلوغ فى السويد يتعرضون لاضطرابات عقلية تلازم أمراضهم الجسدية . ألا يكفى هذا فى نظر الكاتب صاحب الأمانة لوطنه وقومه أن يتوجه إليهم بالحديث على نحو آخر .

ولكن هذه هى الصحافة ورسالتها كما فهمها هذا الجيل ، وهى التى وصلت بهذه الأمة إلى الهزيمة والنكبة والنكسة .

وتتوالى كتابات هذا الجيل كله دفاعاً عن فساد الواقع والشباب والمرأة ، هذه الكتابات التى حطمت القوائم الأخلاقية لهذا الجيل وأعدت الوسائل لتدميره ، فهم فرحون بذلك ، ولذلك فهم لا يوجهون هذا الجيل ولا ينصحونه ولا يدفعونه إلى الطريق الصحيح ولكنهم يغشونه ويدللونه .

وهم مستمرون فى عملهم من أجل تحقيق الهدف الأسمى والأكبر ، وهو تدمير قوة هذه الأمة ممثلة فى شبابها ، فلا بد أن تجد أنيس منصور وموسى صبرى وزكى نجيب محمود ويوسف إدريس ، يدافعون عن هذا الجيل

بالباطل ولا يحاولون إصلاحه . بل ويعملون فى سبيل نقل أشد الصور اضطراباً وفساداً فى الغرب ليضعوها تحت نظره ، ولتكون حجة له وأداة فى الدفاع عن تحلله وهزيمته ، كأنما يدفعونه إلى مزيد من الانحراف والاضطراب .

ولقد عاش أنيس منصور سنوات عمره كلها يترجم هذه السموم ويقدم هذه الكتابات الجنسية والأساطير والقصص والصور الفاسدة والمضطربة التى يقرؤها الشباب والفتيات فى طول البلاد وعرضها عن طريق أخبار اليوم على أوسع نطاق وفى خلال سبعة عشر عاماً يتصدر الصحيفة الأخيرة من الأخبار لينقل سمومه دون توقف .

حادى عشر : الدعوة إلى إعادة البغاء :

طالب يوسف السباعى وأنيس منصور بالعودة إلى الدعارة العلنية ، بدعوى أن ذلك يقضى على القلق الذى يساور الشباب فى المجتمعات ، ولو كانوا صادقين مخلصين فى النصح لطالبوا بأسلوب من التربية الدينية والخلقية ، فهذا وحده هو الأسلوب الذى يؤدى إلى إنقاذ هذه الأجيال ، أما هذه الدعوى المسمومة فإنها لا تحقق إلا مزيداً من الفساد ، وما تزال تجربة البغاء التى عرفتها البلاد العربية فى ظل النفوذ الاستعمارى معروفة ، وقد ظل معسكر العاهرات أكبر مصدر لنشر الأمراض السرية التى فتكت بأجسام وعقول الآلاف من الرجال ، والتى دمرت الآلاف من العائلات وأشاعت البؤس والشقاء بين آلاف الأسر .

كذلك فإن هناك الدعوة إلى الاختلاط فى المدرسة والعمل بحجج واهية باطلة ، فقد ثبت أن هذا الاختلاط مصدر فساد شديد ، وكل ما يقال عن الاختلاط لن يحقق إلا مزيداً من عوامل الإثارة والإغراء ، ولن يكون مصدراً لسمو الذوق أو نبل الطبع كما يدعى المغرضون .

وهناك الدعاوى الباطلة التى تروجها الصحافة من القول بأن المجرمين ليسوا مرضى يجب علاجهم ، أو القول بأن تزايد الجرائم الخلقية ليست

إلا ضريبة يدفعها المجتمع بسبب التطور السريع ، كل هذه إجابات باطلة ، أو القول بأن هذه الحالة تزول فى وقت قريب عندما نتعود عليها .

والقضية كلها ترجع أساساً إلى قصور التربية الإسلامية فى البيت والمدرسة وفساد التوجيه والرعاية فى أغلب الأسر ، وأن عوامل الإثارة المبثوثة فى الصحافة والسينما والإذاعة والشارع هى المصدر الأساسى للانحراف .

ثانى عشر : هدف الإثارة والجنس والتفاهة هو الشباب :

يصف نعمان عاشور هذا الجيل من الشباب الذى كونوه بأنه « جيل بلا قيم ، بلا إيمان ، جيل يبحث عن نفسه فى الجنس والرقص والمجون والمخدرات . جيل بلا هوية يستعير أفكاره وعواطفه وانفعالاته من عالم غريب عنا وعن تراثنا وتقاليدنا ومقدساتنا وهو فى نفس الوقت جيل معذور فيما يتردى فيه من سلوك لأن أحداً لم يمد له اليد ولم يمهد له الطريق ولم ينجح فى أن يربطه بقيم وطنه » .

وهى كلمة حق ، فإن المضللين كلما تحدثوا عن الشباب العربى والمسلم خلطوه بظاهرة عالمية ، فيقولون شباب قلق ، وشعوب قلقة ، وعالم قلق ، والواقع أن شباب الإسلام لا علاقة له بأى شباب لأن كل شباب تكونه قيمه وتقاليده ، ولا مانع أن يتأثر بالتيارات العالمية . ولكن الخطر كله فى أننا نأخذ أساليب الغرب فى التربية والحياة والمجتمع فنقلدها وبذلك نفقد شخصيتنا وقيمنا ونهار ، فلا نحن لحقنا بالغربيين ولا نحن حافظنا على قيمنا ، والمسئولية تقع على الصحافة وأهل التوجيه وجيل الآباء والأمهات الضعيف الذى لم يستطع أن يفهم الوسائل التى تشكل الأبناء والذى لم يقم وزنا للأصول التى يتشكل عليها الأحياء .

وهؤلاء المضلون إذا سئلوا عن الشباب قالوا : إنه خير من الأجيال السابقة ، خداعاً ومكراً ، ولو كانوا صادقين لهدوه إلى الطريق الحق ، ولكنهم لا يملكون الهداية . وأن ما يحملون من سموم الدعوة إلى حرية الحب والجنس إلى آخر هذه المفاهيم لا ريب أنها تفسد الشباب .

ولقد استطاع الشباب أن يهتدى إلى الحق والخير وأن يعرف بطلان وزيف ما تقدمه الصحافة ، وآمن بأن الطريق إلى الله من شأنه أن يكشف عنه كل أسباب التمزق والحيرة والغربة والقلق ، وأن تلك العبارات الكاذبة التى يروجونها ضالة ولا قيمة أبداً لما يقال من اختلاف الأجيال والأزمنة ، فإن القيم الثوابت قائمة فى كل العصور والأزمان والبيئات وإن تحولات المجتمعات أو تغيرات العصور لا تعنى إلغاء القوانين الأخلاقية أو فهم القيم فهماً مختلفاً .

* * *

وهكذا نجد الصحافة العربية فى قفص الاتهام ، تعتمد فى نجاحها وترويجها على الكلمة المسمومة والأسلوب غير الكريم ، وتقوم على التفاهات ، والتحريض على الجنس والإثارة . وقد لمعت فيها كثير من الأسماء التى تحمل فى أعماقها أهدافاً مدمرة .

وعندما يحاول مصلح أن يوجه الصحافة إلى الطريق الصحيح فإن هناك من يزعجه هذا الاتجاه أشد الإزعاج ، وسرعان ما تجد الصحافة الغربية تبكى على إختفاء الفضائح فى الصحف العربية ، وأن القراء قد فقدوا مورداً خطيراً من نشر الثياب الداخلية القذرة على حد تعبير جريدة الأنكونومنست . وصحف لندن فى مقدمة هذه الصحف ، إيماناً بأن أنباء الجريمة والفضائح هى أحدث صيحة فى الصحافة ، وهى صيحة يائسة أطلقها نفر من حملة الأقلام فى الثلث الأخير من القرن الماضى حين كان الملل يملأ صالونات الفارغين وكانت أوربا الصناعية قد وضعت يدها على المستعمرات فراح نفر من الكتاب يداعبون هذا الملل ويقدمون روايات صارخة تتحدث عن الشذوذ والخيانات الزوجية وفرار البنات مع أول عاشق ، وكانت تلك هى روح الهزيمة ، وجرياً وراء هذه الروح بدأ صحفيون فى فرنسا المهارة يعلنون فى جرأة تبلغ حد الوقاحة أن مهنة الصحافة هى مهنة نشر التفاهة والفضائح وبدا (لو) فى نشر أنباء الجرائم المثيرة ، ثم جاء أتباعه فى بريطانيا وأمريكا يعلمون العرب هذا الفن ، وفتحت الأبواب لهؤلاء الكتاب ثم سيطروا على الصحافة العربية .

* * *

الفصل الثانى

مدرسة الإثارة

لا ريب أن محمد التابعى هو رأس هذه المدرسة الروزيوسفية التى خرجت مصطفى أمين وإحسان عبد القدوس وهيكل وأنه هو الذى وضع الأسس لصحافة ساخرة خليعة تعتمد على الإثارة والجنس وتعقب الناس ومعرفة أسرار البيوت وكشف العورات .

وأن هذا اللون فى الصحافة العربية لم يكن معروفاً على هذا النحو قبل صدور مجلة روز اليوسف عام ١٩٢٦ ، وقد عاش التابعى يرعى هذا العمل حتى نما واستحصد فى آخر ساعة ثم فى أخبار اليوم وهو الذى وسع نطاق الكاريكاتير الذى كان سياسياً فى مجلة الكشكول فأصبح اجتماعياً وسياسياً فى روز اليوسف وآخر ساعة وأخبار اليوم .

وكان على الجناح الآخر فكرى أباظة فى صحف دار الهلال . وقد أشار مصطفى أمين فى السنوات الأخيرة إلى أنه كلف أمينة السعيد وهى طالبة فى الجامعة بأن تكون مندوبة آخر ساعة وأن تجمع له ما يدور على ألسنة السيدات فى البلاج وفى سهرات سان استيفانو ، وهذا يؤكد تلك الظاهرة الواضحة التى سجلها تاريخ الصحافة ، فإن مجلة آخر ساعة كانت تنشر من أسرار البيوت والبيوتات ما عجزت الصحف كلها عن الوصول إليه لسبب سرى جداً هو أن مندوبى مجلته فى هذا الباب كن من الصديقات اللائى لا يعرف أحد صلتهن بالتابعى .

ولقد عمل التابعى فى مجلة المسرح (عبد الحميد حلمى) ثم فى الأهرام بتوقيع حندس ، وكان عمله قاصراً على النقد المسرحى وكذلك بدأ عمله فى

(روز اليوسف) ولكن حزب الوفد الذى كان قد أزعجته حملات مجلة الكشكول المعارضة أراد أن يواجه العمل بمثله ، فاتفق مع صاحبة المجلة على تحويلها سياسياً وقام مكرم عبيد بتدريب التابعى على هذا الفن الملعون : فن الكاريكاتير والسخرية بالناس والبحث عن أسرار بيوت خصومهم للكشف عنها ، وكان التابعي من أشد دعاة الوفد المتحمسين والمدافعين عنه ولكن صداقته لأحمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكي لم تلبث أن حولته إلى خصم عنيد للوفد حين شكلت تلك الجماعة المؤيدة للملك فاروق بعد حادث ٤ فبراير عندما اقتحم المحتلون الإنجليز قصر عابدين وفرضوا على الملك حكومة برئاسة مصطفى النحاس باشا .

وتشكلت هذه الجماعة من محمد التابعى ومصطفى أمين وكامل الشناوى وكثيرين ممن كانوا نواة جريدة أخبار اليوم عام ١٩٤٤ التى أنشئت بواسطة السعاديين المنشقين عن الوفد (شيك بمبلغ خمسة آلاف جنيه ورخصة جريدة) ودخلت أم كلثوم وساهمت بإغراء أن يكون لها دفاع وكانت تنوشها الصحف كل يوم (٢٠ ألف جنيه) .

وكانت هذه العصبة تلبس قفازاً من حرير ، وتحتمى وراء مظهر الوطنية لتعمل عملها وتدفع المرأة خارج حياة الأسرة على النحو الذى عرفته الصحافة العربية تحت اسم صحافة الإثارة .

يقول التابعى : اعتدت أن أمضى كل سنة سبعة شهور أو ثمانية خارج مصر بين باريس والريفيرا وسان موريتز ، وشبعت من كل مفاتن الحياة ، ولم يعد هناك جديد يستهوينى ، وأذكر أننى كنت آخذ معى إلى الكباريهات على ومصطفى أمين الذى كان يأتى مرغماً لأنه ليس له مزاج فى شيء من الحياة إلا الجرى وراء الأخبار والأحاديث ، وكان الناس يطلقون عليهم الحزب الخاص للتابعى .

وقد وصف الصحفى الذى أجرى معه الحديث (٨ ـ ١٠ ـ ١٩٦٠) بأن غرفة مكتبه كانت غرفة بار متصلة بغرفة المائدة .

ويصور التابعي حياته الصحفية فى عديد من المقالات .

(كيف كنا نعيش فى رأس البر) ٢١ - ٤ - ١٩٥٦ أخبار اليوم .

على الشاطىء الرملي البدائى الساذج خطرت الغزلان : الغوانى والغانيات يرتدين ثياب الاستحمام وأحدث أزياء الصيف التى كن اشترينها من دوڤيل ونيس وكان وروما وباريس . وكانت لى عشة صغيرة على شاطىء البحر مباشرة وكانت أشبه بدار ضيافة للأصدقاء فقد كنت أرجوهم أن يقيموا معى ويؤنسوا وحدتى (أم كلثوم وتوفيق الحكيم والصاوى ، حفنى محمود ، نجيب الريحانى ، وسليمان نجيب ، فكرى أباظة ، محمد عبد الوهاب ، وسعيد عبده) . وقد رووا قصصاً مثيرة أو قصصاً غامضة ، وكلهم يؤكد أن قصته حقيقية وأن حوادثها وقعت وأبطالها عاشوا » .

هذه هى الخلفية لصحافة الإثارة ، يقول حافظ محمود :

بدأ محمد التابعي من المسرح وجو المغنيات والممثلات ثم جاءت السياسة فأداها بنفس مفهوم السخرية والبحث عما وراء حجرات النوم . وفى مجلة روز اليوسف استعار أسلوب النقد المسرحي وحوله إلى نقد سياسى وأنشأ بأسلوبه مدرسة من ناشئة الصحافة ، وكبر تلاميذه وتفوقوا عليه ، وترك روز اليوسف وأنشأ آخر ساعة .

سفره إلى أوربا فى الصيف والأقصر فى الشتاء ، أول من اختاره أحمد حسنين لدعم الملك فاروق وجمع حوله المجموعة .

هاجم مصطفى النحاس لحساب القصر بعد أن كان أكبر نصراء الوفد وكان أصدق صديق لأحمد حسنين رئيس الديوان الملكى الذى كان يستخدم كل أسلحته لطعن الوفديين .

وكان يتقاضى أعلى مرتب وصل إليه صحفى (٧٠٠ جنيه فى الشهر) فى الخمسينيات وقد أشار كاتبون كثيرون إلى أنه عرف بإسرافه فى الحديث عن المرأة أثناء نزوله فى فنادق سويسرا وباريس ، يبحث عن النبيلات من الأسر المالكة التى قوضت الحرب والثورات عروشهن فى أوربا

والعصابات والجاسوسيات الدوليات والفنانات والهاويات من أنصاف الفنانات ، بوصفهن مخلوقات عجيبة ، يشتركن فى مأساة الانهيار السياسى والاجتماعى الذى أصاب العالم بعد حربين عالميتين خرجت منها هذه النساء كحطام يبحث عن الحب أو الأمل فى كأس أو مغامرة .

وكما فعل التابعى حين هاجم النحاس باشا والوفد لحساب الملك فاروق وصاحبهم فى رحلة الحياة كشف سوءاتهم بعد حركة الجيش ١٩٥٢ كذلك فعل مصطفى أمين .

كان الهدف الاجتماعى يختفى وراء الهدف السياسى :

إشاعة روح السخرية والاستخفاف بكل القيم الاجتماعية ، خلق أسلوب جديد تجتمع فيه العامية مع تفاهة المعنى ، تمييع الحياة السياسية بإطلاق عبارات نازلة على السياسيين كوزير المصارين ومأذون القرية .

ويتفاخرون بأمانة التابعى الصحفية وأنه قدم للمحاكمة ، أما أمانته الصحفية فيكشف عنها موقفه فى كشف أسرار الجهات التى ائتمنته عليها .

أما بالنسبة للمحاكمات فإنها لم تكن من أجل الوطن ولا من أجل كلمة الحق فالمقال الذى حوكم عنه التابعى يكفى ذكر عنوانه :

« ملوك وملكات أوربا تحت جنح الظلام »

ندد فيه بملوك أوربا وفضائحهم ، ولم يقتصر على الفضائح المترجمة بل أضاف إليها مما أبدع خياله .

وإن القضية الأخرى كانت ولاء حزبياً .

وقد وصف التابعى بأنه عاش معتزاً بكبريائه وكرامته فأين هى هذه الكرامة وهذا الكبرياء ؟ فى البحث عن عورات البيوت والأسر والمشاهير أم فى تعقب الأميرات اللواتى سقطت عروشهن فى أوربا .

هل عرف عن التابعي مقالا في مواجهة الأخطار التي تعرضت لها مصر أو البلاد العربية ، إن مقاله عن اليهود كان دعوة لزعماء العرب إلى التصييف في إسرائيل .

وكانت دعوته إلى إلغاء الأحزاب وإنشاء الحزب الواحد إبان دكتاتورية عبد الناصر من الصفحات السوداء في تاريخه .

وكانت حملاته على بعض ملوك العرب وزعمائهم متابعة للولاء الدائم للحاكم المستبد ، هذا فضلا عن عمله الخطير في تدمير القيم الإسلامية والخلقية بكتاباته الساخرة بالإسلام والشريعة والحدود ورجال الدين .

وبدعوته إلى كتابة قصص الجنس المكشوفة وأخبار الأسر بأسلوب غير كريم .

كان التابعي على مدى حياته رجلا مترفاً منحلا يريد أن يذيع فلسفة الانحلال من خلال كتاباته الصحفية ليرضى عنه كل حاكم ، وهو لا يبالي أن يكون مع الحاكم إبان حكمه ثم يكون ضده من بعده فيكشف عوراته ويصمه بأسوأ صور الفساد مع أنه كان مؤيداً له ، وذلك موقفه من فاروق قبل وبعد ، وكان حريصاً على نشر قصص الفساد العالمي والتحدث عن سوءات البيوتات وتلخيص قصص الجنس العالمية ، من مثل هذا :

(كانت اللادى ديانا قد عرفت وهي لا تزال بعد دون العشرين من عمرها خادماً في قصرها مفتول الذراعين قوى الساقين وأسلمته الفتاة نفسها ، سليلة الشرف والمجد المؤثل ثم تزوجت رجلا خامل الذكر بليد الفهم ، وعرف زوجها وأدمن الشراب . .) .

هذه هي القصص التي كان يقدمها التابعي ويوليها اهتمامه الكبير ، بالإضافة إلى قصص عصبة المجان في رأس البر .

ويقول : (أعطيت أحد الزملاء ممن كانوا يتعاونون معي في تحرير آخر ساعة فكرة قصة وأمسك اليوم عن ذكر اسمه لأنه أصبح قصصياً ناجحاً معروفاً) والقصة قصة فتاة من بنات البيوتات الكبيرة والأسر الراقية .

وتزوجت الفتاة من فتى أحبها وأحبته واكتشفت ذات يوم أن زوجها هو عشيق أمها .

وهكذا نقل التابعى وقائع المجتمع التى تتعلق بخصوم سياسيين إلى مجال القصة حتى يفلت من العقوبة ، وكذلك تعلمت عصبة المجان هذا الأسلوب ، وهذه هى القصة التى حققت من أجلها النيابة معه وكان يدعى أنه سجن من أجل كرامة المهنة وشرف الكلمة .

وكان التابعى قد نشر ذلك فى جريدة أخبار اليوم من بعد .

ويكتب محمد التابعى قصة عام ١٩٦٠ يتحدث فيها عن رجل يخدع ويضحك عليه ويدبر له أمراً بادعاء من سيدة تعطلت سيارتها ولاحقتها الأمطار وتريد أن تجفف ثيابها ، ثم عرف بعد أنها راهنت عليه وكسبت الرهان وكيف أن المرأة ضحكت عليه وسخرت منه وبعبارة التابعى (وكيف أنه حمار ومغفل وقد طب أمام سحرها ذى المقطف) .

لحساب من هذه القصص الصارخة التى تريد أن تعلم فتياتنا أساليب ماكرة من الغواية والاغتصاب ، هذه هى قصصهم التى تجددت من بعد تحويل حادثة معينة إلى قصة ، وتحويل قصة إلى ظاهرة اجتماعية .

ويدخل التابعى فى مناقشات مع علماء الدين ليسخر منهم وليؤكد هدفه فى إذاعة الفحش والفساد .

ويتساءل التابعى فى بعض مقالاته :

« كان بعض أصحاب الفضيلة من رجال الدين قد أثار فى وقت ما ضجة حول الصور العارية التى تنشرها الصحف والمجلات ، ولم يقل لنا أحد يومئذ هل الاعتراض مقصور على الصور العارية لكواكب السينما الأجنبيات ومن فى حكمهن والصور العارية لنساء وفتيات غير معروفات بالاسم واللقب والصور العارية المرسومة من الخيال أم بعض صور سيدات وآنسات المجتمع المصرى كما يظهرن فى الحفلات والمآدب والليالى الساهرة ، التى تقام فى أندية عامة أو فى بعض الفنادق .

ثم ما هو المقصود تماماً وعلى وجه التحديد من كلمة الصور العارية ، هل يكفي مثلا أن تكون الصورة لسيدة قد عرت ظهرها وصدرها ونحرها نزولا على أحكام آخر موضة جاءتنا من باريس أو روما أو لندن . إن الأجساد العارية في الأفلام وإعلانات الجدران خاضعة لرقابة الأفلام ولكن لأي رقابة تخضع الأجساد العارية في حفلات مواسم الأوبرا » .

هذا هو أسلوب التضليل والخداع والنفاق وإثارة الشبهات والفتنة الذي كان يتبعه التابعي الذي عمل تابعاً للسيدة روز اليوسف في مجلتها ثم انفصل عنها والذي عاش قلماً مدافعاً عن كل الفنانين والراقصات .

كتب التابعي عن إحدى الممثلات :

« إنها فقدت كل شيء ، مالها وشبابها وجمالها ولكن شيئاً واحداً لا تزال تحتفظ به وتعتز ، هو كبرياؤها وعزة نفسها ، لقد كسبت عشرات الألوف من الجنيهات وأنفقتها كلها في سبيل التمثيل ، وسمعت من ثقة أنها باعت أدوات المطبخ واليوم قبلت أن تظهر على مسرح كذا . لا لتمثل ولكن لترقص وتغني ، إنها مأساة » .

وهذه هي المأساة في نظر التابعي : امرأة راقصة أو ممثلة أو مغنية فقدت المال الذي جمعته لأنه حرام ثم أخذت تتسول والتابعي هو محامي هذا الصنف من الناس . والتابعي هو الذي قدم قصة مرغريت فهمي التي قتلت علي فهمي كامل ، وقصة أسمهان تلك الفاجرة التي كانت جاسوسة للاستعمار البريطاني والصهيونية ، والتي قيل أن التابعي إبان الحرب العالمية الثانية كان يسافر إلى القدس ليجتمع بها والتي كانت بحكم زواجها من أحد أمراء الدروز الموالين للحلفاء ، كانت تطلعه على كثير من الأسرار .

هذه هي صحافتهم التي ابتدعوها : تذليل العقبات أمام كل صور الفساد والإباحية والاغتصاب . ويتساءل محمد التابعي : هل هناك حياة بعد الموت ، ويحيل الإجابة على السؤال إلى يوسف وهبي الذي ليس إلا عمودا خطيرا من أعمدة التغريب والغزو الثقافي ، وهو ثالوث طه حسين ، وأم كلثوم .

لقد كان التابعى على رأس مدرسة الدفاع عن كل باطل ما دام فى خدمة المخططات الأممية تحت لواء الليبرالية ظاهراً وهدم المرأة والأسرة هو العمل الأول .

وله كتاب (نساء فى حياتى) يصور فيه مغامراته الدنسة ويقول أنه لا يؤمن بالحب العذرى ، ولكن التابعى لم يفلت من ضربة القدر فقد قاسى المرض العضال فى آخر أيامه دون أن يرعوى أو يعود إلى الله .

يقول : لقد عشت حياتى بالطول وبالعرض .

ونقول : نعم . ولكن فى مجال الاستمتاع الذاتى بالحرام وإشاعة الحرام وتبريره ومحاربة كل كلمة شريفة .

* * *

(٢)

أما البطل الثانى فى مدرسة الإثارة فهو فكرى أباظة الذى عاش أغلب حياته فى أوربا بحثاً عن الجنس والمرأة والحب ، وهو رجل ساخر بكل شيء لا يكف عن الحديث عن غرامياته ومغامراته واهتمامه بالرياضة ، والتمثيل ، وقد دافع عن المسرح فى مجلس النواب عندما حاول بعض المخلصين أن يصور فساد هذه المؤسسة ، وساير كل أجيال المسرح والغناء والرقص وآزرها بقلمه : روز اليوسف وأم كلثوم والريحانى ، وكل المغنيات والراقصات ، وله رسائل متبادلة مع التابعى .

ولقد كان كالتابعى يتخذ من كتابات السياسة والوطنية غلافاً للكتابات الاجتماعية المكشوفة والقصص .

ولقد ابتدع لأول مرة ما أطلق عليه (أخبار البلاج) وهى صفحات خطيرة كانت تنشر خلال الصيف كل أسبوع عن النساء العاريات على شاطىء البحر ، وفلان وفلانه فى الكازينو وبعد الغروب إلخ وهو يدافع عن الصور العارية تحت كلمة (اشمعنى) .

« لماذا الصحافة وحدها يطلب إليها ذلك ولا يطلب من السينما يقول لك الناقدون أن الصحافة تنشر القصص المغرية المثيرة للغرائز ، وقد يصح أن بعض المجلات تنشر هذه القصص ولكن أين عدالة الناقدين والطاعنين على الصحافة المصرية وأين شجاعتهم وهم يسمعون فى الإذاعة وغيرها من الإذاعات الخارجية : الأنات والتأوهات والنغمات والمغريات الصوتية التى ترن فى آذان الملايين ومن بينهم أطفال لا يقرأون الجرائد ونساء وأميون .

واشتدت الحملة ولا تزال مشتدة على الصور العارية التى تنشرها بعض المجلات ، ويا سبحان الله ألا يلمح الناقدون الطاعنون هذه الصور متحركة

ناطقة لاعبة بالألباب أمام أولادهم وبناتهم على شاشة السينما ، ألم يلمحوها فى موسم الصيف على البلاجات متحركة سابحة فاتنة . لاعبة بالألباب . ألم يلمحوها فى الحفلات والأفراح والمراقص راقصة متحركة لاعبة بالألباب : الصحافة وحدها . الصحافة وحدها » .

هذا هو منطق دعاة الإثارة والكشف ، من زعماء الصحافة العربية . لماذا نحن وحدنا الذين يطلب منا الالتزام بالأخلاق . وهذا هو نفس منطق التابعى . المدرسة كلها على طريق الفساد .

ولعلك تدهش حين ترى بعض المغرر بهم الذين كتبوا عن فكرى أباظة يكرمونه بعد موته وهو دعامة خطيرة من دعامات صحافة الإثارة ، الحقيقة أن الوطنية المدعاة لم تكن إلا غلافاً رقيقاً لتغطية هذا العمل الخطير . ومع ذلك فمن الذى يستطيع أن يقول أن التابعى وفكرى أباظة كانا وطنيين مخلصين وهما دعاة التسوية مع الاستعمار والصهيونية ؟

ولم تكن الحياة عندهم إلا كأساً من الخمر أو راقصة أو مغنية سواء هنا فى مصر أم فى أوربا .

ويحفل المصور خلال خمسين عاماً بمذكرات فكرى أباظة وتعقباته للنساء فى أوربا ، وكلماته التى يؤيد بها انطلاق المرأة إلى كل ما يطمح إليه أصحاب الأهواء ، دعوة ملحة مستمرة متخفية تحت قناع كاذب من ادعاء الأخلاق والفضيلة .

(٣)

ونشأت أخبار اليوم على نفس الخطط والمبادىء وإن كانت قد عدلت من الأساليب تعديلا يتناسب مع تغيرات الزمن وفساد الطرق التى ابتدعها الرواد الأوائل . وقد كتب مصطفى أمين عما أسماه مدرسة التابعى التى تعلم منها هو وعلى أمين ، كانت المدرسة هى مجلة روز اليوسف : مدرسة السخرية والتقريع واللمز والغمز للممثلين والممثلات . قال : ١٣ - ١١ - ١٩٥٤ .

« مدرسة التابعى الصحفية لها أثرها فى تاريخ الصحافة ، لقد قرر أسلوب الصحافة الساخرة من الأسجاع والمترادفات . فهو الذى أدخل اللغة الكاريكاتورية فى الصحافة ، بضعة خطوط سريعة تعبر كأنها لوحة فنية ، كلمة واحدة تلتصق بشخصية السياسى وتحوله من رجل وقور إلى مسخرة ، لقد كانت لغة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين السيدات فى الماضى مليئة بالذيول والكشكشة والكلف فجعل لغة الصحافة بسيطة كأثواب السيدات الآن » .

وقد وصف التابعى بأنه : ضعيف أمام النساء ، متلاف فى النفقات الضخمة ، وكان قبل زواجه يعيش كما يعيش هارون الرشيد » أ . ه

هذه هى الصحافة التى صنعها أحمد حسنين لحساب الملك فاروق وجند لها التابعى ومصطفى أمين وآخرين عندما اهتزت مكانته بعد حادث ٤ فبراير ، وحاول أحمد حسنين أن يجمع حوله أكبر عدد من الصحفيين للدفاع عنه ، وبدأ العمل أولا من خلال آخر ساعة ومجلة الاثنين ثم بإنشاء أخبار اليوم ثم صدرت المصرى (التابعى ، كريم ثابت ، محمود أبو الفتح) وكتبت فى مدح الملك فاروق مثل ما كتبه التابعى ومصطفى أمين .

ولأول مرة لصدور أخبار اليوم هوجم الوفد هجوماً عنيفاً عن طريق الخبر والقصة والرد الصحفي المثير بمقالات عنوانها « لماذا ساءت العلاقات بين النحاس باشا والقصر ؟ » .

رفعت توزيع أخبار اليوم منذ العدد الأول ارتفاعاً كبيراً . وقد جمع مصطفى أمين جلال الحمامصي وزكي عبد القادر والصاوى . ثم استطاعوا بعد ذلك ضم العقاد وتوفيق الحكيم والمازني وسلامة موسى .

وقد أخذ مصطفى أمين الخيط من روز اليوسف وآخر ساعة وجند التابعي عنده ، أما هو فكان صانع الإخراج والكاريكاتير وتوجيه سياسة الصحيفة وكانت أبرز قدرات مصطفى أمين :

أولا : القدرة على تقديم الرأى وضده . يهاجم حزباً معيناً ولا مانع أن يكتب كاتب فى نفس العدد يدافع عنه .

ثانياً : القدرة على وضع السموم فى علب ملونة حلوة المظهر تخدع القراء .

ثالثاً : الاختباء وراء النغمة الوطنية أو نغمة مناجاة الله فى سبيل تنفيذ الغرض الأكبر : الدفاع عن قيم الغرب وحضارته ودفع المرأة المسلمة إلى ما يسمونه آفاق المجد والعمل خروجاً عن الأسرة وتربية الأبناء .

رابعاً : القدرة على الدفاع عن الحاكم ثم القدرة على تدميره بعد سقوطه .

وقد كتب مصطفى أمين ألوف المقالات عن فاروق تمجيداً وتشريفاً وإعلاء ثم هدمه بعد ذلك وكشف عوراته ، وكذلك فعل مع عبد الناصر ، ولم يكن الهدف إلا أداء الرسالة الخاصة بتسميم قيم المجتمع فى مسائل المرأة والأسرة .

وفى ظاهر العمل الصحفى السياسى أن مصطفى أمين عمل مع أحزاب الأقليات ومع الملك ضد حزب الوفد لتحطيمه :

وقد وصف مصطفى أمين (مجلة النداء إحدى صحف الوفد ٢٦-٢-١٩٥٢) بأنه كان يرأس تحرير مجلة أسبوعية مصورة وكان يوقع مقالات خفيفة

مضحكة بإمضاء مستعار (مصمص) وعرف القراء مصمص الذى يضحكهم بالحديث عن البنت التى خربشته من تحت المائدة أمام الضيوف ، ويضحكهم بالحديث عن بدانته التى تضايقه أثناء الرقص .

ودفع الطموح – على حد تعبير مجلة النداء – أن يرأس تحرير مجلة يكون هو صاحبها ، والذين يشتغلون بالصحافة يعلمون أن إصدار جريدة ليس أمراً سهلا ، إن المال الكثير لابد أن يتوفر ، ولم يكن مصطفى أمين يملك سوى قلمه وقلم شقيقه على أمين ، ولم يكن يملك مالا عندما جمع أوراقه وغادر دار الهلال . اختلف مع أصحاب دار الهلال لأنه أراد أن يجعل من مجلة الاثنين مجلة تنطق بلسان حكومة السعديين .

وتحدثت الصحيفة عن الاجتماع الذى تم بين مصطفى وعلى والباشا حيث رسمت سياسة أخبار اليوم فيه وفى سرعة تم كل شىء ، وبعد أيام صدرت أخبار اليوم . واختاروا المادة الصحفية التى تثير انتباه الشعب .

(لماذا ساءت العلاقات بين القصر والنحاس باشا)

ومضت أخبار اليوم تلعب دورها ، العمل على تحطيم الوفد . وإعطاء الفرصة لأحزاب الأقلية لكى تحكم مصر . كانت الأحاديث تدور وراء الكواليس تتضمن تفاصيل المؤامرة الكبرى . كان مصطفى أمين يصنع الأصنام ويعبدها ويحاول أن يجر الشعب معه ليسجد لتلك الأصنام » .

وأشارت النداء إلى تلك الأعداد التى صدرت بعد ٨ أكتوبر ١٩٥١ تلك الأحداث الوطنية : عدد آخر ساعة وصورة الغلاف هى لاستر وليامز لينسى الناس الاستعمار وهم يشاهدون غلاف آخر ساعة والأفخاذ العارية كان موقفه مع الاستعمار البريطانى واضحاً .

وهاجموا ما نشرته الصحف الوطنية حتى لقد قالت آخر ساعة العدد ٨٩٧ أن كثيراً من الصحف جرفها التيار إلى نشر هذه القصص الخيالية والصحف حتى الآن ما تزال تبالغ . إن الأكاذيب والمبالغات لها نتيجة واحدة ، إنها

تخدعنا نحن ولا تخدع أحداً سوانا ، وتعطى الناس فرصة للسخرية منها »
هذه هي الصورة من وجهة نظر أخرى ، وإذا كانت الأحزاب السياسية
كلها شر ولها تاريخ أسود فإن مناصرة أحزاب الأقليات ومناصرة الملك
فاروق تكون أشد سوءاً وشراً ، ولقد حاول مصطفى أمين أن يقلل من الحركة
الوطنية التي قامت فى الإسماعيلية لمقاومة الإنجليز ، ولم يلبث النظام الملكى
أن سقط وسرعان ما اندمج مصطفى أمين مع حركة الجيش وبدأ يكشف
سوءات العهد الملكى .

وسرعان ما أودعته حركة الجيش السجن فى يوليو ١٩٦٥ .

فقد اتهم مصطفى أمين وجاء فى قرار الاتهام بأنه تخابر مع أشخاص
يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الإضرار بالمركز الحربى والسياسى
والاقتصادى للدولة ، وذلك بأن اتفق مع أشخاص يعملون لصالح دولة أجنبية
على أن يمدهم بمعلومات وأخبار عن القوات المسلحة العربية والأوضاع
السياسية والاقتصادية للدولة فى الداخل والخارج . وسلم لشخص يعمل لمصلحة
دولة أجنبية أسراراً خاصة بالدفاع عن البلاد واشترك بطريق الاتفاق
والمساعدة مع أجنبى مقيم فى مصر فى التعامل بالنقد المصرى » .

ومهما قيل من بعد من أن الاتهام جاء بعد أن وقع الخلاف بين عبد الناصر
ومصطفى أمين حول أسلوب العمل السياسى الذى كان يقوم به الأخير
بتكليف من الأول ،وقد جاء ذلك بعد أن اختلف عبدالناصر مع الأمريكيين
وإن كان مثل هذا الاتهام قد وجه أيضاً إلى محمد حسنين هيكل .

وإن كان مصطفى أمين لم يكشف أهدافه فى وضوح غير مرة واحدة
فإن ما قاله إذ ذاك يكفى لكى يضىء لنا طريق حياته ووقائعها كتب مصطفى
أمين فى مجلة الاثنين (١٥ مارس ١٩٤٣) تحت عنوان الأهداف التى ستعمل
مصر لها بعد الاستقلال .

وقد جعل من أهدافه التى سيعنى بها ويقود لها الرأى العام بعد الحرب
أن يحارب التعصب الدينى وأن يجدد الأزهر وأن ينادى بتحرير المرأة قلبياً

لأن الحب الطاهر لا يزال جريمة يعاقب عليها المجتمع . والمجتمع المصرى إلى اليوم مجتمع لا روح فيه لأنه خال من المرأة ، والشباب المصرى لا شخصية له لأنه ليس فى حياته امرأة . ومن أهدافه أن يشجع المرأة على المطالبة بحقوقها السياسية وتولى الوظائف وأن ترث كما يرث الرجل تماماً وأن يدعو إلى اتحاد شرقى (لا اتحاد إسلامى بهذا النص) على نظام الولايات المتحدة الأمريكية .

هذه الصورة التى كانت تجول فى ذهن مصطفى أمين تكشف الأهداف التى ظلت كامنة وراء عمله الصحفى كله : إشاعة روح تحرير المرأة قلبياً وإشاعة الحب بين الرجل والمرأة حتى يكون فى حياة كل شاب امرأة . ومن وراء هذا المعنى يقف هدف الصحافة الأكبر : الإثارة والجنس .

كما تحدث الكثيرون عن السر فى انتشار أخبار اليوم ، فقد أشار أحد كتابها إلى هذا المعنى حين قال : (كان لنفوذها فى الدوائر البريطانية . والأمريكية أثره فى تقديم أخبار جديدة لفتت الأنظار وشدت القراء إليها واستطاعت هى فى هذا الوقت ومن خلال هذا الولاء السياسى — خدمة الأهداف الكبرى) .

نعم : لقد استطاع مصطفى أمين بنفوذه الضخم فى الدوائر السياسية الأجنبية والداخلية أن يحقق أهدافاً سنة ١٩٤٣ تحرير المرأة قلبياً حين كانت ترسم الخطط خلال الحرب العالمية لرسم خريطة جديدة للمجتمع العربى والإسلامى .

ولقد كان المدى بعيداً بين عام ١٩٤٣ حين رسم مصطفى أمين مخططه هذا وبين ما كتبه عام ١٩٧٩ يطالب برد الإيمان إلى قلوب أبناء الجيل الجديد فإن موجة الكفر والإلحاد هى المسئولة عن استهتار بعض شباب العالم بالمثل العليا وضعف المستوى الخلقى وانتشار الجرائم والمخدرات بين الذين سيتسلمون مصير العالم بعد سنوات .

وليست هذه الدعوة الجديدة نتيجة لتغيير فى الخطط وإن كانت نتيجة لتغيير فى الأسلوب ، فما زال مصطفى أمين بالرغم من كتاباته المملوءة بعبارات

الحنان مؤمناً بكل الأهداف وما زال ينتفض إذا جاء خبر بأن امرأة ما تولت عملا جديداً حتى ولو كانت كناسة فى شوارع موسكو ، وما زال مصطفى أمين يضرب أمثلة البطولة والنجاح واحتمال الجهد فى سبيل الشهرة بأم كلثوم وعبد الحليم حافظ . وما زال يؤكد أنه حضر ثورة ١٩١٩ مع أنه ولد عام ١٩١٦ ولقد كان خليقاً بالسجن الذى آوى إليه تسعة أعوام أن يدفعه لأن يغير خطته إلى خدمة القيم العليا للحياة الإنسانية ولكنه لم يفعل بل خرج من السجن ليكتب قصصاً جنسية أشد عنفاً مما كان يكتب من قبل ويؤكد مفاهيمه السابقة ويصر عليها . إن كتابات مصطفى أمين تقف فى قوة فى وجه الشيوعية ولكنها تخدم الديمقراطية الغربية . والكتابات الأخيرة بعد السجن تكشف عن ظاهرة عميقة الدلالة هى « الجنس الصارخ » ونحن ندهش كيف يمكن أن يحدث ذلك بعد ارتفاع السن وكيف يجمع المتناقضات بين قصة جنسية وعامود (فكرة) بما يحمل من اتجاه إلى الله أحياناً ودعوة إلى الخير (وفى عدد ٦ يوليو ١٩٧٤ يكتب على أمين أيضاً عن الجنس والرقص) وكيف يمكن إقناع القارىء بهذا التناقض ولكن الذى يفهمه الناس جميعاً أن كلمات (فكرة) خدعة ومصيدة لتضليل القارىء عن مؤازرة الكاتب لهذا الاتجاه الواضح الظهور اليوم فى الصحافة الأمريكية والذى تدفع إليه الصهيونية وهو الإباحية ، ونحن نأسف لأن الصحافة الأمريكية تصـــدر الإباحية والصحافة السوفيتية تصدر الإلحاد ونحن بينهما فى طاحونة شديدة . لماذا لا تعطى هذه التجربة الخطيرة بالسجن تسع سنوات فرصة لمراجعة العمل والحياة ، ولماذا لا تعطى إحساساً حقيقياً بالعودة إلى الله يتمثل لا فى جمع القروش لليلة القدر ولا فى الكلمات البراقة ، ولكن فى التوجه الحقيقى لشخصية لها وزنها وثقلها فى عالم الصحافة إلى العمل الخالص . وكفى ذلك التاريخ الطويل السابق ، وتلك المحاولة الخطيرة المتصلة التى حملت لواءها الصحافة العربية فى العصر الحديث للعمل على إفساد القيم الأخلاقية والدينية ، لقد جاء السجن ضربة قوية لإيقاظ النفس ، ثم جاءت العودة إلى المكانة الصحفية حجة عليكم من الله تبارك وتعالى حتى يعلم الناس العبرة ، والواقع أن الله تبارك وتعالى سبحانه وليس أحد غيره هو الذى وضعكم موضع العقوبة

ثم هو الذى عفا عنكم وأعادكم إلى العمل ورد لكم اعتباركم وهو قادر على أن يعيدكم إلى عقاب أشد « ولعذاب الآخرة أشق » فليعلم مصطفى أمين أنه موضع رقابة شديدة من الله وأنه على حافة خطر عظيم .

ولقد كتب مصطفى أمين يطالب برد الإيمان إلى قلوب أبناء الجيل الجديد فما هو العمل الذى قدمه حقيقة فى هذا الميدان ، هل حاول أن يقدم القصة الأخلاقية والكلمة الكريمة . هل حاول أن يخفف من هذه السموم المبثوثة فى صفحات الجريمة والرياضة والمرأة . هل فتح باباً جديداً لزرع الإيمان فى النفوس وإعادة الإيمان إلى الصدور ، أو هى ألفاظ وكلمات خادعة مضللة يحملها عامود لتكون « تغطية » على ذلك الركام الشديد السواد الذى ما تزال تقدمه الصحافة .

إن اللمسة الإنسانية فى تبنى قضايا المظلومين وتحقيق رغبات المحرومين فى ليلة القدر لا تكفى ، إذ أن التغيير يتطلب الوصول إلى أعماق النفس ، إن الدور الذى يشيدون به له فى الصحافة هو دور مادى . رفع المرتبات ، إدخال فنون جديدة للإخراج ، إغراء القراء بالصحيفة عن طريق دغدغة أهوائهم وتقديم مزيد من المرغبات والمثيرات للقارىء . هذا شىء لا يمكن أن يتم إلا على حساب القيم الأساسية للدين والخلق لهذه الأمة .

وقد علق أحد الكتاب على مدرسة مصطفى أمين فقال(١) :

أولا : إن مقياس النجاح عند مصطفى أمين هو الإيراد الذى تحققه الجريدة من الإعلانات والتوزيع . وإيراد الإعلانات يضع صاحبه فى الخدمة المباشرة للشركات الأجنبية والرأسمالية . وبذلك ظلت صحافة مصطفى أمين قبل يوليو ١٩٥٢ مخلصة للاستعمار والرأى وأحزاب الأقلية وكبار الرأسماليين .

ثانياً : صفحات أخبار اليوم تطفح بالإثارة المفتعلة والأخبار الكاذبة والصور العارية والتحقيقات التى تهدف إلى جذب أنظار الناس عن الأحداث الجارية .

---

(١) روز اليوسف ١٢ - ٩

ثالثاً : كثيراً ما صدرت أخبار اليوم بمانشيتات مبتذلة فى وقت كانت تتفجر فيه أحداث وطنية وأحداث عامة ، وكثيراً ما أسدلت الصور العارية والفضائح الشخصية ستاراً من الإثارة على موضوعات هامة وحيوية .

ولا ريب أن تحكم الإعلان فى الصحافة من أكبر أخطار الصحافة ومن أشدها خطر الإعلانات المكتوبة على هيئة مقالات .

غير أن أسلوب تقديم الأخبار على النحو الذى ابتكره مصطفى أمين يعمل على : تفتيت الأحداث بدلا من إعطاء الظاهرة الأساسية الكبرى وراء تجميعها فى منطلق واحد ، وضآلة القدر المعطى للأصالة والإسلاميات وضياع هذا القدر وسط البرامج المختلفة . بل وفساد مضمونه الأساسى .

وقد وصف أحدهم مدرسة مصطفى أمين بأنها مدرسة الرجل الذى عض كلباً . أى أنها تقدم الإثارة على الحقيقة ولا سيما فى توافه الأمور التى تروق للبسطاء .

ومن الناحية التاريخية فلحساب الولاء لسعد زغاول غيرت أخبار اليوم حقائق كثيرة وفى مقدمتها تشويه مذكرات محمد فريد بالإضافة إليها والحذف منها (عام ١٩٦٤) وقد نقلت من مذكرات سعد زغلول ما تحاول به تكذيب وقائع محمد فريد ، فهى تؤيد سعد زغاول على طول الخط . وسعد عدو ومخالف لمحمد فريد . وقد حاول فريد كشف خططه .

بل إن مصطفى أمين أخفى أخطر ما فى مذكرات سعد زغلول عندما نشرها فى الأخبار . أخفى ١٥٠ صفحة منها عن تجربة سعد زغلول مع القمار .

ولعل أسمى ما تطمح إليه الأمة فى هذا العصر هو تطبيق الشريعة الإسلامية ومع ذلك فإننا نجد مصطفى أمين يسفه هذا المطلب ويقول أن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة ولا يمكن أن تعود القهقرى إلى الخلف وهو يعرف أن تطبيق الشريعة هو المنطلق الوحيد لهزيمة صحافة الإثارة وهو الخطر المترصد بهذه الكوكبة الضالة .

(٤)

قدمت الصحافة العربية لأنيس منصور ركاماً ضخماً من الكتابات المترجمة عن الغرب تتميز على كثرتها وتنوعها بأنها تمثل ذلك الهدف الخطير الذى عمدت إليه الصحافة فى موقفها من الأدب والفكر والترجمة والنقل من الفكر الأجنبى : وهو الإثارة . ولقد كانت دراسة أنيس منصور متصلة — بالفلسفة أول الأمر ، وكان أكبر أمانته للفلسفة الوجودية ومن هنا فقد اتسمت كل كتاباته بهذا اللون حتى بعد أن سقطت الفلسفة الوجودية وتكشف زيفها وفسادها وانطفأت تلك الشمعة التى أوقدها سارتر وسيمون دى بوفوار وكامى . وحل محلها ذلك اللون من العبث الذى عرف عن بكيت وكافكا والهيبيين .

ولقد ظهر فى فترة من الفترات أن أنيس منصور قد استجاب للفكر الإسلامى واتصل بمفاهيمه وقيمه فى محاولة إعلانية صحفية خطيرة تمثلت فى زيارته للكعبة والمشاهد المقدسة وفى خلال ذلك كتب صفحات حاول فيها أن يسترد إيمانه بالله ولكنه لم يلبث بعد ذلك إن عاود كتاباته المثيرة عن الراقصات والأزياء العارية وكل ما يتصل بالوثنيات الغربية التى تتمثل فى الأفكار المثيرة التى تتصل بالثورة الجنسية والمسرح والرقص، ولم تعد أمانته للمفاهيم الإسلامية إلا أثراً بعد عين ، ذلك أن محاولته لم تكن فى الحقيقة رغبة صحيحة إلى التماس المفهوم الأصيل ولكنها كانت مظاهرة صحفية بعد تقلص ظل النفوذ الماركسى من الفكر الإسلامى ، وهى أشبه بالمظاهرة الصحفية الخطيرة التى بدأ بها حياته الصحفية حين نقل إلى الصحافة العربية فكرة السلة والقلم الذى يكتب بغير كاتب وهذه العملية الساخرة التى نقلها من بلاد الوثنية الشرقية وكافأه عليها أصحاب أخبار اليوم بمنصب رئيس تحرير مجلة « الجيل الجديد » .

ولقد أمضى أنيس منصور سنوات طويلة يكتب الصفحة الأخيرة من أخبار اليوم وينقل فيها خليطاً من تلك الفلسفات الوثنية والأساطير والخرافات وكتابات متضاربة عاصفة ، تعصف بنفوس الشباب حين تقتلع من الجذور أسباب الإيمان وتبث الشكوك فى القلوب حتى كان الباحثون يتساءلون :

ماهى الفلسفة التى يحاول مثل هذا الكاتب أن يغرسها فى القلوب والعقول ؟ وكيف يفهم الشباب الطرير الذى ليس له خلقية كافية من الإيمان بالله . أبعاد الحياة وأمور الدنيا وشئون المجتمع ، وهل هذا العمل هو هدف صحفى قاصر يراد به كسب القراء بالإثارة أم أنه جزء من خطة التغريب الضخمة التى يراد إغراق الثقافة والفكر الإسلامى فيها بترجمة فلسفات وسموم لم يكن المسلمون والعرب يوماً فى حاجة إلى نقلها .

لقد لخص عشرات الكتب الغربية التى لا تهدف بعرضها دون مقدمات أو تعليقات تلقى الضوء على مضامينها أو تكشف عن سلامة هذه المضامين أو زيفها ، — إلا إفساد العقل الإسلامى والذوق الإسلامى والمزاج الإسلامى وتحويله إلى مفاهيم غربية صارخة تستمد أساسها الأول من نفس قلقه ومزاج مريض ورجل قد تحوطته الأمراض والأهواء جميعاً فضلا عن علامة البدء فى حياته الفكرية والثقافية الأساسية وهى الوجودية المستمدة من مفهوم الفلسفة المادية والتى تستهين بكل القيم وتحتقر كل المفاهيم الأخلاقية أو الدينية .

ولقد كانت كتابات أنيس منصور يوماً ما — ككتابات لويس عوض — لا يعرف هل هى ماركسية أم ليبرالية أم أنها من مدرسة معروفة هى مدرسة العلوم الاجتماعية التى تنكر كل القيم وتحتقر الفطرة وتعلى شأن الماديات. ولقد عرف أنيس منصور نفسه ذات يوم فقال :

أنا أول من قدم (يائل) ديان إلى القارىء ؛

أنا أول من قدم الكاتب اليهودى العظيم ألبرتومورافيا إلى المصريين والعرب عام ١٩٤٧ وترجم له أكثر من مائة قصة قصيرة . وقابلته هنا وفى بلاده وفى أمريكا عشر مرات .

وعندما ترجمت صحيفة جيوش أوبروفر : صفحات من كتابه (وداعاً أيها الملل) قالت : إن المؤلف ينتسب إلى قبائل الغجر الفلسفية التى تضم الكاتب اليهودى كافكا وغيره من الضائعين والتائهين . يقول إنى لم أغضب لأن هذا ليس رأى المجلة وحدها ولكنه رأيي أنا أيضاً ولكنى غضبت لأنها ساقت المقال على هيئة اكتشاف ونسيت أننى اعترفت بذلك دون أن أدين بهذا القلق لكافكا أو لغيره (الأخبار ٥ يونيه ١٩٧٤)

والحقيقة أن أنيس منصور قدم فى هذا الميدان « ركاماً » كثيراً يلبلل به الأذهان وحطم به النفوس وأدخل إلى قلوب كثير من الشباب شكاً وقلقاً ويأساً ، وما تزال كتبه التى تحمل هذه السموم تطبع ويقرؤها الكثيرون على أنها فاكهة محرمة وتسلية ومتعة للغرائز والأهواء ، ولكنها فى الحقيقة ليست إلا أهواء البشرية الضالة الممزقة ، وهو خلاصة ما قدمه الكتاب التلموديون لتمزيق النفس الإنسانية وهدمها وتحطيم قيمها منذ ظهرت هذه الكتابات على أيدى فرويد ونيتشه وميكافيلى ورينان وأوجست كونت وبودلير وسارتر وعشرات الهدامين .

بل إن أنيس منصور قد ذهب إلى أبعد من هذا فعنى بترجمة كلمات الممثلات صوفيا لورين ومرجريت بردو ومارلين دتريش وغيرهن ، وعنى بالكتابة عن الشقراوات المتوحشات ، بالإضافة إلى الأفلام العارية والأدوار الشاذة . وكتابات الإباحيين ومحاولة تصوير هؤلاء الممثلات على أنهن « الآلهات الرومانيات » وذهب فى الإغراء بالكلمة إلى أبعد حد فى الحديث عن الأجساد العارية وما يتصل بالفنانين من تماثيل وطوابع بريد وعملات ذهبية ، وعمد إلى استغلال الجنس إلى أبعد حد فى إفساد مفاهيم العلاقة بين الرجل والمرأة وكان فى كتاباته حريصاً على الاستشهاد بالتوراة وبسفر خاص فيها يتحدث عن الجنس فضلا عن فكر أرسطو وأفلاطون .

وحرص أنيس منصور على هدم الصلة بين الآباء والأبناء وإثارة الأبناء على الآباء حين وصف هذه العلاقة كما وصفها فرويد والتلموديون بأنها « سيطرة » فى حين أنها ليست إلا رعاية وتوجيهاً وحماية من الكبير للصغير

فى مرحلة من أخطر مراحل الحياة ، وهو يرى أن الصحافة قد أخضعت الشباب لنفوذ آخر غير نفوذ الآباء وأن الصحف شجعت الشبان على الثورة والتمرد على البيت والأسرة والكنيسة . ويرى أن انتشار مرقص (الروك آند رول) دليل على اهتمام الشباب بإزعاج الآباء وتحديهم ،وكذلك انتشار التدخين والخمور يؤكد أن الشبان حريصون على هدم الرأى العام. ولا ريب أن ترديد هذا الكلام مرات متعددة إنما يرمى إلى الإيحاء والتوجيه وإفساد من لم يفسد ، ودعوة إلى خلق جو من التمرد للقضاء على روح الإيمان والخلق بين الأجيال الجديدة .

ويتحدث أنيس منصور عن الفتاة الجامعية فى الغرب التى تجد حبوب منع الحمل فى أجزخانة الكلية ولا أحد يسألها عن سبب شرائها للحبوب .

ويرى أن العرى لم يعد كافياً لإثارة الجنس وأن هناك الإثارة العنيفة بالكلام والحركة . وأن الأغانى أكثر إثارة من الأفلام ، وكذلك يرى أن الرقص الجديد يقضى على خجل الشباب ، وحين يتحدث عن الزواج يقول أنه هو وحده الذى انفرد بالملل لأن كل شىء فيه يتكرر بانتظام . وينسى أن الزواج هو الطريق الكريم للعلاقة بين المرأة والرجل . وهكذا لا يتوقف أنيس منصور عن ترديد آراء فلاسفة الجنس والمادية والإباحية الذين يصدرون عن بروتوكولات صهيون لهدم المجتمع الغربى ، ثم هو ينقل ذلك إلى المجتمع المسلم بقوة وحماسة واستمرار وعمل لا يتوقف .

وعندما يتحدث (محمد أنيس منصور) عن السيد المسيح يردد مسألة الصليب . والصلب غير وارد فى مفهوم الإسلام .

ويدافع أنيس منصور بعد كتاباته عن الكعبة والأراضى المقدسة عن الخمر ويهاجم قرار شركة مصر للطيران بمنع توزيع وبيع الخمور على طائراتها ويتهجم على التعليم الدينى فى المدارس ، ويتحدث بإعجاب عن الأدب المكشوف والقصص الجنسى الأوربى ، ويكشف عن خلاصة تجربته فى ٢٧ - ١ - ١٩٧٣ (أخبار اليوم) فيقول : إن كل ما قرأت وتعلمت لم يكن ينفعنى فى الإجابة عن شىء . لم أجد من كل ألوف الكتب التى أمضيت

فيها عمرى وأطفأت فيها نور عيني وأوجعت فوقها رأسي وظهرى . لم أجد واحداً يقول لى شيئاً يريحنى أو يجعل أيامى أسهل . لا شيء ، إننى لم أكن قريباً إلى نفسى أو إلى أحد وإلى هذا الحكيم المجهول القوى الذى لا نعرفه والذى هو هناك ، هو هنا . فى كل واحد وفى كل شيء . إنك قطعت عمرك كله مسحوباً من عقلك وقلبك وغرائزك وأنك فى ساقية تدور وتدوخ وأنك أسلمت نفسك لجلاد هو الليل والنهار . هو المال والجاه والأولاد واللذة والخوف والطمع واليأس والشك » .

والحق أن هذا أمر يرثى له . أن يكون قارىء هذه المجلدات الضخمة على حافة الشك وعلى حدود الهاوية مع أنه لو اتجه نحو كتاب واحد من الكتب الأصيلة لوجد نفسه ولفهم نفسه ولفهم مهمته فى الحياة ولعرف رسالته الحقة ومسئوليته وأمانة القلم والجزاء الأخروى ولاستطاع أن يقدم خيراً كثيرا لعل الله يغفر به تلك الصفحات السوداء التى قدمها لإثارة الشكوك فى العقيدة والتمزق النفسى خلال أكثر من عشرين عاماً .

لقد صدق أنيس منصور حين طلب حرق كتبه وقال : إن حرصى على احتراق كتبى فلأنها لا تساوى شيئاً ، فلا هى أشبعتنى ولا هى روتنى . ولا أراحتنى . ولذلك يجب أن تكون تراباً أدوسها بترابى .

وكان أنيس منصور قد تمنى أن يحرق جسده بعد موته مع هذه الكتب . وهذه نفحة بوذية خطيرة لا يمكن أن يقولها رجل يؤمن بالله و اليوم الآخر .

ولعل من أبرز أخطاء أنيس منصور متابعة الفكر التلمودى فى القول بأن (الرب قد خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى السابع) مع إن هذا المعنى يتعارض مع مفهوم أقل المسلمين ثقافة وفهماً للإسلام وهو فى هذا متابعة لليهود (اعرف عدوك) كما أنه تابع المستشرقين فى القول بأن فرعون هو الذى أخرج اليهود من مصر أيام موسى عليه السلام ، والعكس هو الصحيح فإن اليهود بقيادة موسى خرجوا فارين بدينهم من ظلم فرعون ، وأن فرعون هو الذى تابعهم ليقضى عليهم فنجوا وغرق فرعون وأغرق الله قومه .

* * *

الباب الثالث

الصحافة والفن

"السينما والمسرح"

أفسحت الصحافة العربية للفنون : (المسرح والسينما والأغنية والموسيقى وغيرها) صفحات دائمة وأبواباً مقررة ، واتخذت من هذه الفنون تجارة ومورداً تدافع به عن المنتجين والمخرجين وأصحاب رءوس الأموال ، وتحمى تلك التيارات الخطيرة التى تقوم من وراء هذه الفنون ، بل ولقد خلقت الصحافة لهذه الفنون لوناً من القداسة وأسلوباً من الحصانة ووصفت هذه الأعمال بأنها ذات أصول علمية وفنية ، واستغل المسرح واستغلت السينما استغلالا كاملا لحمل تلك السموم التى احتوتها فلسفات التحلل والمادية والإلحاد والإباحة وسيطرت عليها دعوات الفكر الماركسى إذ سيطر الماركسيون ومفاهيم الرأسمالية والليبرالية ، وهم بين هذا وذلك لا يقدمون مفهوماً عربياً أو إسلامياً أصيلا ، بل هم لا يقيمون وزناً للأخلاق ولا للقيم ، وهى تسرف إسرافاً شديداً فى تمييع العلاقات بين الرجل والمرأة وتقيم المحاورة كلها على أساس الاغتصاب أو الجرى وراء الزوج الآخر ، أو إغراء امرأة بأن تترك زوجها ، أو التآمر والخداع ، وهى صور قليلة فى المجتمع ونادرة ولا يجوز مطلقاً أن تقدم على أنها ظاهرة عامة وخاصة فى المجتمعات الإسلامية والعربية .

ومن الأسف أن ننقل إلى بلادنا ومجتمعاتنا الصور المختلفة والمذاهب المتعارضة والمناهج المتضاربة ، بين غرب أوربا وأمريكا وروسيا الماركسية السوفيتية ، كل هذه الفنون المسمومة التى كتبتها أقلام ظالمة جريئة تهدف إلى الإثارة والكسب ، تصب كلها فى مجتمعنا الإسلامى بهدف تمزيق وحدته والقضاء على مقوماته وهدم أخلاقياته .

وفى هذه المرحلة التى نؤرخها سيطرت القصة والمسرحية كوسيلتين للتعبير ، صحيح أن هذا اللون من الأدب قد ظهر قبل ذلك بكثير ولكنه مسيطر على الساحة الآن ؛ كان الجيل السابق يعتمد على المقالة فكان لابد أن يقدم فكراً عميقاً وأن تكون له ثقافة واسعة ، أما الآن فإن القصة والمسرحية وهما القالب السائد فى التعبير ، قد جعلتا الكاتب يلتفت إلى الناس ويرصدهم ويتابعهم ويعبر عنهم ، والخطورة هنا أن كتاب القصة لا يحملون أى ثقافة تاريخية أو اجتماعية أو فلسفية تمكنهم من معرفة اتجاهات المجتمع العربى الإسلامى وأصوله وعقائده ، فهم يقدمون تلك الصور الباهتة المريضة التى يعيشها المجتمع فى واقعه ، ومع الأسف فهم يختارون أسوأ ما فيها لأن المسرحية تقوم على عقدة وتقوم على مأساة فلا بد من البحث عن تلك الصور المريضة والضالة والفاسدة لتقدمها للناس .

وبذلك أصبحت صورة المسرح لدينا صورة مسفة مفزعة ، سواء فى مجالها الضاحك أو القائم على تصوير المآسي . أما المسرح الهزلى (الكوميدى) فإنه يقوم على إهدار القيم الاجتماعية والاستخفاف بالثقافة وبالتالى تلهية الناس عن واقع حياتهم عن طريق الفكاهة المفتعلة وهى فى مجموعها محاولات لخداع الناس سواء عن واقعهم أو خداعهم عن المفاهيم الأصيلة ، تدور فى قصص لا تنقصها سذاجة الفكر ولا سطحية المشاعر والأحاسيس ، وبذلك يصبح المجتمع صدى لمجتمعات الخنافس والعبث واللامعقول وغيرها من فنون الانهيار الفكرى والتصدع الاجتماعى . وأبرز معالم هذه الفنون النزول بأذواق المشاهدين إلى حد الإسفاف .

أما مسرح المأساة فإنه يقوم على قصص ذات وقائع مفتعلة ، ليست من طبيعة الحياة . تستهدف خلق روح القلق والتمزق فى النفس الإنسانية وهى منقولة نقلا ومترجمة ترجمة فعلية من المسرح الغربى بأحداثه وظروف مجتمعه ولا تمثل مجتمعنا بوجه من الوجوه .

ومع ذلك فإن الصحافة تكذب أهلها ، ولا تحمل الأمانة الحقيقية ، حين تؤازر وتؤيد وتنشر وتنمى هذه السموم فى مجتمعاتنا ، لأنها « تجارة » رابحة

من الناحية المادية ولأن أغلب القائمين عليها لهم ارتباطات خارجية يعرفها كل من يعبر البحر حيث توجد تلك الخلايا التى تلتقط العابرين لتجعلهم فى خدمة جهات معينة وأهواء خاصة ترمى كلها إلى تحويل فكرنا الإسلامى العربى القائم على التوحيد والرحمة والإخاء ليكون خاضعاً لإطارات الفكر الغربى ، ولينصهر فى بوتقة مفاهيم المسرحية المأساوية القائمة على الصراع بين الآلهة والإنسان حيث لا يوجد فى الفكر الإسلامى أى صراع من هذا النوع ، وحيث تحول البطولات الإسلامية والشخصيات والأحداث لتصب فى قوالب قائمة على مفهوم الخطيئة المسيحية وعلى أساس النهاية المحتومة فى هزيمة البطل واندحاره ، وهذه المفاهيم لا يعرفها الفكر الإسلامى ولا التاريخ الإسلامى ولا المجتمع الإسلامى ، ولكنهم يعمدون إلى جعلها قوالب لفكرنا فى سبيل خدمة أهداف الماسونية والصهيونية والشيوعية والنفوذ الأجنبى .

وكان أولى بالصحافة العربية أن تواجه هذه الأخطار المدمرة التى تسيطر على المسرح والسينما والتليفزيون والمسلسلات ، وأن توجه المؤلفين والمخرجين إلى تقديم مفاهيم الأصالة وقيم الإسلام وأخلاقياته وبطولاته الحقيقية .

ولكنا نجد العكس ، نجد حملة ضخمة متصلة عن طريق تقديم الفن الغربى معرباً . إلى إفساد الفطرة العربية الإسلامية وإفساد الذوق العربى الإسلامى فى الأغنية والموسيقى والمسرح ، بل نجد أسوأ من ذلك ، نجد الصحافة جادة فى الدفاع عن هذه الركائز المسمومة الضارة التى أقامها النفوذ الأجنبى والاستعمار فى مختلف أنحاء المجتمع الإسلامى وحمايتها والوقوف دون تحطيمها أو القضاء عليها ، وفى مقدمتها الدفاع عن المسرح والفن والغناء والإباحية والممثلات والمغنيات والراقصات والإشادة بهم والتحدث إليهم ونشر صورهم وأحاديثهم وإحياء ذكريات المتوفين منهم (دون أن يحظى بمثل ذلك أكبر الناس قدراً فى تاريخ هذه الأمة من أبطالها وأعلامها ومفكريها وقادتها) بل إن الصحافة تقدم هؤلاء الناس إلى الأجيال الجديدة على أنهم المثل الأعلى الذى يفتن به الشباب والفتيات ، ويا ويل من يكتب كلمة فى مهاجمة هذه المؤسسات أو معارضتها أو الإشارة إلى فسادها أو إلى الأخطار التى تحدثها فى الأمة ،

وعندما يصل الكلام إلى الملايين الضائعة التى تصرف على المسرحيات والفنانين تطوى الأوراق بسرعة ، وإذا جاء ذكر المرأة الراقصة أو الممثلة فإنما هناك الصيحات العاليات للدفاع عن « قداسة الفن » وكرامة الفن ، مع أن الدنيا كلها تعرف كيف تجرى الحياة بين الكواليس ، وتهتم الصحف بتقديم أدق التفاصيل عن حياة الممثلات والراقصات الخاصة .

ولقد لفت هذا العبث أنظار الكثيرين ، وتعالت الصيحات تدمغ الصحافة بالانحراف وأشار الدكتور إسماعيل السباعى (نحو النور ٣ - ١ - ١٩٧٧) إلى ما يعرض على شاشة التليفزيون وإن جانباً كبيراً منه يتركز حول الفن والفنانين والفنانات كأنما الدنيا ليس فيها أحد غيرهم ، وكأن حياة الشعب لا تستمر ولا تزدهر إلا بوجودهم ، ووجودهم وحدهم .

ولقد اعترف الباحثون بأن هناك فقداناً للتوازن بين العناصر ، التى تقدم ، وأن هذا يؤدى إلى اختلال المجتمع اختلالا لا شك فيه .

هذه المحاولة فى إعلاء شأن أهل الفن والمغنيات والراقصات والممثلات لإعطائهم هذه الصورة من البطولة وجعلهم فى مواجهة الأمة مثلا تقتبس منه السيدات ملابسهن وكلامهن ومشيتهن ، وكل هذا باطل ومضلل ، فإن المجتمعات المسلمة عرفت دائماً ذلك الفارق العميق بين سيدة البيت ، وبين أهل الفن الذين يقوم عملهم — أو عملهن — على التسلية والإضحاك وإزجاء الفراغ ، وتقديم بعض الفكاهات أو السخافات ، وأنه لا يمكن أن يستوى هؤلاء وهؤلاء مهما جرت محاولة الصحافة فى إعلاء شأنهن حتى ليقول الصحافى بلسان إحدى هؤلاء : قداسة هذا المعبد — أى المسرح ، وإنها تخدم فيها وتدافع عن هذه القداسة ، وإن الفنان على المسرح ليس أجيراً وإنما يؤدى رسالة ، وإن هذه كرامة ، وإن الفن كرامة تعيش لها وتموت من أجلها .

لا ريب أن هذا اللغو كله لا قيمة له من الوجهة الحقيقية ، وإنما هى كلمات من يريد أن يعلى من شأن السلعة ، وإلا فهذه الفنون فى مقاييس التقدير

الصحيح ، وفى مجال البحث العلمى والدراسة الاجتماعية الصحيحة لا تساوى شيئاً وليس لها قيمة إطلاقاً ، إلا من حيث إنها وسيلة مسمومة من وسائل النفوذ الأجنبى لهدم مجتمعاتنا .

وتقدم الصحافة مثل هذه الكلمات وتقدم تلك الأسماء اللامعة التى تتردد فى الأفلام السينمائية وعلى المسرح ، أمثال يوسف وهبى وزكى طليمات وعبد الوهاب وأم كلثوم وتحية كاريوكا وعشرات ، بمثابة أسماء لامعة فى هذا المجال ، ولكنها لن تكون مثلا أعلى لأمة ناهضة ، وإنما تستمد الأمم مثلها العليا من العظماء والأبطال .

ويدهش الباحث لمثل هذه العبارات المجافية لأبسط المفاهيم العلمية : من الذى أعطى المسرح هذه القداسة التى يدعونها وهو بيئة الفساد والإباحية علماً وعملا . نحن نعرف ما هى مهمة المسرح الحقيقية . هذه المهمة التى صورها لينين حين قال إنه البديل عن الكنيسة . إنه الملتقى الخطير الذى تصهر فيه الأفكار المسمومة وتقدم للغافلين والسذج والاغرار . لقد كان كذلك فى عهد اليونان والرومان ، وكان كذلك فى عهد المسيحية ، وكان كذلك ولا يزال فى عهد الرأسمالية والاشتراكية . إنه أداة الخداع والتضليل التى يُضحك بها على الشعوب لتذلل إلى الأهداف التى ترسمها القوى المسيطرة . إنه وسيلة تغيير المفاهيم والأعراف والقيم ، ولذلك فقد كان المجتمع الإسلامى فى غير حاجة إليه لأن مفاهيمه طليقة بسيطة سليمة ، لا تقبل التأويل ولا تحتمل الشك ولا تقبل التجسيم ، وكان هذا الوضوح هو لب العقيدة حيث لا يوجد ما يصعب فهمه أو يحتاج إلى مثل ما احتاجت إليه الوثنية القديمة والعقيدة المسيحية من بعد لعرضه وشرح تعقيداته وتفسيره عن طريق المسرح حتى يمكن الاقتناع به وتقبله ، هذا فضلا عن أن المسلم لا يقر « تكنيك » المسرح أساساً الذى يقدم على صراع البطل مع الآلهة والقدر ، فالمسلم فى سلام مع الله الواحد الأحد . ومع إيمانه بالقدر لا يحول دون السعى وإن كان يحول دون المصارعة والصراع .

وصراع الإنسان مع الله أمر لا يفهم ولا يقبل مع التوحيد الذى هو قمة

العقائد فى الإسلام ، ولذلك فإن المسلمين والعرب لم يجدوا أنفسهم فى يوم من الأيام فى صراع مع القدر ، ولما كانت فلسفة المأساة الغربية تقوم على الخطيئة والقصاص والغفران ، وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية وهى خطيئة آدم فإن هذا المفهوم غير مقبول إطلاقاً فى المفهوم الإسلامى ، فإذا حاولت المسرحية (مؤلفوها ومخرجوها) إدخاله على العقلية الإسلامية فإنهم يحاولون باطلا ويزيفون المفهوم الأصيل .

* * *

(٢)

وهكذا تنطلق الصحافة بمفهوم الفنون الغربي الوافـد المضاد والمخالف والمعارض لمفهوم الإسلام لتذيعه وتنشره وتبثه يوماً بعد يوم على مدى طويل (ولا عبرة بمقال يكتب مرة أو مرتين يبين فساد مفهوم المسرح) ، فإن هناك من يحاول التأويل والتعليل وبتر النصوص والدفاع عن المفهوم الخاطئ ، ولقد كان من الضروري الكشف عن هذا الزيف في وضوح ، ذلك أن أخطر ما يدعو إليه الأمر هو دراسة المجتمع عن طريق المسرحية وهو خطأ محض لأن كتاب المسرحية لا يستعملون أوضاع المجتمع إلا بقدر ما تحقق أهواؤهم وانتماؤهم وأهداف كتاباتهم . فدعاة الإباحية يعملون على تصوير المجتمع كله على أنه غارق في الإباحية ، ودعاة الماركسية لا يرسمون إلا الجوانب المتصلة بالفقر والعوز والحرمان ، ودعاة المادية يفسرون أحداث المجتمع من حيث هي عوامل اقتصادية محضة . وهكذا فإن كتاب المسرح يعتمدون على مسلمات باطلة ومسمومة مستمدة من فرويد ومن ماركس ومن سارتر ومن فريزر . وهي في الأغلب قصص وأساطير وخرافات قديمة ، والواقع أن من الخطأ ومن الضلال اعتبار قصص نجيب محفوظ ويوسف السباعي ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس نماذج بشرية صحيحة مستمدة من واقع المجتمع ، ذلك أن هذه الكتابات تجافي مفاهيم الاجتماع الصحيحة اختلافاً واضحاً مع الأسلوب العلمي الذي يصل إلى نتائج محددة ، ذلك أن الروائي يتناول المجتمع من خلال زاوية معينة ونظرة خاصة ويتأثر بوراثياته وظروفه وأهوائه واستنتاجاته الخاصة ، فعمله ليس علمياً أصلا ولا هو قائم على أساس سليم ، والتسلية هي الهدف الغالب والغاية الواضحة ، ولسنا نحن الذين نصل إلى هذه النتائج ، بل إن أناساً من المؤمنين بالمسرح نفسه يرون هذا الرأي فهذا لويس عوض يقول : إن كل كتاب المسرح مهرجون اجتماعيون امتداداً لمسرح الريحاني (ويستثني لويس عوض ألفريد فرج

لغرض خاص) ولكن تبقى الحقيقة الماثلة وهى أن كتاب المسرح مهرجون اجتماعيون يستهدفون إضحاك الناس ، والحصول على حصيلة الشباك . ومثل هذه الأغراض لا يمكن أن تحقق غايات عليا . ومن ناحية أخرى فإن هناك حقيقة تقول : إن المسرح يتحول تدريجياً إلى ملهى يؤدى نفس الدور الذى يقوم به شارع الهرم فى إنهاك الوجدان وإغراقه فى المتعة الفارغة واللا معنى . وهذا جزء واقع من واقع ثقافى عام يتخلف على الرغم منه ويفرض عليه التخلف .

ولن يستطيع المسرح فى أى حال من أحواله أن يكون أداة للخير فقد وضعت أسسه على أنه أداة للشر ومقاومة الخير ، فهو لا يقدم إلا المفاهيم المنحرفة ، ولا يعنى إلا بالمواقف الشاذة فهو يعمل مثل الصحافة على إرضاء الغرائز والإغراء والإثارة ، ولأنه بدأ فى محيط الحرب لكل القيم وللتمرد على الإيمان بالله وخلق الصراع مع القيم والنظم والمقدسات والضوابط والحدود التى فرضتها الأديان على البشرية فإنه لن يستطيع أن يقدم قيماً بناءة أو مثلا راجحة أو أخلاقيات سليمة . وقد دمغ المسرح والسينما والفنون كلها أناس من أهلها : يقول نعمان عاشور : إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطغى على أفلامنا السينمائية والمساخر الفكاهية الهزيلة التى تسيطر على النشاط المسرحى والمسلسلات العقيمة المتفشية فى التليفزيون وهذا الهذر السخيف الذى تفيض به فقرات البرامج الثقافية ، ناهيكم بالكتابات الفارغة الفجة التى تملأ صفحات الكتب والمجلات ، إنما يخلقها دائماً الانهيار الفنى والتردى الأدبى وهبوط المستوى الثقافى ، وكل ذلك منبعث عن مصدر واحد هو « اعتبار الفن مجرد أداة من أدوات التسلية والترفيه التى يصلح بيعها كسلعة تدر الربح » .

وهذه حقيقة لا يمكن إخفاؤها مهما خدعتنا الصحافة العربية بالادعاء بقدسية الفن وكرامة الفن وعظمة الفن . إنما هذه كلها محاولات للخداع والضحك على الأذقان ، وتخدير السذج الأغرار ، فهذه الفنون كلها تجارة وأداة من أدوات التسلية والترفيه ، وسلعة تباع وينتظر منها الربح . وهناك من ينتفع بآثارها على المجتمع نفسه ، خداعاً وتضليلا .

ولا ريب أن المجتمعات الغربية تحت تأثير هذه الفنون قد سادتها موجات الجريمة والجنس والقسوة والعنف ، وبدأت تنهار أخلاقياً تحت وطأة ما تعانيه من مادية جارفة وخواء فكرى وروحى .

وإنه لمن الخطر أن يتعرض مجتمع كمجتمعنا لمثل هذه التيارات الضارة وهو المجتمع القائم على قيم من الأخلاق والكرامة والرحمة .

مثل هذه الحقائق لا تكشفها الصحافة العربية ولا تقدمها لأهلها . وإنما تقدم ما يضادها ويخالفها ، بل وتسرف حين تقدم أحدث المدارس المسرحية الفنية فساداً وانحرافاً ، كمسرح بكيت ويونسكو وغيرهم ، وهى مسرحيات مظلمة ضالة تدعو إلى الانسلاخ من الناس والمجتمع والحياة وتخريب أرواح الشبان والانسلاخ بهم عن الحياة وإلغاء عقولهم وقلوبهم فى متاهة ليس لها أول ولا آخر ، وإن ذلك من شأنه أن يملأ أدمغتهم بالضباب وقلوبهم بحلوكة اليأس وإضعاف عزائمهم وصرفهم عن البناء وتدويخهم فى ظلمات ما بعدها ظلمات . ونحن نعلم أن بكيت ويونسكو يهوديان مخربان مسرفان فى العمل لتخريب الأمم يؤديان رسالة خطيرة ، مثل كافكا وبرنديلو وسارتر وألبير كامى ، ومع ذلك فإن الصحافة العربية تنساق لتقدم لنا ذلك فى إطار من الإعجاب والتقدير ، وترفع من قدر هذه السموم حين تسميها الروائع ، وتضلل الأمة عن الحقيقة وكان أولى بها أن تقدم لها المفهوم الأصيل ، لهذه الأضاليل بأن تقول لنا أن هذا هو فن سخط على الحياة وتخريب للنفوس وتدمير للعزائم ونسف للآمال وارتماء فى أحضان الهزيمة والانحلال . وقد يقال هذا الشر كله تحت اسم حرية الفنان . وحرية الفنان كلمة ضالة مضللة حين يدعو أمثال توفيق الحكيم وغيره إلى حرية الفنان المطلقة التى تتجاوز القيم والضوابط ، وأخلاقيات المجتمعات المسلمة . والتحلل من كل الارتباطات الاجتماعية ، حتى يبدو الفنان الأكثر حرية هو الأكثر تحللا من المجتمع . والواقع أن الحرية ليست هى حرية السقوط أو الانتحار أو الانعزال عن المجتمع أو تحقيق الرغبات والنزوات الفردية .

ولا ريب أن هناك زحفاً خطيراً عن طريق الفن والقصة إلى قلب المجتمع الإسلامى تقوم الصحافة بالدور الأكبر منه ، فإن كل المفاهيم المسمومة

والضالة تقدم فى سهولة ويسر وبساطة عن طريق هذه الأجهزة . وتستوعب عقول الشباب الغض والمرأة فى البيت، وتثير روحاً جديدة مخالفة تماماً لروح الإسلام هى روح التشاؤم والشك والعنف والرفض والإنكار لكل شىء قائم .

وهكذا تجد كل المفاهيم فى تكنيك العمل المسرحى فى محاولات لتخدير النفوس والوصول إلى اللاوعى بأنه لا قداسة لأى شىء . وإشعال الحرائق فى كل القداسات .

ومن أخطر ما يدعونا إليه الفن (المسرح والسينما) هو خلق عالم آخر ، عالم وهمى خيالى ضال باطل قائم على الأهواء ، مختلف عن عالم الواقع يراد تحكيمه فى قضايا المجتمعات والإنسان والحياة اعتماداً على الأسطورة واللامعقول ، حيث تعطى القصة أو المسرحية الكاتب حق الخروج عن الواقع بأحجامه ومقاييسه وعن الحقيقة التاريخية ، وحيث يجرى فى ضوء المأساة التى تحطم البطل المصارع للقدر وإقامة الصراع بين الإنسان والآلهة ومحاولة تقليد الطبيعة وتصوير الجانب المظلم من النفس الإنسانية والجانب المسف من طبائع البشر وتغيير خلق الله ، هذا هو أخطر ما يواجهنا عن طريق الصحافة التى تخدعنا وتغشنا حين تقول أن هناك ما يسمى الحقيقة الإنسانية والحقيقة الفنية ، والواقع أن هناك حقيقة واحدة هى الحقيقة الإنسانية أما الصورة الفنية المتوهمة القائمة فى عالم المسرح أو الخيال فهذه باطلة تماماً .

ولا ريب أن كل هذه المفاهيم من تقديس الأشخاص أو عبادة الناس ورفعهم إلى مقام الآلهة ، أو عقيدة الخطيئة ، أو معارضة القدر أو النظر إليه نظرة غير عادلة كمصدر لتمزيق الإنسان ، فإن ذلك كله باطل . ولكنه بالبث اليومى ، وبالخداع والتضليل يراد إقناع النفس العربية الإسلامية به واعتناقه . ولا ريب أنه لا توجد فى الإسلام خطيئة يستحق من أجلها الإنسان التمزق ، وأن هناك خطأ أكيداً فى فهم العدالة الإلهية ، وفهم القدر نفسه ، فليس هناك ما يسمى تمزيق البطل الخاطئ أو أن القدر يتحكم فى البشر ، ولا يوجد فى الإسلام الصراع العمودى بين الإنسان والآلهة ،

ولا يوجد الصراع الأفقي الذى يدور بين الإنسان والمجتمع (بعاداته وتقاليده وأحكامه وفنونه) ولا يوجد الصراع الديناميكي الذى يدور بين الإنسان والقدر ، ولا يوجد الصراع الداخلي الذى يدور فى داخل الإنسان من عواطفه وعقله ، ويرجع سقوط ذلك كله وتلاشيه فى المجتمع الإسلامى إلى عظمة الإسلام نفسه ويسر مفاهيمه والتقائه بالفطرة وبعده عن أسباب الصراع .

إن الإسلام سعى لخلق التوازن بين جانبي الصراع فى نفس المسلم مما منع الثورة والتمرد عن نفسية المسلم وأبعدها عن مسببات الصراع بمعطيات دينية أخلاقية .

* * *

(٣)

السينما

احتضنت الصحافة العربية السينما احتضاناً شديداً ورأت فيها مصدراً من المصادر المادية ، كما وجدت فيها الأداة القادرة على تحقيق أهداف التغريب والغزو الثقافي على نحو أشد خطورة من المسرح . وقد كشف كثير من الباحثين بأن السينما لم تعد نشاطاً تجارياً هدفه الربح فقط بل أصبحت أداة لترويج الأفكار المذهبية والسياسية ، وأن الفن ليس إلا عميلا لغايات استعمارية أو استبدادية ، وقد فاقت السينما في تأثيرها الثقافي كل الوسائل المعروفة من كتابات ومؤسسات ومحاضرات وأحاديث مباشرة ، وهي المسئول الأول عن كل المظاهر التي طرأت على سلوكنا وأفكارنا ، ومن ذلك ظاهرة الفوضى الجنسية مثلا وهي ظاهرة لم تنتعش إلا بسبب إقبال الجمهور على مؤلفات فرويد .

ومن الظواهر الخطيرة أن أذواق الفتيات أصبحت توجهها أخبار الممثلات : كيف يلبسن . وكيف يصففن شعورهن وكيف يمشين وكيف يعاملن الرجل ، وقد تبين أن الأفكار التي تتردد على شفاه العامة لم يقرأوها في الكتب العلمية ولكن سمعوها من ممثل يقوم بدور الطبيب النفسي أو محام يدافع عن موكله : الضحية البريئة التي جنت عليها ظروف اجتماعية معينة .

وهكذا أصبحت السينما أخطر الأدوات الثقافية والتربوية تأثيراً لأنها تمثل أفكاراً حية تعيش أمام المشاهد ، ولذلك فإن تأثيرها لا يقتصر على الأفكار النظرية كما هو تأثير المؤلفات وإنما ينطبع بصورة أشد على سلوكنا ومظاهرنا . كذلك فإن أفكار السينما ترسخ أكثر لأنها تظهر حقيقة معاشة وليس مجرد خاطر نقرؤه .

ولم تعد السينما قاصرة على روادها ، بل أصبحت تدخل البيوت عن طريق التليفزيون ، ولقد حملت رياح الأفلام السينمائية سموماً كثيرة : فعمر الشريف الذى رفعوه إلى قمة المجد وفتحت الأسواق أمام أفلامه لم يتورع فى أحدها من أن يسخر من القرآن والرسول ، وقد حشت الأفلام أفكار الناس بصور الحضارة الغربية ونقلت كل أمراضها . وقد أصبحت الخيانة الزوجية فى أفلام السينما غذاء يومياً وصورة متكررة لا تمل ، حتى كأنما هى أمر طبيعى لا اعتراض عليه ، وكأنه مشروع ومستساغ ، ولا ريب أن هذا التكرار لتلك المفاهيم المسمومة يؤثر فى حس المشاهد فيصبح شيئاً عادياً لأن عدوى الإغضاء عن الخيانة قد أصابته فى أخلاقه ، فغيرت مفهوم « العرف » الأصيل بأعراف زائفة . ولقد حملت أفلام السينما عشرات من ظواهر الانحلال فى المجتمع الغربى والتناقضات بين أعرافنا ومقاييسنا الاجتماعية والأخلاقية .

كل هذه المفاهيم تحجبها الصحافة العربية عن القارئ المسلم والعربى وتغشه بإعلانات زائفة ودعايات كاذبة لهذه الأفلام المسمومة التى حملت منذ وقت قريب ظاهرة الجنس المكشوف الداعر فى أشد صوره ، حتى أصبح يعرض أكثر عما يدور فى غرف النوم على نحو واضح صريح . وأصبحت البلاد العربية والإسلامية تصرح بمثل هذه الأفلام ، ويدعو صناع السينما المحليون إلى تقديم ما هو أشد عنفاً وأكثر خطراً لينافسوا الأفلام الأجنبية وليحصلوا على الربح ، ونحن نعرف أن السينما العالمية كلها فى قبضة اليهود إلا قليلا مما هو خاضع لأهدافهم وأساليبهم . وليست سيطرة اليهود على صناعة السينما إلا أمراً مبيتاً قد أشارت بروتوكولات صهيون إلى أنه واحد من أهدافها فى إشاعة الرذيلة فى المجتمعات غير اليهودية لتخريبها وتدميرها ، فإن الغرض من أفلام الهوس الجنسى الرائجة الآن واضح ، هو إدخال الأمة الإسلامية فى مرحلة الانهيار الخلقى والاجتماعى .

ولا شك أن اليهودية العالمية قادرة اليوم عن طريق المسرح والسينما والأغانى والرقص والألعاب الرياضية والكرة على إحكام قبضتها على الشباب العالمى وتدميره ، كما أنها ترمى إلى إعلاء المفاهيم المادية والإباحية والماركسية . وقد اتخذت القوى الغربية من الماركسية وسيلة إلى تدمير

شعوب العالم الإسلامى ووسيلة لافقار الدول النامية وتمزيقها وجرها إلى السيطرة الغربية ، وقد نجحت هذه السياسة فى الكثير من البلدان التى جربت النظام الشيوعى ، وقد أصبح الترويج للشيوعية سلاحاً تستخدمه السينما الأمريكية لخدمة الأهداف الغربية الرأسمالية (عبد الحميد جوده السحار) .

كذلك فقد عملت السينما على الترويج للأفكار السياسية الهدامة والترويج للجريمة عن طريق أفلام التقدميين ودعاة الحرية والترويج للرذيلة عن طريق أفلام الجنس ، وليست السينما تجارة فحسب ، ولكنها أداة ثقافية وسياسية خطيرة موجهة بصورة خاصة إلى عامة الناس وتحركها الصهيونية والرأسمالية من هوليود ، ولا ريب أن روح الثقافة الغربية (المادية الإباحية) يسرى فى كل فيلم مهما خلا من محظورات قانون الرقابة وأن المشاهد يتشرب هذه الروح دون أن يشعر .

أما الأفلام المحلية العربية فإنها رديئة وتافهة ومهينة ولا تقوم إلا بتقديم أحط التصورات الاجتماعية والحوار البذئ ، ومنها « احترسى من الرجال يا ماما » و « الكباريه » وتعطى الجوائز لفيلم رقيع اسمه « نساء الليل » .

وتجمع أفلام السينما كل أنواع الشبهات والسموم ، فهى تجمع بين الرقص والكباريه وإدمان المخدرات والأوضاع الشاذة والاغتصاب .

ولقد دمغ علماء النفس والاجتماع السينما وكشفوا عن خطرها : فهم يرون أن السينما ذات أثر فى الانحراف الشائع فى المجتمعات وأن الفيلم السينمائى يبرر السلوك الانحرافى ويؤدى إلى الاضطراب فى القيم الأخلاقية (جورج هوبر وأوتو) ورأى يرى أن السينما ذات أثر مباشر للانحراف عن طريق التقليد والمحاكاة للأفلام البوليسية والمغامرات التى تمجد الجريمة ومخالفة القانون ، ويؤيد هذه النظرية تارد وهربرت بلوز .

وهناك أفلام مصممة على نحو خطير : تحمل دعوة صريحة للفتاة للخروج عن طاعة أسرتها والهرب مع أول صعلوك لا عمل له ولا مستقبل وفرض الأمر الواقع على الآباء والأمهات ، ومن هذا فيلم (البنات لازم تتجوز) ويزداد الخطر شدة عندما يقدمه التليفزيون داخل البيوت وأمام الفتيات الصغيرات فيعطيهن الإحساس بشرعية هذا التصرف ويملأ قلوبهن جرأة على الاندفاع فى طريق الشر .

ويحدث هذا كله والصحافة العربية تقدم هذه الأفلام فى تقدير كبير ودعاية واسعة ، وأقلام مسمومة تحاول أن تصور هذه الأفلام بأنها أعمال جيدة ، ويتحدث عبد الرحيم سرور (وحسابه عند الله) عن المعالجة الفنية الهادفة للجنس ويحاول أن يبرر السماح بعرض أفلام الجنس المثيرة ، فيقول أنه يمنع أفلام الجنس الرخيص : ويحاول أن يدخلنا فى متاهات العالمية ، فما ينطبق على فرنسا وإنجلترا وأمريكا ينطبق علينا ، وكيف يمكن أن يحدث هذا ، وهناك خلاف التزامن الحضارى والعقائد والمفاهيم .

يقول : ليس صحيحاً أن مجتمعنا لا يحتمل عرض أفلام الجنس وأن مفهومه لا يتسع لموضوعاتها ، فليس هناك أى تعارض بين مفاهيم مجتمعنا ومعالجة مشاكل الإنسان . إن الجنس مشكلة من مشاكل الإنسان ومن الطبيعى أن يواجه الإنسان العلمى والواقعى مشكلة الجنس ويعالجها بما أوتى من علم وفن .

ونقول للأستاذ سرور أن هذه المفاهيم باطلة وزائفة ومضللة ، وأن الجنس لم يكن مشكلة فى المجتمع الإسلامى كلية لأن الإسلام أفسح له ووضع له الضوابط فى نفس الوقت الذى أعطى له الإباحة فى أوضاعه الطبيعية . ولم يكن الجنس قط من قضايا مجتمعاتنا ، وإنما هو قضية هناك حيث تقول تفسيرات الأديان أشياء كثيرة باستقذار العلاقات الجنسية ، ولا يعتقد أن الإنسان يستطيع مواجهة مشكلة الجنس بتفسيرات فرويد وسارتر ودوركايم التى تقول عنها أنها علمية واقعية . وإنما يواجه المسلمون جميع مشاكلهم استمداداً من مفاهيم الإسلام والقرآن والسنة الواضحة الصحيحة .

إن دعوة هؤلاء المضللين فى الحديث عن معالجة الجنس والفرق بين المعالجة الفنية والمعالجة المبتذلة كلها كلمات رخيصة مضللة .

إن هؤلاء المضللين يدافعون عن الأفلام الجنسية وعن السينما فى وضعها هذا المهين بالحديث عن تبرير أفلام الجنس ، ويتحدثون عما يسمونه الأسلوب الرفيع المنزه عن الترخص ، ومن العجب أن يكون فى مستنقع الشهوات أسلوب رفيع .

وقد أجمعت أبحاث الاجتماعيين المنصفين على فساد الآثار المترتبة على الفيلم السينمائي الغربي بصفة عامة ، أما الفيلم العربي فإن هناك تأكيداً بتفاهته وأنه رخيص هزيل ، حيث لا تخرج موضوعات هذه الأفلام عن شاب ساقط الأخلاق يغرر بالفتيات ويهرب ، وهناك الفتاة الساذجة التي لا تقدر العواقب فتستسلم عند أول كلمة ، وهناك مؤامرة خدعة آخر القصة بالانتقام بعد أن قدم الفيلم خلال ساعتين كل صور الفساد والإباحية وعبارات الحوار المريض وتعلم الشباب منه كيف تخدع الفتاة أمها بدعوى مغايرة لتتخرج ، أو تخفي التليفون لتتحدث ، فضلا عن رقص البطن . ونكات الخدم ، وشرب الخمر ، والرقص الإباحي وأخبار مهربي الحشيش والأغاني القذرة المليئة بالإغراء .

هذه التبعة الخطيرة تقع على كاتب الفيلم الذي لم يتق الله في قلمه وأمانة الكلمة وأمته ، والذي يضلل العشرات بل المئات من الشباب الصغير القليل الثقافة عن طريق الحق ، وتقع التبعة على جماعة المخرجين الذين قامت عقلياتهم على مفاهيم مغايرة لمفاهيم الفكر العربي الإسلامي يخدمون غايات مخالفة للقيم الصحيحة ، وقد أخضع كتاب السينما ومخرجوها قصصهم وأفلامهم إلى نظريات الغرب : النظرية المادية . نظرية التفسير المادي للتاريخ ، نظرية الجنس ، فكانت هذه الأفلام سبة في وجه مصدريها وعاملا خطيراً في نشر الفساد والكلمة البذيئة ، والصورة المكشوفة ، وكانت تستهدف من وراء ذلك غايات أقلها الرواج المادي ، وقد حملت صورة سيئة لمجتمعها إلى المجتمعات الأخرى لأنها حاولت أن تنافس الأفلام الجنسية الوافدة وأن تتغلب عليها تجارياً ، مع أنه يجب أن يكون لكل أمة قصصها وأفلامها ومفاهيمها ، ولا ريب أن الأفلام السينمائية أخطر الوسائل الإعلامية وهي في بلادها تستهدف غايات كبرى منها الدعاية لمجتمعاتها الغربية وللحضارة المتحللة أو للصهيونية فهي تحمل تلك الأفكار لتذيعها في مختلف أقطار الأرض .

وهي من أجل ذلك تنشر العاميات والكلمة المكشوفة والأغنية القذرة وأسلوب الحوار النازل الهابط الذي سرعان ما ينتقل بين الناس ولعلك

لا تدهش عندما ترى مجلة آخر ساعة تنشر تحت عنوان أسود في ١٦-١٠ سنة ١٩٦٨ « شمس البارودى تظهر عارية فى فيلم بأمر المخرج » .

والمخرج هو حسام الدين مصطفى ، الذى أصر على تصويرها عارية وقال أن هذه اللقطة ضرورية فى الفيلم ، فيلم ومركب وعرض البحر ويلقى بها فى الماء عند شاطئ مهجور ، وتخلع ملابسها لتجففها فى الشمس ، هذا الضلال كله يصدر عن نفسيات ضالة حرمت من نور الإيمان بالله . والحفاظ على أمانة أعراض هذه الأمة .

بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك وهو محاولة ضرب القيم الإسلامية ومن هذا النوع فيلم « أريد حلا »

« وهى محاولة خبيثة للنيل من الشريعة الإسلامية والطعن فى تعاليمها . فالقصة التى قام عليها تصور حياة شابة اكتشفت بعد الزواج أن زوجها رجل فاسد الطباع منحرف الأخلاق فلجأت إلى القضاء الشرعى تطلب الطلاق للضرر ، واستطاعت أن تثبت ذلك الضرر ، وبدلا من أن ينصفها ذلك القضاء سد فى وجهها أبواب الرحمة باسم الدين وضيق عليها منافذ الحياة باسم تعاليم الشريعة الإسلامية ثم ألجأها إلى رهبانية رهيبة لا يعرفها الإسلام ، رهبانية امتصت رحيق شبابها وحيويتها وجعلها تصرخ (أريد حلا) ولم تجد حلا فعاشت للعذاب والشقاء . وهكذا صوروا لها الإسلام ، وصوروه لكل من شاهد الفيلم ، الإسلام الذى أعز المرأة ورفعها إلى المستوى الإنسانى بعد أن كانت تعامل معاملة السائمة والعبيد فى أمريكا والذى سوى بينها وبين الرجل فى الحقوق والواجبات ، وجاء بتشريع كامل شامل ينظم الأسرة ويضمن للمرأة كافة أسباب الحياة الكريمة زوجة وبنتاً وأماً .

ونتساءل كيف حدث هذا ، فتتجه أصابع الاتهام إلى المخرج فهو مسلم بحكم شهادة الميلاد ، وهو من ألد أعداء الإسلام بحكم نزعته واتجاهه . لقد أخذ قصة تنقد بعض أوضاع المحاكم الشرعية فى مصر فحولها إلى معول

لهدم الشريعة ، واستند فى إخراجها إلى عناصر لا دينية ولها اتجاهات ماركسية ثم أعد لها دعاية ضخمة بلغت تكاليفها أكثر من ميزانية الفيلم نفسه ، وطبعاً دفعت هذه المبالغ جهات لها مصلحة فى النيل من الإسلام وزعزعة إيمان ضعاف النفوس من أبنائه . والعجيب أن الرقابة على الأفلام فى مصر صرحت بالفيلم مع التقدير الشديد ، والهيئات النسائية رحبت به ترحيباً خيالياً واعتبرته الدفاع الصحيح عن المرأة التى ظلمها الإسلام ، والأعجب أن أحداً من علماء الأزهر لم يتنبه إلى خطورة ما يهدف إليه الفيلم وخطورة الحملة الدعائية التى صاحبت ظهوره . وجعلته يعرض فى الدول العربية وجعلت الناس يتهافتون على مشاهدته ثم جعلت نساء البلد الذى أنتجه يطالبن بضرورة تعديل بعض قوانين الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية واستبدالها بقوانين مستوردة من الكتلة الشرقية (أمينة الصاوى) .

ولست أدرى لماذا نحن المسلمين الذين نفتح الأبواب لكل الأفلام مع أن أصحاب الأديان الأخرى يصدرون نشرات لذويهم عن الأفلام التى يجوز مشاهدتها والتى لا يجوز ، والمراكز الكاثوليكية للسينما منتشرة فى جميع أنحاء العالم تحت رئاسة البابا فى الفاتيكان ومهمتها تنبيه أذهان المتفرجين إلى القيم الأخلاقية للفنون التعبيرية التى تعرض عليهم مثل السينما والمسرح حيث تقوم هذه المراكز بتوزيع نشرات على المدارس والكنائس بأسماء الأفلام التى لا يجوز تعريض عقليات الشباب والفتيات لما تحمله من فساد . وقد كان الأولى بنا نحن المسلمين أن نفعل ذلك وكان أولى بصحافتنا أن تهدينا إلى الحق والخير .

(٤)
الأغانى

إنّ من أخطر ما تقدمه الفنون (المسرح والسينما) تلك الأغانى المبتذلة الرديئة التى تدور حول الحب المريض حيث تدور الأغنية العربية حول محور واحد هو الحب المريض ، الشاكى المعول ، وقد وصلت الأغانى العربية فى السنوات الأخيرة إلى قدر كبير من التدلى والفساد وانهيار القيم ، وهى ترمى فى مجموعها إلى طرح مفاهيم زائفة تجعل من الأهواء والفساد والإغراء والاغتصاب كلمات مشروعة . ولقد تمددت الأغنية كما تمددت الأفلام السينمائية وانحدر المؤلفون انحداراً شديداً وراء إثارة الغرائز والشهوات وهى قوية ثائرة فى الإنسان لا تحتاج إلى من يثيرها أو يؤججها .

وتتسم هذه الأغانى بأنها دعوة إلى فنون رخيصة من الغزل والحب والتعامل الفاسد بين الرجل والمرأة ، وهى تحمل اسم الحب الذى يقصد به إلى الجنس ، وقد تعالت كلمات الحب حتى ملتها الألسنة والأسماع وليس فى كلمات الأغنية أى إثارة توحى بمعنى شريف أو كريم من معانى العلاقات بين الرجل والمرأة .

يقول الدكتور عبد المنعم النمر : إن الراديو يتولى تعليم أولادنا فنون الحب والدخول إليه ، ويتولى تفتيح عيونهم ،وكأننا مكلفون بهذا العمل تقوم به الدولة وأجهزتها وإذا تحدث أحد أو اعترض عن هذه الإثارات قالوا كيف إنه الحب ، الحب شىء ضرورى فى الحياة ، ولكن الكثيرين لا يفهمون الحب إلا على أنه نوع خاص يتصل بالجنس والأغانى مع الأسف ، وقد تعالى فى هذه الناحية حتى كاد يقتصر عليها ومن هنا يجىء الخطر .

« وتغزو الإذاعة آذان الجميع فى البيت والشارع بهذه الأغانى الخليعة ولم يكتف مؤلفو الأغانى ولا المغنون بهذا النوع ولكنهم أخذوا يزحفون إلى نوع خطير ، وقد أخذ المنتجون يتجهون إلى الجنس وهو شر وبلاء من الحب . يقول أحد كتاب الأغانى : نستطيع أن نقود الجمهور ونوجهه كما نريد وبكل بساطة . ويقول إنه كتب اثنتى عشرة أغنية كلها تدور حول الجنس الصارخ لأربعة أفلام . وهكذا يكون الزحف نحو الهاوية فليس هناك هادم لهذه الأمة ومعنوياتها مثل هذه الأغانى ، فالمنتجون يريدون الثراء ولكن على حساب هدم المعنويات دون أن يراعوا حق هذه الأمة الناهضة عليهم » وهذه الحقائق كلها تخفيها الصحافة وتدسها ولا تدافع عن كرامة هذه الأمة ولا تهاجم هذه الألوان النازلة من التعبير ، ولكنها تكرم هذه الأفلام الجنسية وتشيد بها ، ولا نعتقد أن الغرض هو الأجر المادى وحده .

* * *

(٥)
الرقص

أولت الصحافة العربية اهتماماً واسعاً ومتصلا بالراقصات والمغنيات والممثلات . وفرض السادة الرواد تعليمات خطيرة وأعرافاً خطرة فى هذا الصدد .

وحمل التابعى ومصطفى أمين وتلاميذهم لواء الدفاع عن هذا الصنف من الناس . وأغروا كثيراً من المخرجين والعاملين فى حقل السينما بتصوير حياة الراقصات وتقديمها على أنها بطولات تاريخية وصفحات من حياة أولئك الذين قدموا تلك الصفحات المظلمة من العلاقات غير المشروعة بين العاشقين والسكارى والندامى ، وحملت الصحف بالدعاية لهذا اللون من الأفلام ، وجاءت أفلام خطيرة الاسم وخطيرة المضمون : امرأة لكل رجل . المرأة الخائنة .

وكان حقاً علينا أن نتساءل : لماذا هذا الاهتمام بتصوير حياة الراقصات وما يعشن فيه من ابتذال وفحش بين النوادى الليلية والصالونات .

ولا ريب أن تصوير هذه الحياة يؤذى النظر ويخدش الأذن ويعطى مثلا بالغاً غاية السوء للشباب والفتيات ولا يشفع فى هذا أنه تاريخ وأنه تصوير حادثة حقيقية فليس كل التاريخ مما يكتب ويروى ويجسد . وليست كل الحقائق تقال ، وإلا فهل يجوز مثلا تصوير ما يجرى فى البيوت سيئة السمعة من عبارات وألفاظ وحركات ويعتذر عنها بأنها حقيقة واقعة من الحقائق الواقعة فى المجتمع وفى الحياة .

وكان حقاً على الصحافة العربية التى تحمل أمانة الأداء للعرب والمسلمين أن تتساءل : لماذا هذه الأفلام وما مدى خطورة الجانب الأخلاقى وجانب القدوة السيئة للشباب ، وهل يمثل هذه الأفلام يمكن تدعيم المجتمع ، ثم كيف تفتح أمام الشباب أبواب الضياع والسلبية وهى تقدم لهم زاداً أقل ما يقال فيه أنه دعوة صريحة إلى الفساد .

وهل ترى لا بد أن نعيد للأذهان أسوأ ماكان يجرى منذ الثلاثينيات والأربعينيات مع أنه كان فى هذه الفترة صور حقيقية من البطولة والكفاح والنضال فى سبيل نيل الحرية ومقاومة الغاصب .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فهناك محاولة تحويل الرقص بخلفياته المعروفة، ووجوهه الكريهة ، وطوابعه الإباحية والمخمورة ، والفاسدة إلى مثل عليا وقيم ، مع اللعب بالألفاظ وخداع السذج على النحو الذى يكتبه دكتور وعميد كلية عن ابنته الراقصة حيث يقول تلك العبارات الضالة : « كلنا نرقص بشكل أو بآخر ، ولكنها وحدها تتخطى الجسد وتتجاوز الإيقاع لتصبح وحدها إيقاعاً مميزاً » .

وهذه هى محاولات الخداع فى اتخاذ الأسلوب الأدبى والعبارات البراقة مدخلا إلى إغراء الشباب الصغير قليل الثقافة . ولقد كان حقاً على هؤلاء المضللين أن يسموا هذه العائلة بالعائلة (المقدسة) وأن يسموا الرقص (ثقافة) وأن يسموا الفن خالداً ، وأن يؤلف عن ذلك الكتب وتدبج الصفحات وتقدم الصحافة العربية ذلك كله فى إعجاب وتقدير .

* * *

(٦)

لقد كشفت الأبحاث الاجتماعية الرصينة عن أن الأفلام السينمائية مدخل خطر إلى تحسين الخبائث التي نهى عنها الإسلام ، وتزيينها في نظر الناس ، وأنها تتخذ إلى هذه الغاية وسائل ماكرة باسم تحرير المرأة ومساواتها وإنصافها أو تحرير الغرائز والأهواء أو إطلاق الغرائز من عقال التقييد والتنظيم . وكل هذا يدخل في تخطيط الماسونية الذي يستهدف انتزاع عقائد الناس ومكارم أخلاقهم ، ولقد خضعت بلادنا لهذه التيارات فقدمت مجموعة من الأفلام العربية كانت أسوأ إخراجاً وأفسد مادة من الأفلام الغربية . وخسرت مؤسسة السينما في إحدى البلاد العربية سبعة ملايين جنيه وحصل الممثلون والممثلات على جوائز قدرها ٢٥ ألف جنيه . ولم تقدم السينما لقاء ذلك سوى التبذل والجنس الرخيص (أبي فوق الشجرة) الفيلم الذي وزعت فيه خمس وخمسون قبلة فقط . أو فيلم (شباب امرأة) وغيره من أفلام : (عريس لبابا) ، (بابا آخر من يعلم) أسهمت في تدهور الأخلاق بين شبابنا وفتياتنا بصورة مزرية . حتى إذا قدمت شيئاً من تاريخنا قدمته مهلهلا مشوهاً لم يرحم من زج الجنس الرخيص عليه . والجنس الرخيص هو مركز الثقل في معظم أفلامنا ، ولقد تقاطرت في السنوات الأخيرة أفلام مسفة خليعة رقيعة :

رحلة في امرأة ، دعونا نحب ، بنت اسمها محمود .

وكلها أفلام تساعد على انحراف الشباب والشابات . بعيدة عن واقعنا ، فيها خروج على تقاليدنا ، تغرس في النفوس الذلة والرخاوة ، وهي في مجموعها دعوة صريحة لهدم نظام المجتمع من حيث الاستهانة بالأخلاق والدين .

ولعلك لا تدهش عندما تجد كاتباً له اسم لامع كإحسان عبد القدوس أو مصطفى أمين عندما يتحدث عن نجاح الفنان ويقدم لك اسم الراقصة

نجوى فؤاد ويقول لك أنها قدمت شخصية جديدة فى الأداء ، فى أداء الرقصات الشرقية . ويقول لك أن فنها يتطور . وأن هناك فنانين جدد قرأ أسماءهم فى الإعلانات ذهبت أبحث عنهم فوجدتهم فى زحام السكارى يقدمون فنهم مرة للويسكى ويثيرون عواء المخمورين . إنهم يحاولون أن يجدوا طريقاً بين هؤلاء السكارى ليصلوا إلى عالم النور . إن كثيراً من الفنانين الكبار خطوا أول خطواتهم فى زحام السكارى .

ونتساءل : أى نور هذا ، أو أن الكلمات لم يعد لها معنى ، أو أن الكلمات أصبحت تخدع الناس وتحمل قناعاً براقاً يخفى وراءه السموم التى تراق كل يوم على قراء الصحف .

لا ريب أن الصحافة العربية قد حملت فى ذلك مسئولية خطيرة فى عدة أمور :

(أولا) فى أن أصبحت مستأجرة لأصحاب الأفلام والراقصات ، وقد تقدم الكثيرون بدعم هذه الصحف ودفع مبالغ شهرية على هيئة قروض أو على هيئة مكافآت للذين يكتبون هذه الأبواب .

(ثانياً) أن أصبح الإعلان فناً خطيراً فهو ليس ذاك الذى ينشر داخل البراويز ، ولكنه يتحول الآن إلى مقال فى صفحة السينما أو المسرح . وهناك إعلان عن الخمر فى مقال وإعلان عن الأفلام الإباحية فى مقال آخر ، لقد انتقل فن الإعلان إلى كتابة المقالات فى أعمدة كبار الكتاب وهذه أخطر مرحلة فى صحافة النكسة .

(ثالثاً) أن الموالاة الخطيرة للسموم سواء فى مسائل الجنس أو الجريمة من شأنها أن تجعل هذه الأمور مألوفة وعادية ، فهى ترى كل يوم فى الأفلام وفى التليفزيون وتقدمها الصحافة بتقدير كبير فهى علامة « الشرعية » للفساد ولقد يذهب البعض ساخراً بعقول الناس فيقول أنها أداة من أدوات التسلية والترفيه يعرضها التليفزيون يومياً فى مسلسلاته أو تنشرها الصحف فى أبوابها الفنية ، أو تعرضها السينما فى أفلامها ، ثم يقرؤها الناس فى كتب أرسين لوبين وجيمس بوند الواسعة الانتشار وبذلك تصبح ممارستها أمراً ميسوراً لأنها

أصبحت من صور الحياة اليومية العادية ، والأمر أخطر ما يكون بالنسبة للأطفال فإن عرض المجرم أو الداعر فى صورة بطل تقرب مشهد الجريمة أو الإباحية من حس الطفل فيألف الجريمة ويعايشها ويقدر المجرم وبطولته ، وما نراه كل يوم من أحداث وجرائم يقوم بها الأحداث إنما هو نتيجة لهذا ، وعلى الصحافة العربية تبعته . ولقد كان حقاً أن يقال : فن من أجل إضحاك الجماهير ولكن دون أن يفقدهم قيمهم أو يؤذى المشاعر أو يفسد الأخلاق ، أما أن يقال فن من أجل الثقافة فذلك هراء وتضليل حاول الماركسيون إذاعته حين أطلقوا على الرقص والتمثيل كلمة ثقافة ، وما كان من الممكن أن يقدم هذه الفنون إلا ذلك التهريج الرخيص والتفاهة ونقل العقليات من الفكر الأصيل إلى المعانى الرخيصة الساذجة وإلى الإثاره .

(رابعاً) أن تقديم بطولة زائفة للممثلات والمغنيات والراقصات هى من أخطر المحاولات المسمومة التى يقدمها النفوذ الأجنبى لهدم قيمنا وعقائدنا وعقليتنا الإسلامية الرصينة القائمة على الخلق والفطرة والنبل والارتفاع عن الدنايا .

وما تزال صحف المسرح والسينما تعلى من شأن الممثلات والمغنيات وتقيم لهم بطولات زائفة وقد جندت لها عشرات من الكتاب الذين يعملون فى هذه المجالات والذين يغمسون أقلامهم فى السم ليكتبوا تلك القصص والمسرحيات ومن هنا فقد شهد الباحثون الاجتماعيون بأن كل أفلامنا السينمائية ومعظم مسرحياتنا ، وتمثيلات الإذاعة والتليفزيون — إلا قليلا — تبذر بذور الفساد والانحراف والخيانة .

وما بالك بجريدة كالأهرام تفرد أربع صفحات كاملة للرقص الشرقى وهز البطن ، وإذا كان لنا أن ندرس هذه الفنون فإننا نتساءل إلى أى حد وصل كتاب القصة والمخرجون فى فهم مسئوليتهم أمام الله وأمام أمتهم ومجتمعهم ، وما هى ثقافتهم وخلفياتهم فى دراسة الإسلام والعروبة والوطنية ، ومدى إيمانهم بمسئولية القلم وشرف الكلمة والالتزام الأخلاقى ، ومدى غيرتهم على البذور الصغيرة والنبت وحمايته من التدمير .

إن أغلب ثقافة كتاب القصة والمخرجين هى ثقافة غربية وافدة وهم يؤمنون بقيم ليست قيم أمتنا ، ويخضعون لأساليب فى تناول المادة المسرحية لا تمت بسبب إلى مفاهيم التوحيد والعدل والرحمة والإخاء الإنسانى التى يقدمها الإسلام . لكنها خاضعة للصراع بين الآلهة والبشر وخاضعة لمفاهيم زائفة مدمرة مثل الخلاص والخطيئة . وإن الإنسان ساقط ، ولقيم مدمرة هى الإباحية والكشف وإيقاد نار الشهوات وإباحة الجنس .

وهم يبحثون عن المواد المادية للفيلم ويضحون فى سبيلها كل القيم ويرون حشد أكبر قدر من الرقصات والعرى والعبارات الشائعة من مقاييس النجاح ، وهم لا يخضعون لمفهوم الإسلام فى أسبقية الأخلاق على الجمال ، وأسبقية القيم العليا على المنفعة ، فالماركسية تقول بالمنفعة والليبرالية تقول بالجمال والإسلام يقول بالأخلاق .

ومن هنا فإن هؤلاء الكتاب الذين يقولون أن الفن هو المتعة الجمالية مخطئون فى مفهوم الإسلام ، ولقد هاجم أحدهم تولوستوى الذى قال بمفهوم الأخلاق ، وهاجمه كل الوجوديين والماديين وقالوا أنه رجل عجوز له معدة مريضة ، ولو فكروا لرأوا أنهم هم ذوو القلوب المريضة الضالة .

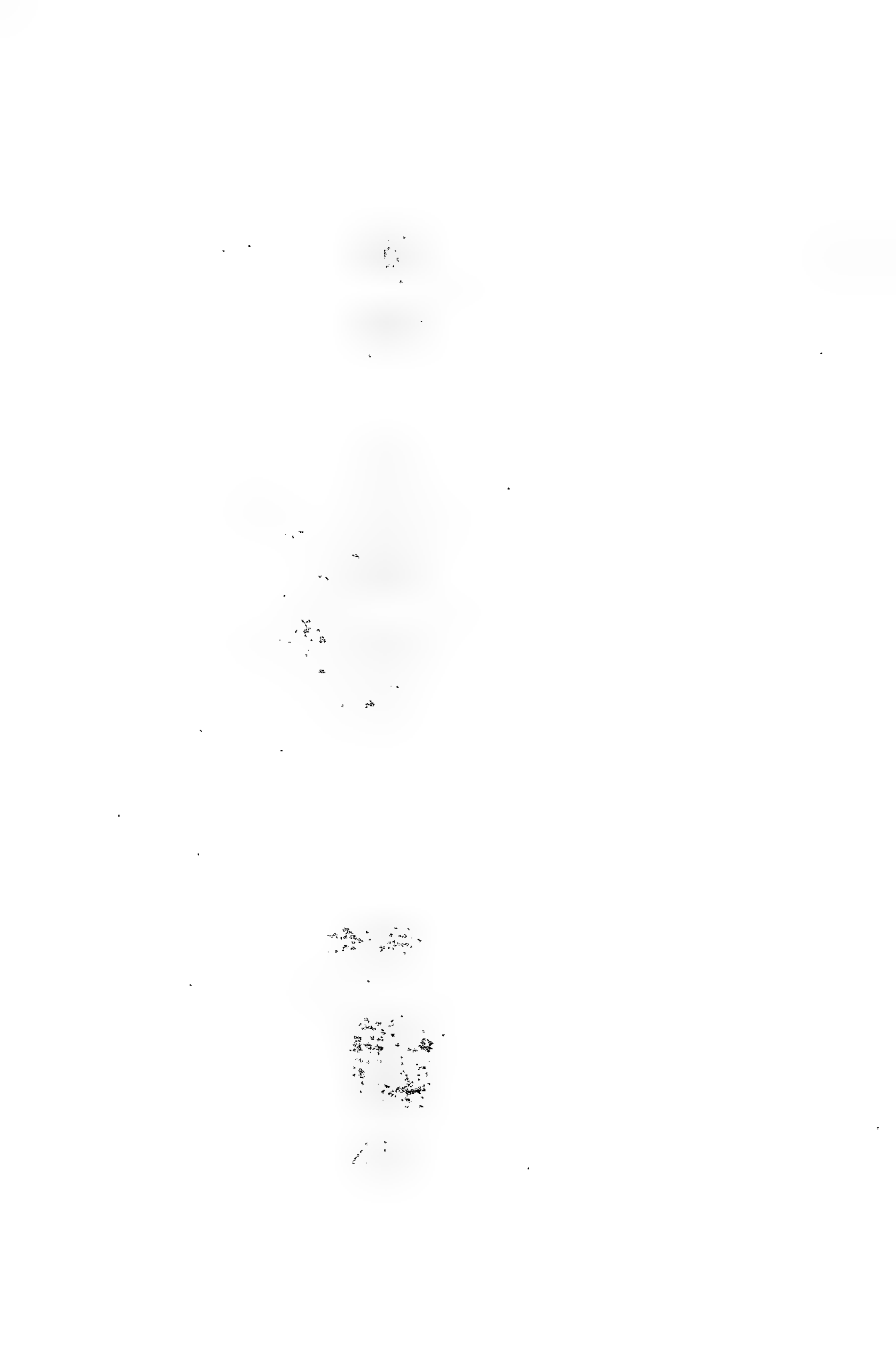
ولعل أخطر ما يقاس عليه ما يقدم لمجتمع أن يكون تجربة خاصة لفنان كانت أمه راقصة أو عاش فى بيئة منحرفة فحمل فى نفسه وأعماقه كراهية الخلق والكرامة ومضى يحطم بقلمه كل ما فى المجتمع من قيم .

* * *

الباب الرابع

الصحافة والأدب

أولاً : الأدب
ثانياً : الشعر



الفصل الأول
الأدب

وتفتح الصحافة للأدب أوسع الأبواب لأنه مدخل خطير لتحقيق الغايات التى تهدف إليها حيث هناك عصابة المجان أمثال نزار قبانى وصلاح جاهين وأودنيس وكل الكارهين لهذه الأمة وفكرها وعقيدتها وسلاحهم هو الأدب والشعر ، وهم عن طريق الأدب يهاجمون الإسلام فى أعظم معطياته تحت اسم التراث . ويقدمون الجنس فى أسوأ صورة عن طريق الكلمات المضللة ويهاجمون الفصحى عن طريق الشعر الحر والعاميات ، ويجدون فى الأدب طريقاً ممهداً لاحياء الفرعونية والفينيقية ومعاداة القيم وإعلاء الأهواء . فالأدب مملكة خطيرة أعطت لها الصحافة حرية كاملة فى أن تقول كل شىء وأن تستعلى على وضع الأدب الحقيقى كجزء من الفكر الإسلامى يخضع له ويعمل فى إطاره ويحافظ على ضوابطه وقيمه وحدوده .

ولقد هللت الصحافة وكبرت لكل محاولات الأدباء والكتاب فى هدم القيم ،وكانت دائماً فى صف المطالبين بحرية الفكر والانطلاق من القيم والحدود والأوضاع وهى التى هللت وصفقت لكل خارج على مقومات هذه الأمة : طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق . حتى يقول المستشرق كاممفاير : إن المحاولة الجريئة التى قام بها طه حسين ومن يشايعه فى الرأى لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام ، وليس عجيباً أن نرى أن كل محاولات الانتقاض على قيم الأمة وعقائدها جاء عن طريق الأدب وكانت الصحافة منطلقه ومسرحه .

ولقد كانت السياسة الحزبية منطلقاً للأدباء للخروج على كل القيم وعلى

إفساح المجال لأسلوب من الهجاء بالغ الخطر ، وعلى اتخاذ وسائل الهجوم والتآمر والمكر والدناءة دون أى اعتبار للقيم الأخلاقية ، وسجل عليهم ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوى حيث يقول :

« إن أنصار الجديد يضيقون ذرعاً بالقيود الأخلاقية التى قيد الدين بها الناس ويريدون أن يتحللوا منها فيوعزوا إلى الناس أن هذه الأخلاق وقيودها إن هى إلا عرف وتقاليد وأن العرف والتقاليد فى الفن والأدب يعوق الفن ويحول دون ترقى الأدب . فيجب إذن ترقى الفن وتحرر الأدب من تلك القيود » وهذه مؤامرة خطيرة ظلت تحمل الصحف العربية لواءها وتبثها فى الناس جيلا بعد جيل داعية إلى التحرر من ضوابط الخلق والعقيدة . ولقد عملت الصحافة العربية بواسطة كتاب التجديد (وهم دعاة التغريب) إلى محاولة رفع القداسة عن القرآن وإزاحة الكرامة عن صحابة الرسول ومهاجمة الشخصيات الممتازة فى تاريخ المسلمين : ابن خلدون والمتنبى والغزالى والاهتمام بشخصيات معينة فى تاريخ الإسلام :

- الاهتمام بأبى العلاء المعرى بوصفه جريئاً على الأديان والمقدسات .

- ابن الراوندى والسهروردى وابن عربى والحلاج باعتبار أن مفاهيمهم عن وحدة الوجود والحلول والاتحاد خارجة عن مفهوم التوحيد الإسلامى .

- الاهتمام بحركات مشبوهة كالزنج والقرامطة ووصفها بأنها كانت تحمل لواء الحرية والعدل .

والواقع أن هناك تحفظات كثيرة على كتابات من يسمون بالرواد (ومن تجرى المحاولات اليوم لإعادة ابتعاثهم) فقد وقع أغلب هؤلاء الرواد تحت مؤثرات حجبت عنهم كثيراً من الحقائق ودفعتهم فى طريق مغلق ، ولم تجعل الرؤية الصحيحة لأبعاد الأمور ميسورة لهم ، نقول هذا بالنسبة لرفاعة الطهطاوى وعبد الرحمن الكواكبى ولطفى السيد وقاسم أمين وطه حسين وعلى عبد الرازق وساطع الحصرى .

وفى هذه المرحلة التى نؤرخها كانت ظاهرة إخضاع الأدب العربى والفكر الإسلامى وتاريخ الإسلام للتفسير المادى للتاريخ أمراً منتشراً ، بعد أن سيطر الماركسيون على الصحافة وأخضعوا الفكر والأدب كله لمفاهيمهم ، ولم تكن هذه المرحلة أقل سوءاً من المرحلة السابقة التى أخضع فيها الأدب والفكر والتاريخ للتفسير الليبرالى الديمقراطى الرأسمالى الغربى فكلاهما عدو للفكر الإسلامى وعامل على هدمه والنيل منه وانتقاضه بأسلوب أو بآخر .

ولقد أخضع أدباء العرب عن طريق الصحافة الفكر الإسلامى والأدب العربى واللغة العربية وتاريخ الإسلام والعرب إلى نظريات الاستشراق ومفاهيم المستشرقين التى هى عصارة سموم المؤسسات التبشيرية . وظهر فى هذه الفترة استشراق غربى مسيحى ، واستشراق ماركسى ، واستشراق صهيونى يهودى ، وكل من هذه المنظمات يعمل فى ميدان ولكنها تلتقى جميعاً على عملية الهدم .

ولقد كان الأدب هو أوسع الأبواب مدخلا لتقديم السموم المختلفة ، وأيسرها لتقديم الأساطير والخرافات التى تزخر بها الآداب الغربية عن اليونان والفرس والمجوس القديمة ، ولقد كان للقصة الغربية المترجمة مكان واسع . واحتلت كتابات كل دعاة الجنس وتدمير القيم من سارتر إلى بكيت إلى دوركايم إلى كامى إلى كفكا مكاناً بارزاً فنقلت إلى أفق الفكر الإسلامى عن طريق الصحافة مترجمات مسمومة وأفكاراً مضللة . ولم يتوقف الأمر كما كانوا يقولون عن الروائع — بل إنهم لم يتركوا شيئاً على مختلف المستويات والمذاهب حتى أشدها ضلالا إلا قدموه ، وهم يهدفون بذلك إلى إثارة موجة من الاضطرابات والبلبلة نتيجة هذا التضارب الشديد .

وكان أنيس منصور على رأس هؤلاء الذين نقلوا ركام الفكر الغربى الحديث . وكان لويس عوض وغيره من ناقلى ركام الفكر الوثنى الغربى وكلها أفكار تدور حول الجنس والمرأة والأهواء .

وهم حين يترجمون لايؤصلون الأشياء ولا يعرّفون القارىء العربى بالمترجم لهم ولا يذكرون مثلا أنه كان مجنوناً أو مصاباً بأشد أنواع انفصام الشخصية كنيتشة أو فرويد .

ولكنهم يقدمون كل ذلك كأنه علم وكأنه حقيقة ، بينما هو فى الحقيقة من أهواء النفوس الضالة المغموسة فى أشد ألوان الفساد والانحراف ويتركون التساؤلات دون إجابة زيادة فى التعمية ، وكل الأسئلة المحيرة التى يوردها الباحثون والعلماء إجابتها واضحة أمام المسلم ، فلماذا لا يجيبون ولا يهدون القارىء الحائر إلى الحقيقة التى يعلمها ، لماذا يتركونه فى متاهات ومجاهل وتساؤلات والإجابة يسيرة ؟ لماذا يخلقون هذا الجو من الحيرة والشك .

إن القارىء المسلم يعرف أنه ليس فى حاجة إلى كل هذا الركام ، ويفهم أن هذا الركام من حثالة أقوام ضلوا وانحرفوا فهو لا يستطيع أن يهديهم أو يقدم لهم شيئاً نافعاً وأنه من صنع بيئة أخرى . فلماذا يترجمونه ويقدمونه ويملأون به الصفحات إلا إن كانوا يريدون خداع الذين لا خلفية لهم وتضليلهم .

إن الأمانة تقتضى من الصحافة العربية حين تقدم قصة أو كتاباً أو موضوعاً غربياً أن تقدم كاتبه بأمانة وتقدم ظروف البحث بأمانة وأن توازن بين مفهومنا الإسلامى وبين مفهومهم وبين حاجتنا إلى ذلك أم العكس .

أما أن تغرقنا الصحافة العربية فى باب الأدب بكل هذا الركام من المترجمات التى تزيد من حيرة الشباب الصغير الذى يكون فى هذه المرحلة فى حاجة إلى إضاءة الطريق أمام نفسه القلقة إلى معرفة الخير والنور والهدى والرشاد . فإن أصحابنا مسئولون أمام الله عن هذه الجرائم ، لماذا لا يضعون الإجابات عن تلك الشبهات والتساؤلات . لماذا لا يضعون أبحاثهم المترجمة فى إطارها الصحيح ، لماذا لا يقدمون الطيب والكريم والنافع ويؤثرون عليه الخبيث والفاسد والمنحرف منذ أن اصطنع لهم طه حسين ترجمة القصة الفرنسية المكشوفة (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) وفى مجال التراث تفسح الصحافة العربية أعمدة كثيرة ، وموضوعات متعددة ، وترمى تراثنا بأنه صحائف صفراء كما يقول يوسف إدريس وغيره . وهو قول باطل . فإن تراثنا تشهد له الدنيا كلها ، وعلماء الغرب المنصفون يعرفون قدره . ولا يمارى فى هذا إلا عدو أو جاهل أو مضلل .

ولقد هدى تراثنا الغرب وقامت عليه الحضارة المعاصرة واعترف له أهل الفضل فلماذا ينكره أبناء هذه الأمة من أهل العقوق أولياء القوى الغاصبة والضالة ليرضوا بكتاباتهم أولئك الذين يرسلون لهم من وراء البحار الدعوات والجوائز والهدايا ويكونون بهذه الأفكار المسمومة خصوماً لهذه الأمة .

ولقد تولى مهاجمة التراث وزير الشباب فى عصر بائد هو الدكتور صفى الدين أبو العز ونعى على الأمة ما تبذل من مال وجهد ، وقال إن الاهتمام بالتراث يعوق حركة الشباب ويحد من انطلاقه .

وبذلك جرى فى مجرى التغريب وخضع لمخططاته حيث لم يكن التراث علامة الرجعية ولا دليل التخلف أو التحجر ، ولعل صاحب هذه الدعوى المسمومة لم يطالع وجه تراثنا فى صورته الحقيقية المشرفة .

ولعله لم يعرف أن من بين أعلامنا ومفكرينا القدامى من عالجوا القضايا التى تشغل الإنسان المعاصر اليوم وتركوا فى هذا كتابات رائعة ونادرة لو أنها قدمت للشباب من جديد لاهتدى بها ولكانت خيراً مما يترجمونه له من سموم الفكر الوافد .

« ولو شاء أن أعرض معه بعض هذه النماذج لقدمت قوائم مستفيضة بكل الذين قالوا لا ، عبر تراثنا وأضاءوا بالكلمة طريق أمتهم فى أحلك الظروف ، نذكر منهم الإمام الصامد أحمد بن حنبل فى محنته الشهيرة ، والإمام الأعظم أبو حنيفة وما جرى له حين رفض ولاية القضاء . وهناك العز بن عبد السلام الذى أفتى فى ظروف كظروف أمتنا بأن يسهم السلطان كما يسهم المواطنون فى بعثات الجهاد ، فإذا عجزت خزائنه بيعت جواريه وغلمانه فإذا لم تف بنصيبه نظر فى أمر عرضه للبيع ، وهناك حروب الصليبيين ونضال نور الدين وصلاح الدين فيها .

« ولدينا من التراث مكتبة سياسية تحدد حدود سلطة الحاكم وحدود التزام المحكومين ، كما تضع الأسس العامة لبناء الحكومة ، ويمتاز هذا الفكر السياسى فى هذا التراث بنظرة مثالية واقعية إذ يجعل قضية الحرية والعدل فيه

مطلقة لا تحتمل المساومة أو التحايل ، ولدينا مكتبة اقتصادية متكاملة تعالج شئون المال وإخراج ونظم الإدارة ، أما تراثنا العلمى فلدينا مكتبة ضخمة ، وكلها تؤكد قدرة الإنسان العربى المسلم على الامتياز والتفوق .

« فإن كانت تطورات العصر قد جاوزت ما كان يفكر فيه الأجداد وجاوزت ما كانوا يحلمون به فإن هذا لا يعنى أن ندير لهم ظهورنا لأن فى هذا خطراً كل الخطر ، إذ نصبح شعباً بلا أصل ولا ماض .

« وما أضيع الأمة حين يكون حاضرها لا أصل له ولا ماض ولا تاريخ »

* * *

(٢)

اتخذ خصوم الفكر الإسلامي الصحافة العربية منطلقاً للهجوم على التراث الإسلامي تحت عنوان الأدب فتصدى لويس عوض ويوسف إدريس وغيرهم لهذا العمل فى ذكاء وكانت تجربة القوميين السوريين أيضاً من أخطر هذه المحاولات .

فالدكتور لويس عوض يهاجم ابن خلدون ويحاول أن يصوره تلميذاً للفكر اليونانى والرومانى ويلتمس خيوطاً مهلهلة ليربط فكره بهذا الاتجاه . ويرجح بالباطل أن يكون ابن خلدون قد عرف اللاتينية لأنه ذكر أسماء مؤرخين أو علماء مفكرين أوربيين ، أو هو ذكر وقائع منسوبة إلى هؤلاء المفكرين الأوربيين مع أن هذا الأمر وحده — كما يقول الأستاذ أحمد رشدى صالح — لا يقوم دليلا بل على العكس « إن استقراء تربية كبار المفكرين العرب ومنهم ابن خلدون تدلنا على أن الرجل عرف من عرف من المفكرين غير العرب من خلال الترجمات الكثيرة التى زخرت بها اللغة العربية فى عصر العباسيين ولكن الدكتور لويس عوض يرجح أن يكون ابن خلدون قد استعمل اللاتينية أو الأسبانية لسبب ثان هو أن ابن خلدون أرسل فى سفارة إلى بلاط بطرس القاسى ملك اشبيليه ومن المرجح جداً أن يكون قد استخدم الأسبانية أثناء سفارته تلك ، وهو استنتاج خاطىء فليس شرطاً فى رجل يسفره العرب لهم أن يعرف لغة أجنبية ليخاطب ملك أشبيليه بهذه اللغة ، وكان يكفيه الاستعانة بمترجم وكانت قصور أمراء المسلمين وقصور أمراء المسيحيين تحتوى على ناس وظيفتهم الترجمة .

والواقع أن ابن خلدون أخذ من المصادر العربية ولم يتعامل مباشرة مع مصادر الثقافة الأوربية وقد حرص ابن خلدون على أن يعرفنا بأساتذته والعلوم التى قرأها لكنه لم يذكر ولو بكلمة واحدة ما يرجح أنه استعان بأفكار

أجنبية . ولو كان ابن خلدون استعان باللغة اللاتينية والمراجع الأجنبية لكان أعداء ابن خلدون قد فشوا عنه وقالوه وخاصة أنهم زعموا عنه مختلف المزاعم الشخصية .

وقد حاول لويس عوض أن يرسم صورة مضالة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية أعطى قيادتها الأدبية لثلاثة :

« محمد مندور ونجيب محفوظ ولويس عوض » .

مدعياً أن هؤلاء الثلاثة هم الذين وضعوا بذور النهضة والتقدم خلفاً للمدرسة التي خرجت طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وأنهم كانوا النور المضيء في ظلمات هذه المرحلة .

وقد ردت الدكتورة بنت الشاطيء على لويس عوض فقالت :

إن أحداً لم يدر شيئاً عن البذور الخفية التي قال إنه ألقاها هو ومحمد مندور ونجيب محفوظ فى أحشاء التربة المعتمة والأرض الخراب لأن هذه البذور بصريح اعترافه لم تكن لترى النور قط . إذن فمن أين استمد الشعب زاد وعيه ونور بصيرته ورى وجدانه . والذى يسجله الواقع التاريخى أنه كان هناك دائماً نبع سخى لم يغض أبداً ، يمد جماهير الشعب الأمى بالرى المستديم ويفيض عليها من منهله الصافى ما يرهف وجدانها وينير بصيرتها ويشحذ إرادتها للنضال من أجل الوجود الحر الكريم . كان هناك « القرآن » يتلى فى البيوت والأكواخ والمساجد والزوايا وينفذ إلى أعماق القرى ونائى النجوع منفرداً بالسيطرة الكاملة على الوجدان الشعبى ، الذى لم ينفذ إليه قط من أى سبيل دعوات التقدميين ومقالات التطوريين ، وإذا كانت الأمية قد فرضت على عامة الشعب وحيل بينهم وبين قراءة أى كتاب أو مجلة فقد بقى لهم كتابهم الخالد ينسخ أميتهم بمدد سخى من الوعى ويمزق عن بصيرتهم حجب الجهل وغشاوة العمى وغطاء الغفلة ويلح على عقولهم ونفوسهم بكلمات الله فى حقوق الإنسان وكرامة البشر ، من هذا النوع السخى وجدت الأرض الطيبة من الرى المستديم ما يحميها من العقم والجدب ، من هذه المدرسة تلقى الشعب الأمى

الشحنة للاقتحام العنيد لكل العوائق والمواقع التى تعترض حياته عصيا على كل المحاولات التى تغير نصاً لكلمات الله التى يتلوها الأميون مصبحين وممسين ديناً وعقيدة لن يرفضوا الإقرار بالعبودية إلا لله وحده وأن يقاوموا البغى والظلم والباطل ويسحقوا جبروت الطغاة » .

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء فى دحض هذه الدعوات المسمومة التى حمل لواءها لويس عوض فى الدعاية لطائفة المضللين من التقدميين والعلمانيين ودعاة المادية والماركسية فى صدر جريدة الأهرام : يجهل تاريخنا من يظن أن هذا الشعب فى جمهرته العامة بقى جامد الضمير مخدر الحواس بصليل الأغلال حتى جاء دعاة التطور وأنصار التقدم فعلموه ، ويجهل شخصية هذه الأمة من يتصور أنها اطمأنت إلى شىء من البضاعة الفكرية والثقافة المجلوبة أو انفعلت بها وهى تتأهب للاقتحام العنيد لكل العوائق والموانع التى تحول دون وجودها الحر ، فقبل أن تسمع الدنيا بالمذاهب الحديثة والحركات المعاصرة كان هذا الشعب الأمى يفرض وجوده على الغزاة والطغاة من كل جنس وملة فيحسبون له ألف حساب ، فلم يدعهم يهدءون لحظة من ليل أو نهار وقد أعيتهم منه شتى الحيل فما أجدت عليه يد حديدية ولا لهفة معاهدة ولا انطلت عليه حيلة المفاوضات . وفرض وجوده على القصر والأحزاب ، لم يستورد الشعب زاد وعيه من الخارج وإنما هو سره الخالد تلقاه جيل عن جيل أمانة صعبة وميراثاً محتوماً ، فالشعب الذى قهر الصليبيين وهزم التتار ودوخ الجبابرة ولفظ الغزاة على مسار الزمن لم يكن بحاجة إلى من ينقل إليه مقالا فى التطور يستثير به نخوته أو يستورد له شعلة من وراء السور الحديدى تشحذ إرادته ، ولديه النبع الصافى يعصمه من الغفلة والضلال وفيه ميراثه العريق يزوده بطاقة متجددة على تحدى البغى والشر ، هذا ميراثنا قد تلقاه جيل عرابى عن قاهرى الصليبيين والتتار ، ثم تركه للجيل الخالف مباشرة ، جيل مصطفى كامل فكان وقوداً لثورة ١٩١٩ ولا يقل قائل أن دعاة التقدم هزوا فى الأمة ضميراً جامداً وحواس معطلة ووجداناً أصم ، فلقد قامت بينهم وبين الوجدان الشعبى سدود وأبواب » وهكذا نرى كيف قادت الصحافة عن طريق الأدب معركة التجهيل والهزيمة ومحاربة التراث الأصيل .

ولقد كان من أخطر أخطار هؤلاء الذين تسلطوا على الصحافة باسم الأدب فى تلك الفترة وهم عتاة الماركسيين والوجوديين والعلمانيين إن حاولوا خلق « وجود » لهم فى مجال الشعر والمسرح والنقد الأدبى والقصة والرواية فقدموا أسماء ممسوخة ضالة لم تلبث أن سقطت لأنها لم تكن جديرة بالبقاء أو الاستمرار ولأن الهالة الكاذبة التى أضفتها عليها الصحافة العربية لم تحقق لها نفوذاً أو سلطاناً .

ولعل أخطر الخطر أن هذه الطائفة تحملت مسئولية خطيرة أمام التاريخ : للجريمة الشديدة الخطر التى قامت بالدعوة لها ، وهى فصل الأدب العربى المعاصر عن الأدب العربى فى قرونه الثلاثة عشر الممتدة من الإسلام ، وفصل ما أسموه الفكر العربى عن الفكر الإسلامى ، وأنها حاولت إقامة جدار عريض يحجب الضوء والهواء عن ميراثنا القديم ، فإذا قدم عرض له بالاحتقار والسخرية والانتقاص على النحو الذى رسمه الاستشراق وفسره تفسيراً مادياً وغض من قدره .

كذلك فإن النقد ودراسة الأدب العربى لم يكن إلا ترجمة غربية كاملة لأسلوب ومناهج النقد الأدبى ودراسة الآداب الغربية ، فالنقد الأدبى كان كله ترجمة .

١ — كتاب الأسلوب لأحمد الشايب منقول من مادة كتاب John geming مع أمثلة وشواهد عربية .

٢ — كتاب أصول النقد الأدبى منقول من مادة كتاب Winahesles مع شواهد عربية .

٣ — كتاب النقد الأدبى لأحمد أمين (الجزء الأول) تلخيص من كتاب Hudson الموضوعات هى الموضوعات مع الشواهد من الأدب العربى .

٤ — الجزء الثانى من النقد الأدبى اعتمد على مادة دائرة المعارف — البريطانية وعلى سينتسبرى المعروف .

والدكتورة سهير القلماوى انصرفت إلى دراسة النقد الأدبى والنظريات الغربية معتمدة على كتاب سينتسرى الذى لعب دوراً هاماً فى كلية الآداب ، وكتبت سهير القلماوى (رسالة فى المحاكاة) عرضت فيها نظرية أرسطو وما كتبه عنها النقاد الغربيون .

وإذا كانت القصة العربية هى القصة الغربية مترجمة مع تغيير لأسماء الأماكن فإن النقد الأدبى كان كذلك .

بل إن كلية الآداب نفسها كانت قطعة من عمل التغريب .

وكل هذا من الحقائق التى حاولت الصحافة العربية إخفاءها والتدليس عليها .

تقول الدكتورة بنت الشاطئ :

لم ينقض لى عجب وأنا أرى كلية الآداب دون غيرها من الكليات تستأثر بكل هذا الاهتمام من الدول ذات النفوذ الاستعمارى مع أن الكلية كانت فى حساب قومى أقل الكليات أهمية وأهونها شأناً ، ثم هيأ الله لى من كشف سر هذا اللغز المحير .

فهذه الكلية بالذات هى التى تتولى دراسة وجدان الأمة ومزاج الشعب وتكشف عن عناصر شخصيته ومقومات وجوده بما تقوم به من دراسة للغة الأمة وآدابها وتاريخها وفلسفتها ، ثم هى التى تتولى فى الوقت نفسه فتح النوافذ الغربية أمام عقول الشباب بما تدرس من آداب أجنبية قديمة وحديثة وبما تختار من تيارات الفكر الغربى ومذاهبه ، فأى عجب فى أن تتصارع الدول الأجنبية على مناطق النفوذ فيها وأن يعدوها مركزاً للغزو الفكرى والتأثير الوجدانى . والدراسة فى الكليات الأخرى علمية موضوعية لا مجال فيها لتسلل الغزو ولا فرصة فيها لتشويه أو تحريف ، وأدركت قيمة الكنز الذى نملكه من تراث المعرفة والذى طالما أغرانا مغرون بالصد عنه والزهد فيه وألحوا علينا فى إهماله ونبذه فى الوقت الذى كانت دوائر الاستشراق تحرص أشد الحرص على جمعه وتعكف فى شبه رهبنة على درسه ووعيه .

إذا اشتغلنا نحن العرب بتراثنا اتهمنا بالرجعية ووصمنا بالتأخر وشبهنا بالهياكل الحفرية . وإذا اشتغل به أمثال جب ومرجليوث وماسنيون يعتز بهم العرب الحديث :

هل نتوقع أن نصبح ونمسى فإذا شيوخنا الذين يدرسون لنا القرآن والحديث وتاريخ الإسلام قد استبدل بهم خواجات من الغرب . يهتم المهتمون منا بدراسة تاريخ الإسلام فيقال إننا نصر على أن يظل الشرق العربى فى مكانه الاستراتيجى بمقابر الأنبياء ، وأما إذا عشنا فى أساطير اليونان مع زيوس وباخوس ومارس وديانا وما لا أدرى من آلهة خرافية فنحن ذوو ثقافة عصرية تستحق منا جائزة الدولة .

وتتحدث الدكتورة بنت الشاطئ عمن كشفوا فساد الجامعة (كلية الآداب) ، كان المستعمر يقدر أن مصيره هنا رهن بالوعى الفكرى يتولى قيادته مفكرون أمناء وكتاب أحرار ، ومن جانب آخر كان القصر والأحزاب السياسية فى أشد الحاجة إلى دعاة فهم يؤثرون الرأى العام ويخدرون وجدان الجماهير وعقولها فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وكان الظن بها ــ أى الجامعة ــ أن تظل حارسة على الوعى الفكرى . حيث لم تلبث آفة السياسة أن أحدثت ثغرة نفذت منها إلى الحصن الذى طالت مقاومته ، وكان ما كان وامتلأ الميدان بالأدعياء والمأجورين والمحاسيب والوصوليين . من هؤلاء من لم يحتمل مشقة الجهد المضنى بحثاً عن اللباب الحر وآخرون قطعوا الأشواط ولكن على أكتاف غيرهم وعبروا الطريق على أجنحة غير مشروعة حيث وجدوا أيدى تخلى عنها ضميرها تمنحهم الألقاب والرتب وكسوة التشريفة ، ومنح تخلع من القصر على من يحوزون الرضى السامى أو يدفعون الثمن ، وفريق التمس فتات الموائد الغربية ثم ظهر فى الميدان يتشدق بألفاظ ضخمة رنانة ويقدم إلى السوق بضاعة مستعارة جمعها من هناك ومن هنا لك وأعطاها عناوين خلابة براقة .

ونقول : وحين كان طه حسين يفاخر بأنه رفض أن يعطى الدكتوراه لبعض الوزراء من حزب معارض لحزبه ، كان يعطيها لبعض الصعاليك المنافقين السائرين فى ركبه ، ومنهم خدام الصهيونية والغزو الفكرى أمثال اليهودى : « اسرائيل ولفنسون »

* * *

(٣)

ولم تتوقف المعركة عند التراث وحده ولكنها شملت ميادين كثيرة منها : إحياء الفراعنة والأغريق ، فنجد الصحافة العربية وقد حشدت حسن عثمان (الكوميديا الإلهية) ولويس عوض (المسرح اليونانى) ومحمد صقر خفاجة (هوميروس) وهناك حديث الدكتور مندور الذى هو بحكم تكوينه الجامعى الأول تلميذ مخلص لليونان وعاشق لفنهم ، وعارف لحضارتهم ، وصفحات عريضة تقدمها الصحافة عن حصان طرواده وحضارة اليونان والإلياذه والأوديسا دون أن تكون هناك صفحة واحدة عن خالد بن الوليد أو سعد بن أبى وقاص ، وهم يذكرون دائماً أستاذهم وعميدهم طه حسين الذى كان أول من حمل لواء هذه الأساطير التى كانت تسمى علم الأصنام . وهم يقولون أن طه حسين تعلم من هذه الأساطير الشك فى الشعر الجاهلى وفى التراث الشعرى الضخم الذى نسب إلى قيس بن الملوح أو مجنون بنى عامر ، ولا ريب أن هذا التراث الذى حفلت به الصحف العربية كان يهدف أساساً إلى تغيير مفاهيم المسلمين التى قدمها لهم الإسلام ، حيث تسيطر عليه تلك المفاهيم القائمة على الصراع بين الآلهة والإنسان ، ومفاهيم الصلب والخطيئة وغيرها ، وكذلك كانت الصحف معنية كل العناية بدانتى والكوميديا الإلهية ، وهى وجهة نظر مسيحية قدمها دانتى وخدمها حسن عثمان وكرمها لويس عوض ، وكلها مفاهيم خاطئة من وجهة نظر الإسلام ، وكان على المترجمين أمانة أن يشرحوا لنا خلفيات الأحداث ووجوه الاختلاف بين مفهوم دانتى للجنة والجحيم وبين مفهوم الإسلام ، حتى نعرف على الأقل كيف يمكن أن يدخل الجنة من ذهب إلى الجحيم وكيف يقتحم قوى الشر وأن يعود إلى الجحيم .

ونجد هنالك أيضاً ذلك الاهتمام الواسع العميق بالفرعونية ، وبالكتابة عنها ، وبالكشف عن تاريخها وآدابها ، وقد تخصص فى هذا : كمال الملاخ

ولويس عوض وبطرس غالى وكثيرون باهتمام كبير ، لتاريخ قديم جاء الإسلام ليضع فاصلا قوياً عميقاً بيننا وبينه أسماه المؤرخون « الانقطاع الحضارى » ولست أدرى لماذا هذا الاهتمام كله من الصحف العربية .

إن لغتنا الآن ليست لغة الفراعنة التى ماتت منذ قرون ، وديننا ليس دينهم ، وعاداتنا وتقاليدنا إسلامية عربية وأدبنا أدب عربى أصيل ، أما أدب قدماء المصريين وكل تراثهم وقيمهم وتقاليدهم فقد اندثرت مع حضاراتهم ، أما تراثنا الفكرى ومقومات حياتنا القائمة اليوم فإنها مرتبط أوثق ارتباط بالإسلام والقرآن .

ولا ريب أن تلك المحاولات التى تحتضنها الصحافة بمحاولة إبتعاث صلات وعلاقات بيننا وبين الفرعونية القديمة إنما تصدر عن حقد دفين أو عبث بالغ . فإن المصريين سواء من قدم منهم من الهجرات العربية المتعددة التى بدأت قبل الفتح أو من صهرته البوتقة العربية فأصبح عربياً ، هذا الشعب مبتور الصلة بالقدماء المصريين ولا تربطه بهم رابطة حضارية ذات بال . ولا ريب أن الحضارة الفرعونية هى من الحضارات الميتة التى انقرضت دون أن تتطور منها حضارة أخرى . وهذه هى النتيجة التى انتهى إليها أكبر فلاسفة التاريخ وفى مقدمتهم أرنولد توينبى إذ يرى أن الحضارة المصرية القديمة قد انقرضت فى القرن الخامس الميلادى .

وليس أعجب مما فعل الدكتور لويس عوض حين حاول إحياء التاريخ القديم فى ثوب مسرحى أو قصصى بمسرحية « الراهب » عن قصة (أيانوفر) راهب الإسكندرية ، وقد حاول أن يضفى عليه تلك الصورة البطولية من أنه ضحى بحياته من أجل إنقاذ روح مصر ، وأنه قاد المقاومة الشعبية ، وأعطى الصورة ذلك اللون العنصرى الإقليمى بمفهوم تخليص مصر من الرومان وقوى التسلط الأجنبية .

ولا أعتقد أن لويس عوض قد حصل على مصادر تاريخية حقيقية تمكنه من إيجاد خلفية حقيقية لهذه المسرحية ولكنها هى المحاولات الخيالية التى لا قيمة لها فى أن تقدم شيئاً حقيقياً نافعاً .

وفى مفهومنا أن الذين ثبتوا على المسيحية أمام اضطهاد الرومان شهداء وأن الذين قاوموا النفوذ الرومانى أبطال ، ولكن لويس عوض لم يقصد هذا وإنما قصد أهدافاً أخرى قائمة على التعصب والهوى .

ولقد قام (محمد أنيس منصور) بدور كبير فى إحياء الأساطير الفرعونية فى مقالات متصلة ، وقدم ركاماً كثيراً عن الفكر الفلسفى والدينى عن الفراعنة وهو من نافلة القول التى لا تقدم ولا تؤخر . فلم يعد هناك من يؤمن بهذه الأساطير ، كذلك فقد كانت من خداعات الكتاب ذلك الحديث المكرر المعاد عن ديانة التوحيد عند أخناتون ولم يكن أخناتون إلا أحد مؤلهى الشمس ، أما ما عرفه الفراعنة من النظريات الطبية والفلكية وما بلغوه فى مجال الهندسة والعمارة والزراعة فذلك تراث الأجيال الذى قدمته لهم الأديان السماوية أساساً ، ولكن الفراعنة لم يكونوا إلا مسخرين للأساطير والأشباح والأرواح والسحر ومايسمونه سر الأرقام وقوى الحروف وهى من الخدع الباطلة ، أما إيمان الفراعنة بالحياة بعد الموت فهومستمد من أديان السماء .

والهدف معروف لتقديم كل هذه الأساطير ، وهو بلبلة الأذهان وصرفها عن مفهوم الدين الحق والتوحيد الأصيل .

(٤)

ونجد ذلك الاهتمام البالغ من الصحافة بالفكر البشرى وبالصيحات الخارجة عن مفهوم الإسلام فهى تولى إهتماما كبيراً للزنادقة ، فقد وسع طه حسين على الناس بالحديث عن شعوبية أبى نواس وحسين الضحاك وبشار ، وقد كشفت الصفحات عن صلات هؤلاء الزنادقة بالقرامطة وحقدهم على الإسلام والعرب ، ولم يقف أحدهم عند وصف الخمر والمجون بل بلغوا إلى أسوأ من ذلك : إلى أقسى صور الهجاء وأدب الغلمان .

وقال طه حسين فى وصف أحدهم أنه شاعر خليع متهالك على اللذة . إذن فلماذا تفرد الصحف صفحات لهؤلاء وتذهب أكثر من ذلك فتدافع عن تفسير ابن عربى للقرآن الكريم الذى يدعو جهاراً إلى الزندقة .

وابن عربى معروف بأنه متأول لنصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة تأويلا يفرغ هذه النصوص المقدسة من محتواها ويحشوها بالخرافات والعبث .

وقد تبين أن هناك اتفاقية بين جامعة السربون (معهد الدراسات العليا بباريس وبين المجلس الأعلى للآداب والفنون) لبعث هذا التراث المخرب ونشره بين يدى الناس وخاصة كتابه (الفتوحات المكية) .

وخفتت أصوات الصحف العربية عن الإشارة إلى الأيدى الخفية التى خططت وأعانت على تفويت هذه الصفقة المشبوهة ، ويقال أن الأيدى الآثمة هى وراء معهد دير الآباء الدومنيكان ، وهو معهد تبشيرى يتخذ من العمل الفكرى ستاراً له لنشر سمومه بين طلاب العلم . وأساتذة الجامعات ، ولاريب أن أفكار محيى الدين بن عربى فى وحدة الوجود وتطاوله على الذات العلية وعلى الأنبياء والرسل وعلى النبوة والقرآن الكريم أظهر من أن تخفى ، وهناك فتاوى العلماء بكفره ومروقه وخلعه لربقة الدين ، ومن هؤلاء العز بن عبد السلام وابن تيمية والكتانى والحسين بن الأهذل اليمنى ومحمد ابن عبد الوهاب . وقد ورد للإمامين ابن تيمية وابن عبد الوهاب ما يؤكد كفره ويصفانه بأنه أغلظ من كفر اليهود والصابئة (محمد الشرقاوى) وقد قامت قيامة الشعوبيين والتغريبيين على قرار إيقاف كتاب الفتوحات وأيدتهم الصحافة فى ذلك كل التأييد .

ويعرف الكثيرون أن ابن عربى له كتابات خادعة يدارى بها سمومه ، ويستدل بها الماكرون من أتباعه لمحاولة تصحيح صورته فى نظر الناس . ولكن الباحث الحقيقى لفكره يجده يقول فى نصوص الحكم : أن فرعون هو الرب الأعلى ، أى أنه لم يكذب حينما قال لقومه أنا ربكم الأعلى ، وقد احتضن نظرية (وحدة الوجود ووحدة الشهود) التى انتقلت من الفلسفة اليونانية وأخذ بها الصوفية قديماً وحديثاً ودافعوا عنها باللف والدوران .

ويقرر ابن عربى فى جميع مؤلفاته أنه لا عذاب فى الآخرة ، ويقول : يسمى عذاباً من عذوبة طعمه ، ويقرر بأنه ليس للوعيد وجود يوم القيامة ويصف الذات الإلهية وصفاً مادياً مخالفاً تمام المخالفة لصفته القرآنية التى يؤمن بها أهل السنة والجماعة ، فإنه يقول أنه عين الأشياء وأن العالم صورته وهو روح العالم المدرك ، وهذا المفهوم باطل وخاطىء وليس هو مفهوم أهل السنة والجماعة « ليس كمثله شىء » وأنه لايحل فى الأشياء سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً :

(٥)

وتفسح الصحافة العربية صفحاتها للعناية بالأدب المكشوف والوجودية فنرى عميد الإمام يقدم كتاباً اسمه (المومس فى الأدب) للدكتور هارولد جرينوولد وهو دراسة عن محترفى البغاء فى أمريكا . وماذا يهمنا فى هذا والمشكلة ليست مشكلاتنا ، ويعنى الكاتب بأن يتتبع ما تضمنته الأعمال الأدبية فى مختلف العصور عن بائعات الهوى ، وتميز البغايا عن سائر النساء ، ويشير إلى أن الرغبة فى الانتقام هى من بين الأسباب التى تدفع بعض النساء إلى البغاء فهن حين يمتهن أجسادهن يعتقدن أن ذلك يلحق العار بذويهن أو يثأرن من المجتمع الذى ظلمهن أو ينتقمن من رجل معين أو جنس الرجال بوجه عام ، ويعنى الكتاب ومترجمه بعاهرات قدماء المصريين وقدماء الإغريق .

ويعنى أنيس منصور بالوجودية وكتابات فرنسوا ساجان ويملأ الصفحات على امتداد الأسابيع والشهور بهذه الأفكار المسمومة ، عندما تعالت صيحة الوجودية وحاولت احتواء الفكر البشرى ، ثم لم تلبث أن سقطت لأنها لم تستطع أن تستجيب للفطرة الإنسانية ، وإنما كانت تمثل الأوهام والمطامع والشهوات والصرخات الصاخبة ، ولذلك سرعان ما انطفأت الوجودية وسارتر وفرانسوا ساجان .

ويعنى أنيس منصور بأن يترجم سموم ساجان ليطلع شبابنا وبناتنا على ما لم يقرأوه فيقول أنها فتاة كافرة تقول الصدفة أرادت ، الصدفة شاءت . ونعرف أن وراء هذه التفاهات قوى تنشرها وتملأ بها الدنيا وتجند لها أسباب الشهرة والمال لأنها سموم يتلقفها الشباب فيزداد رخاوة ومرضاً .

وتتحدث الصحف العربية عن أدب الجنس الذى يحتضر ، وتتحسر موجته فى حزن عجيب ، ويجددون الدعوة إلى أصحاب فلسفة الاعتلاء

بالجنس ، الذى يمكن أن يقوم عليه الكثير من الأعمال الأدبية والفنية . مورافيا ، ساجان ، نونيكوف وغيرهم .

وقد وصلت حرية الكتابة فى الجنس إلى حد الابتذال .

ولقد تنبه العاملون فى هذه السموم إلى أن ذلك الدوران حول الجنس قد أعماهم عن كل ما عداه ، وأصبحت روايات الجنس بغيضة إلى النفوس ، وقد كان يجب أن يكون معروفاً أن هذه الموجة ضالة ، وأن الإنسان مهما كانت دوافعه وأهدافه ونكسات حيويته لا يعيش بالجنس وحده على الدوام . ولقد تبين أن جذوة الفرويدية التى هبت منها موجة الجنس والوجودية والهيبية قد خبت تماماً ولكنهم ما زالوا يوقدون النار .

ونجد ذلك الاهتمام والتفاخر بأن مورافيا يحاكم للمرة الرابعة ولا يستحون عن نشر ذلك معللين أن اتهامه كان فى كل مرة جنسياً وبأنه يفسد الأخلاق ، ومع ذلك نجد من يسافر للحديث معه ويستقدمونه ، وهو سادر فى ضلاله ، ومن العجب أن يرسلوا له فتيات ليتحدثن فى الجنس ، ويترجمن الجنس ويكتبن عن الجنس .

« هذه رابع مرة يدخل فيها إلى المحكمة متهماً بسبب رواية من رواياته . الرواية الأخيرة « السأم » وقد أقيمت قضية ضد الكاتب يتهم فيها بإفساد الأخلاق عن طريق روايته ويصفونه بأنه تلميذ دستوفسكى أستاذ العنف فى الأدب البشرى كله » .

* * *

(٦)

ولا يتوقف الأمر عند هذا بل نرى دعاة العامية والحروف اللاتينية تفسح لهم الصحف العربية أعمدة وتهتم بهم ، وإذا جاء عزيز أباظة وتحدث عن اللغة الفصحى وهاجم اللهجة العامية وكتابها شنت عليه الحرب من الماركسيين والوجوديين على السواء ، كأنما هناك اتفاق مشترك بين القوى المضادة على محاربة الفصحى ، وبالرغم من أن أنيس منصور يتحذلق أحياناً فى الدعوة إلى الفصحى إلا أنه هاجم عزيز أباظة .. يقول : أخطأ عزيز أباظة مرتين : (أولا) عندما جعل مشكلة الفصحى والعامية نوعاً من الشكوى وكان فى استطاعته أيضاً أن يشكو من الشعر الحر ومن الفنون التجريدية فى الرسوم . (ثانياً) جعل القصة شكوى أو بلاغاً أو تهمة فى حين أن مشاكل اللغة والفن هى وجهات نظر وتجارب يقوم بها الأدباء والفنانون فى مجالات مختلفة فى الشكل والمضمون والأداء ولا بد أن يكون هناك تطور لأدوات التعبير » .

وهذا الكلام المسموم الذى يقوله أنيس منصور هو ذلك النص المكتوب الذى قدمه الاستشراق والتبشير لطه حسين وسلامة موسى وكل أعداء الفصحى ليقولوا به ، خداعاً ، وإلا فمن قال أن اللغة العربية الفصحى تخضع لمثل هذه المفاهيم ، وهى لغة القرآن الكريم ولغة ألف مليون من البشر من حيث العقيدة والفكر ، ولغة مائة مليون من العرب وكل محاولة ترمى إلى ما تسمى بتطور أدوات التعبير إنما تستهدف إيجاد فاصل عميق بين بلاغة القرآن وبيانه وبين أسلوب الأداء العربى . ولا ريب أن كل ما يدعى بالتقريب بين العامية والفصحى أو اللغة الوسطى أو غير ذلك إنما هو من محاولات التغريب والغزو الثقافى التى يراد بها فصل الأجيال الجديدة عن أسلوب القرآن وعن التراث الإسلامى . ويكذب أنيس منصور حين يقول أن اللغة وسيلة من وسائل المواصلات بين الناس وأنها تتطور فإن هذا القول إن كان معروفاً ما وراءه فإنه يمثل

دعوة خطيرة ، وإن كان لا يعرف ما وراءه فإنه يمثل جهلا بأبعاد قضية مرتبطة بالعقيدة والفكر والثقافة إلى أبعد حد .

وفى هذا المجال نجد من يحاول أن يحمل هذه السموم ويذيعها فى غلاف خادع كما يفعل فاروق شوشة فى برنامجه (لغتنا الجميلة) فهو ليس من أنصار الفصحي ولكنه من خصومها فى حقيقة الأمر وبالرغم من ذلك الغشاء الخادع ، وليس أصدق فى هذا المجال من أقوال ثلاثة :

١ - قول الدكتور أنطون غطاس كرم : أن الدراسة الأدبية فى العالم العربى من زمن جورجى زيدان إلى عهد طه حسين قد نحت نحو المستشرقين إذ حقق المتشرقون أعمالا فى غاية الجلال من حيث إحياء هذا التراث الأدبي وضبطه وشرحه ورده إلى أصوله .

٢ - قال أحمد أبو سعد : إن الأدب العربى الذى قدمته الأجيال المعاصرة من الشعوبيين والماركسيين : هو أدب المرتزقة والندامى .

٣ - قال عبد الرحمن بدوى : إن الأدب الذى ظهر فى مصر والبلاد العربية خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة يتصف بالإسفاف والضحالة والتفاهة والفقر فى الابتكار وانعدام الشرائط الفنية .

* * *

الفصل الثانى

الشعر

على طريق الصحافة العربية فى خدمة أهداف التغريب والشعوبية والغزو الثقافى كان احتفالها بالشعر الحر واهتمامها بدراسته وإفساح الطريق أمام كتابه ، وقد تبينت خلفية ذلك كله حين كشف دعاة القومية السورية والفينيقية والرموز المسيحية من المدارس اللبنانية عن غايتهم وأهدافهم من حيث اتخاذهم الشعر الحر وسيلة لضرب عامود الشعر الأصيل ومهاجمة اللغة العربية فى أعظم ميادينها على أساس أن حرب الفصحى تتركز فى إذاعة العامية والحروف اللاتينية والشعر الحر .

ولم يقف الأمر عند هذا بل إنه اتصل بالتراث فعنى كتابه على ابتعاث أبى نواس وبشار بن برد والفلسفات المستترة خلف الباطنية والمجوسية فى شعر دعاة التصوف الفاسق فجرى إحياء الحلاج إلى جوار عشتروت وفينق وتموز وأدونيس، وظهر أدب الهزيمة والإباحية فى شعر نزار قبانى والرفض لكل قيم المجتمع الإسلامى فى شعر سميح القاسم ومحمود درويش ، وفى هذا الجو المسهرم ظهر أمثال صلاح عبد الصبور الذى نصبه الكاهن الأكبر لويس عوض أميراً لشعراء الشعوبيين . وقد نمت هذه الحركة بتأييد الاستشراق ودعم أمثال جاك بيرك وسعيد عقل ويوسف الخال لها حتى تقدمت رسالة دكتوراه فى الجامعة اللبنانية عن تطور مفهوم الحب والمرأة فى شعر نزار قبانى وإشاعة مفاهيم الإباحية الجنسية فى الدراسات الجامعية فضلا عن رسالة أدونيس عن الشعوبية العربية خدمة لمذهب القوميين السوريين الذى جند العشرات ، ومنهم القصاصة غادة السمان التى جرى على نسقها الكثيرات فى أسلوب الكشف الجرىء من أمثال جاذبية صدقى وغيرها .

هذا هو التيار الذى احتضنته الصحافة العربية وجندت له الكثيرين باعتباره عاملا هاماً فى حركة الهدم الضخمة التى تقوم بها لحساب النفوذ الأجنبى .

ولقد عمدت حركة اليسار أول ما عمدت لتثبت هذا التيار أن قامت بضرب الاتجاه الصحيح الذى قامت عليه حركة الشعر العربى الممتدة منذ فجر الإسلام إلى اليوم بتحطيم الإطار الأصيل ومهاجمة عامود الشعر والدعاة إليه ، وإتاحة الفرصة لأمرين : للشعر الحر الذى يقوم على غير أساس صحيح والشعر العامى والزجل والفلكلور والبحث عن كل التفاهات التى قالها السكارى والمخرفون على مدى العصور على أساس أنها تراث للفلكلور ترمى كلها إلى التحرر من قيود اللغة العربية والنحو فى محاولة هروبية للخروج من مأزق الجهل إلى كبرياء الادعاء بأن الفصحى شاقة وعسيرة .

وتولى أمثال السياب والبياتى وأدونيس الدعوة إلى تمسيح الشعر وصعلكته وابتعاث الأساطير القديمة وإحيائها فى عداء شديد للفصحى وما وراءها من قيم الإسلام والقرآن .

وجاء غالى شكرى ليغمز كل ماله اتصال بالتراث أو الدين أو الوطنية من الشعر ، ووصفه بالعقم مع تأكيده للخطة التغريبية التى يعمل عليها شعراء الرفض وشعراء العامية .

وهكذا دافعت الصحافة عن هذه المفاهيم المسمومة وأفسحت لها ومكنت لهؤلاء الذين ظهروا فى ذلك الاتجاه من أن يتفتحوا فى رحابها وأن تلمع أسماؤهم ، والهدف هو ضرب اللغة العربية ، وضرب القيم والأخلاق من خلال ما تحمل هذه الكتابات من مفاهيم مضللة زائفة منحرفة وإحلال ظلام الوجودية والمادية والإباحية والماركسية المعقدة ومفاهيمها الضالة محل روح الأصالة والرحمة والعدل والتوحيد الخالص التى يمثلها الأدب العربى الأصيل .

بل إن هذه الموجة قد زلزلت مفاهيم الكثيرين فانحرفوا عن عامود الشعر الأصيل إلى هذا الاتجاه أمثال محمود حسن إسماعيل وعبد الرحمن الخميسى وغيرهم .

(٢)

استهدفت حركة الالتفاف حول الأصالة العربية الإسلامية خلق مثل أعلى مغاير للمثل العربى الإسلامى يقوم على مفاهيم وثنية مضللة قوامها بعث الحضارة الفينقية التى ظهرت فى سوريا ثم فى شمال أفريقيا قبل الميلاد بثلاثمائة عام تقريباً ، باعتبار أن الدعوة إلى سوريا الكبرى هى إعادة لمجد الفينيقيين وحضارتهم وبعث للعظمة الفينقية والسيادة الحقيقية على البحر المتوسط ، وسوريا الكبرى أو فينيقيا المجيدة التى هى الفردوس المفقود والحلم الضائع وهى الأمل الكبير بالنسبة لكل أعداء الوحدة العربية وعلى هذه المفاهيم وفى إطار هذا المعنى يدور الأدب الذى قام عليه أدونيس ويوسف الخال وجريدة النهار وآزره لويس عوض وصلاح عبد الصبور . كذلك فقد ركزت هذه المحاولة على رمز تاريخى هو القائد الفينيقى السورى القديم هانيبال الذى دخل حروباً طويلة مع الرومان خلال الفترة الممتدة من ٢٦٤ - ٢٠٤ قبل الميلاد وقد وصلت جيوش هانيبال إلى أبواب روما واستولت تحت راية الفينيقيين على كل شمال إيطاليا ، وفى هذا الإطار جاءت محاولة السياب والبياتى وأدونيس إلى إحياء الأساطير القديمة التى تساعد هذه الدعوة وترمز إليها . ولما لم يجدوا للفينقيين القدماء أساطير معروفة لجأوا إلى الأساطير البابلية والآشورية لإحيائها وبعثها والعمل على استخدامها فى الأدب الجديد ، وأهم هذه الأساطير التى وقف عندها القوميون السوريون : تموز وعشتار وأدونيس .

هذه هى الأفكار التى احتضنتها الصحافة العربية لتغرسها فى نفوس الشباب العربى المسلم والتى جندت لها عشرات من شعراء الرفض الذى يرفضون الحضارة العربية الإسلامية أساساً ويصمونها بكل نقيصة .

ويعتقد أصحاب هذه الأفكار أنهم يعيشون فى الأرض الخراب التى هى العالم العربى الإسلامى ، فهم لكل هذه القيم كارهون ولها محاربون .

فى سبيل انبعاث الأساطير البابلية القائمة على الوثنية والإباحية والتى تتكامل مع الدعوة إلى الفرعونية أيضاً ، وقد وصفها أحد الكتاب بأنها مغالطات مقصودة تهدف فى النهاية إلى خلق فكرة مغرية يمكن لصغار النفوس وصغار العقول أن يلتفوا حولها بحماسة ، وحتى تكون هذه الفكرة مدرسة قوية لتخريج عملاء يحاربون الفكرة العربية والدعوة الإسلامية داخل الوطن العربى ، وأن هذه المغالطات تهدف إلى المساعدة على بعث الأقليات الفكرية والدينية والعنصرية الأخرى .

وهكذا استطاعت الصحافة العربية أن تحشد حشداً هائلا من دعاة الشعر الحر الذين انطووا فى هذه المفاهيم عارفين لها أو جاهلين ، تحت اسم فينيقيا القبلة الروحية التى يعود المجد الغابر إلى هذه المنطقة من خلالها ، ويعتبر (على أحمد سعيد) الذى غير ملته واسمه فأطلق عليه زعيم القوميين السوريين أنطون سعادة قبل أن يشنق اسم الإله البابلى القديم وجعله أمير شعرائهم وكان قد خرج من بلاده هارباً منذ سنوات وعاش فى لبنان وباريس وهيئت له كل الأسباب التى تجعله فى مركز الصدارة ، أسندت إليه رئاسة تحرير مجلة شعر ثم مجلة مواقف .

وقد حمل أدونيس كل مفاهيم أنطون سعادة فى كراهية العروبة والإسلام واحتقار الواقع المعاصر ، والدعوة إلى تغييره وإحياء تراث الفينيقية القديم باعتبار فينيقيا هى الفردوس المفقود عند القوميين السوريين .

يقول رجاء النقاش « وقد أدرك الاستعمار قيمة هذه الفكرة فوقف وراءها وساندها فهى فى حقيقتها جزء من الثورة المضادة للعروبة ، لأنها تحاول أن تثير الشك فى سلامة الفكرة العربية والإسلامية » .

« والاستعمار هو راعى الفكرة ومغذيها إلى أبعد مدى ، يريد أن يستفيد منها فى خلق جيل مشبع بوهم الروح الفينيقية كاره للوحدة العربية . كل هذا انتهى بأدونيس إلى كره العرب والعروبة كراهة عميقة ، لذلك فهو يتبنى كل ما يوحى بابتعاده عن العروبة وسخطه عليها ، بالإضافة إلى غنائه النائح حول فينيقيا وإلى تسمية نفسه باسم أدونيس كرمز من الرموز التى يدعو

القوميون للسوريون إلى إحيائها ، بالإضافة إلى هذا كله فقد سمى نفسه في قصيدة أخرى : مهيار الدمشقي . ويشبه أدونيس نفسه بمهيار على اعتبار أن مهيار لاينتمي إلى العرب ، لأنه من أصل فارسي ، وبذلك يتبرأ أدونيس من عروبته ويعلن أنه مثل مهيار من أصل غير عربي ، مهيار الدمشقي فينيقي وهو يقول : المصريون فراعنة والسوريون فينيقيون . ويقول رجاء النقاش : لقد أصبح واضحاً بعد مرور أكثر من ربع قرن أن قيادات حزب القوميين السوريين كانت متصلة من ناحية التمويل والتوجيه بالسلطات الاستعمارية الأجنبية . وكان الهدف من قيام الحزب أن يكون عنصراً من العناصر المساعدة على تمزيق الأمة العربية وإعاقة أي تطور مادي أو فكري لها وهكذا نجد الإجابة على السؤال الحائر : لماذا يعملون على زحزحة الناس عن القيم الأصيلة وينقلون الناس من مفاهيمهم التي صنعها الإسلام أربعة عشر قرناً .

وما يقال عن أدونيس ، يقال عن بدر شاكر السياب الذي كان مضطرب المواقف الفكرية السياسية بين الوطنية المحلية والشيوعية ، وبين الارتباط بالقوميين ثم بجماعة مجلة شعر ، القوميين السوريين ، يقول رجاء النقاش : « وكان الذين يهاجمون السياب يرون فيه منافقاً عريقاً وانتهازياً كبيراً ، وكانوا يعتبرونه باحثاً عن مصالحه لا عن مبادئه ، وما يقال عن السياب يقال عن البياتي » .

* * *

(٣)

وفى هذا المجال شجعت الصحافة العربية شعراء الرفض ، هؤلاء الذين خرجوا على عامود الشعر من ناحية وخرجوا عن الأصالة التى عرفها الفكر العربى الإسلامى من ناحية أخرى ، وأبرز هؤلاء الذين حملوا راية الرفض لكل قيم العروبة والإسلام : نزار قبانى ، أدونيس ، أحمد عبد المعطى حجازى ، مضافاً إليهم عبد الوهاب البياتى والسياب وأسماء أخرى يرددها لويس عوض ولكنها مجهولة مجهولة مهما نشرتها الصحف والمجلات العربية فى صفحاتها الأولى .

وصدق لويس عوض فى وصف شعراء الرفض بأنهم « رافضون للقديم مرفوضون من أصحاب القديم ، يلتقون على رفض تقاليد الشعر العربى الموروثة عن القدامى والمقننة فى الخليل بن أحمد وهى التقاليد القائمة على وحدة البيت ووحدة القافية ووحدة الصوت » .

وكلمة القديم كلمة غامضة مضببة ابتكرها طه حسين والمستشرقون ، ومعنى القديم هو كل قيم الإسلام والقرآن والفكر الإسلامى والتراث والتاريخ واللغة .

ومعنى هذا أنهم ثائرون على كل ما يمثل أمتنا ، وأنهم يجرون وراء الأهواء المضلة ، ويودون تحطيم هذا الكيان القوى المتين الذى قامت عليه أمتنا أربعة عشر قرناً ، وشأنهم فى ذلك شأن ناطح صخرة ليوهنها .

ولم يكن تيار الشعر العربى كما يقول لويس عوض قد أسن ولكن النفوس المريضة هى التى لم تعد تتذوق .

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به الماء الزلالا

ومهما يقولون فى مدح الجديد. فإن التجربة بين أيدينا الآن وقد وصلت إلى نهايتها ركاماً ضحلاً تافهاً مظلماً .

إن حصاد شعراء الرفض قد أصبح الآن شيئاً لا وجود له فى الحقيقة فقد سقط بسقوط أولئك القرامطة الجدد الذين أقاموه حين استولوا على الصحافة وأداروها لحساب الشعوبية والتغريب .

هذا الشعر الذى كان حفياً بأن يقدم « أسوأ » ما فى العامية وعبارات الشارع من كلمات « الأحذية القديمة » والسعال والخصيتان وصدق من قال : لقد كان هذا الشعر ساقطاً شكلاً وموضوعاً .

أما شعر نزار قبانى الذى أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفينى فى التعريف به ما كتبه محمد سالم غيث فى كتابه « الحب والجنس فى شعر نزار قبانى » يقول : لقد خلع نزار ثياب الرجل كثيراً ولبس ثياب المرأة وتقمص شخصيتها وتحدث بلسانها فهل صحيح أنه يفعل ذلك « دفاعاً عن المرأة التى حكم عليها هذا الشرق الغبى بالإعدام حتى يقدم كتاب يوميات امرأة لا مبالية إلى طالبات الجامعة الأمريكية ويقول : إنه كتابكن ، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبى الجاهل بالإعدام ، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها . ولأن هذا الشرق غبى وجاهل ومعقد يضطر رجل مثلى أن يلبس ثياب امرأة ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها . أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية » .

ما سر نيابته عن المرأة فى الحديث عن الإحساسات التى لا يحاسب المجتمع عليها المرأة إذا هى كتبتها . لماذا لم يكتب هذه المعانى بصوت الرجل ، وإحساساته ، ما سر تدخل الشاعر فى أشياء لا تشعر بها إلا امرأة . إننا نرى أن شاعرنا من الفئة التى تعرف إحساسات المرأة وطبائعها لاتفاقه معها فى الطبع والشعور . إن إسراف نزار فى استخدام الأسلوب النسائى ليصرخ نيابة عن المرأة : هل عبر عن المرأة الشرقية ؟ نقول : لا » .

وتكشف الدراسات كثيراً من جوانب حياة نزار قبانى . وأبرزها أنه لم يجب أبدا على السؤال الذى وجه إليه : لماذا فصل من السلك السياسى السورى؟ وقد تحداه أن يجيب عن ذلك كثيرون فى الصحف علناً . يقول صالح جودت « لو عرفتم الجواب لأدركتم لماذا هرب نزار قبانى من سوريا ولماذا تلبنن » لا رحم الله نزار . لقد مات كسورى ، ومات كعربى ومات كشاعر ومات كإنسان » .

ومن الأحاديث التى أجريت معه أجاب هذه الإجابات التى تكشف خبيئته :

« لو كنت حاكماً لألغيت مؤسسة الزواج وختمت أبوابها بالشمع الأحمر »

« العرى أكثر حشمة من التستر » .

« مع حبيبتى لا أخرج من الغرفة ومع زوجتى لا أدخل الغرفة أساساً »

هذه هى المفاهيم التى يقدمها نزار قبانى فى شعره الذى تحتفل به الصحافة العربية ، ولعل من أبرز سيئات نزار قبانى قصيدته « أفتح صندوق أبى » : تلك التى أعلن فيها الرفض لكل ما هو عربى وإسلامى ، وقد سمى سيف الدولة « مغروراً » وهو الذى قضى حياته مجاهداً فى سبيل الله حتى جمع من غبار ثيابه فى معاركه مع الروم ما جعل منه وسادة أوصى بوضعها تحت خده بعد موته .

ومن شعراء الرفض « صلاح عبد الصبور » الذى تبناه لويس عوض وحمل لواء الكلمات المسيحية فى الشعر الحديث .

ويعنى صلاح عبد الصبور بتطويع مفاهيم الفلسفات المادية والمفاهيم الباطنية التى رددها أمثال الحلاج وغيره ليقدمها مرة أخرى فى أسلوب فنى جديد ، وهو يشير فى ذكرياته أنه كان على اتصال بالدين فى أول عمره ثم مرق مروقاً شديداً بعد أن التقى بالفيلسوف الهدام الذى مات مصروعاً . نيتشه ، وقد تأثر بمفاهيمه المضللة .

وهو يشير إلى تجربته الإيمانية بعد الخروج عنها فيقول : لم تمنحنى هذه التجربة السكينة بل لعلها زادت قلقى . إن يكن ذلك عطاء من الله فلم لا يعطيه لى دون جهد وقد عشت فى بلبالها عاماً كاملا ، ويقول ربما كانت قراءة بسائط الدارونية تلخيص سلامة موسى وقراءة نيتشه فى صيحته المرعبة (إن الله قد مات) هى التى دفعتنى إلى الطرف الآخر من الموضوع وأصبحت أتزين بالأفكار وأجمع القرائن عليه من كل الفلسفات والأفكار كما يجمع المدعى أدلة الاتهام » هذا الاعتراف ولا حول ولا قوة إلا بالله يكشف عن فساد تجربة صلاح عبد الصبور أساساً وأنها كانت شيطانية ولم تكن ربانية ، ذلك لأن من يتجه إلى الله تبارك وتعالى فإن الله يهديه إلى طريقه ، أما فكرة نيتشه فإنها فاسدة ولو أنه قرأ ما كتبه المسيحيون الغربيون أنفسهم عنه لصحح له مفاهيمه ، وأما مفاهيم دراون فهى باطلة ولو أنه قرأ كتاب الدكتور موريس بوكاى برغبة الوصول إلى الحقيقة لانتفع به .

يقول : « ساعدتنى الفلسفة المادية التى كنت قد اقتربت منها اقتراباً كبيراً وخاصة بعد تخرجى من الجامعة عام ١٩٥١ على أن أجد فى الأفكار لوناً من الموقف الفكرى الموحد المتماسك وأن ديوانى (الناس فى بلادى) معبر عن هذا الإحساس » .

والواقع أن كتابات الشكوك والانحراف التى قدمها صلاح عبد الصبور وأنيس منصور قد كشفت عن فساد الخط الثقافى الذى نشأ فيه جيل كامل وكان طه حسين وسلامة موسى على رأس الدعوة إليه .

ونحن نسأل الله لها الهداية فإن الحقائق اليوم ناصعة وواضحة لمن أراد أن يعرف حقيقة دينه وربه وعقيدته .

والواقع أن شعراء الرفض قد تتلمذوا على الملاحدة والإباحيين من شعراء الغرب وكتابه أمثال هايدجر د وسارتر وكامى وشعرهم يقوم على رفض القيم والإغراق فى اليأس والتحلل والتمزق النفسى .

وحين يشتد بهم الانحراف يصل الواحد منهم إلى حالة التشبع بالأفكار وهو ما يسمى « الفاجر » على القلب فقد طبع الله على قلوبهم فهم لايهتدون .

ولم تقف الصحافة عند هذا الحد بل أفسحت لدعوة سعيد عقل إلى الحروف اللاتينية فقد ابتكر سعيد عقل واحداً وثلاثين حرفاً وبها أنشأ ديوانه الشعرى « يارا » يقول إن الحرف العربى ليس إلا مؤسسة من مؤسسات الإنسان العربى وأنا أهاجم الحرف العربى ولا أهاجم الإنسان العربى ، ويدعى أن الحروف اللاتينية قادرة على إلغاء الأمية .

ودعوى سعيد عقل باطلة أصلا . ولكن الصحافة العربية لم تفسح المجال لمن ينقضها .

* * *

ملحق :

خطران قامت الصحافة العربية بالاهتمام بهما فى سبيل تغريب الفكر والقضاء على الأصالة :

أولا : الاهتمام بالفلكلور

يستهدف الاهتمام بالفلكلور أو ما يسمونه التراث الشعبي إلى جمع بعض الأغانى والمواويل والأمثال الساذجة التى تمثل طفولة البشرية سواء فى الأفراح أو الأحزان ، وهى فى مجموعها متخلفة عن المفهوم الإسلامى الذى يمثل أصالة البشرية والذى يرتقى عن الأوهام والوساوس والأهواء الضالة .

ويستهدف الفلكلور إحياء الأقليات والوثنيات والتقاليد والعادات التى انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنع الإنسان الضعيف فى حالة الفرح والحزن وفى خلال مراحل الالتقاء الاجتماعى العام وهى فى مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذى هدينا إليه .

وإحياء هذا النوع من التراث هو إحياء لدعوة السوقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدراً أكبر من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التى ينشئها الإسلام فى نفوس أهله .

ثانياً : الاهتمام بالشعر العامى

كذلك فقد احتفلت الصحافة العربية بالشعر العامى وأفسحت له المجال وأبرزت أمثال صلاح جاهين والأبنودى وغيرهم ، وكان ذلك على حساب الفصحى وعلى حساب الكلمة البليغة والمعنى الرفيع فما تناول هؤلاء إلا معانى ساذجة وجروا على طريق أعوج مضال ، فما كانت العامية قادرة على أداء المشاعر ، وما كان الشعر العامى إلا مثلا متدنيا للأفكار العامية والتافهة .

لقد كانت دعوة الشعر العامى كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربى . وكان دعاتها يبطنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغريب والشعوبية ، وهذا ما لم يكن يقصد إليه بيرم التونسى أو بديع خيرى .

وإن كان إبراز هذا اللون من شأنه أن يعارض الفصحى ، وقد ارتبط الشعر العامى بالكاريكاتير وبالإثارة وخلق تياراً من التعبير والحوار والأداء صرف الناس عن كثير من القيم العالية والمعانى الرفيعة .

* * *

الشعر الحر :

إن أخطر الظواهر التى نراها فى الشعر الحر وخاصة فى كتابات :

صلاح عبد الصبور ، معين بسيسو ، بدر شاكر السياب . نزار قبانى .
هى ظاهرة مشتركة مستمدة من القراءات التوراتية والفكر الوثنى والتلمودى والتراث المسيحى حتى أن لويس عوض احتفل بها واحتفل خاصة بكتابات صلاح عبد الصبور وأطلق عليه من أجلها لقب أمير الشعراء فى هذا العصر . بعد أن قال أن صلاح عبد الصبور يقرأ الإنجيل بحماسة وأنه داخل دائرة الخلاص المسيحية . وأنت حين تقرأ كتابات صلاح عبد الصبور تجده يكتب ما يشبه فكرة الصلب التى ينكرها الإسلام .

ومن هذا قصيدة حكاية قديمة « الذين أسلموه للجنود لقاء حفنة من النقود » إلخ ومنهم من يتعمد نظم أبيات شبيهة بنشيد الانشاد :

المجـــد للذين فى العذاب يبسمون   المجـــد للذين بالرغيف يقنعون

نجد هذا فى بكائيات هؤلاء ، ونجد عند نزار قبانى عبارات « مصلوبة الشفتين » و « الصليب الذهبى » ونجد عند عبد الوهاب البياتى « صليب الألم » والظاهرة التى لا يشك فيها أحد أن أغلب قصائد الشعر الحر هى التى تحتضن هذا الاتجاه .

وهذا الاتجاه يعنى التبعية لتيار لبنانى مسيحى منحرف عن الفكر الإسلامى ومعاداة للقصيدة العمودية وللتراث العربى .

ووراء هذا يوسف الخال ولويس عوض وأدونيس .



الباب الخامس

الصحافة والقصة

أولاً : الصحافة والقصة
ثانياً : كتاب القصة

الفصل الأول
الصحافة والقصة

كانت الصحافة العربية هي المجال الأوسع للقصة التي وصفت بأنها عربية ولم تكن في حقيقتها إلا ترجمات للقصص الغربي مع التصرف في الأسماء والأماكن ، ودون الخروج عن الخواطر والمشاعر والأفكار، ولذلك فقد حملت منذ اليوم الأول صورة غير حقيقية عن مجتمعنا، ولم تكن القصة في حقيقة الأمر من فنون الأدب العربي فإن العرب لم يجدوا في القصة وسيلة للتعبير عن مشاعرهم أو تصوير وجدانهم، وقد تحقق لهم ذلك بأوفى نصيب عن طريق النثر والشعر ، ولذلك فإن القصة كانت وما تزال دخيلة على الأدب العربي وقد وجدت فيها الصحافة العربية منطلقاً لتحقيق غاياتها في إذاعة دعاوى الحب والجنس والاغتصاب والتحلل ، وهي معان تهيىء لها القصة وسائل الذيوع والانتشار باعتبارها فناً من الفنون الوافدة التي عرفت بأسلوب ومدخل وطريقة وحبكة ونهاية ، فكانت من أسوأ الأوعية الأدبية لحمل وسائل الفساد وأساليب الغواية وكشف سوءات العلاقات بين الرجل والمرأة ، وهي في ترديدها الدائم وأسمائها المختلفة لا تعدو أن تكون صورة مكررة لقصص الحب الآثم والعلاقات الفاسدة بين الرجل والمرأة .

وقد شهد الباحثون بمدى خطر استشراء القصة على صفحات الصحف والمجلات العربية ، وكيف أفسدت عقول الشبان والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة الهابطة ، وتلك الدعاوى الباطلة من الإغراء والخداع وأساليب الاغتصاب ، وأبرز ما كتبته الصحافة قصص التابعي مما وصفه بأنه قصص واقعي وما كشف عن صور الإباحية والفساد في الاتصال بالأسر والبيوت ، وما قدمه مصطفى أمين من مسلسلات جانحة إلى الكشف والعري والإثارة ،

وما كتبه يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ، وخاصة تلك القصص التى اتخذت الغلاف السياسى والوطنى إطاراً لتصوير المخازى والفضائح ، وتحت اسم الكشف عن فساد العهد الماضى سياسياً — الذى شاركوا فيه وكانوا أعلامه — بتقديم هذه الصور الإباحية، وهذا من خداع كتاب القصة الصحفية للناس بأنهم يخدمون فكرة وطنية أو هدفاً سياسياً ليكون ذلك مبرراً ووعاء وإطاراً لتقديم الصور الجنسية المكشوفة .

وقد بدأت الصحافة العربية بترجمة القصة الغربية ثم ظهر من كتاب القصة من استطاع فى إطار عربى أو مصرى أو شرقى التقليد لهذه القصة ، وقد قدمت للقارئ فى أول الأمر كفن من فنون التسلية والترويح عن النفس ، ثم أصبحت من بعد خطراً بعيداً الأثر فى النفس العربية الإسلامية ، لأنها آثرت إبراز جوانب الشهوات والفساد والإباحية ، وأولت اهتماماً شديداً للمسائل الجنسية ، فأفسدت كثيراً من الأسر والفتيات وقادتهم إلى الرذيلة وأوحت إليهم لكثرة ما نشر ولا ستمراره بأنه من الأمور الطبيعية المشروعة .

وقد كان هدف كتاب القصة وهدف الصحافة متصلا بالكسب المادى وكان فى الأكثر متصلا بترويج مفاهيم اجتماعية أو سياسية ، تحاول قوى النفوذ الأجنبى بثها فى النفوس لتخديرها وخداعها وصرفها عن التماسك والخشونة والقدرة على مواجهة الأخطار والأحداث .

ولقد حاولت الصحافة العربية عن طريق هذه القصص أن تكسر الحواجز الطبيعية والخلقية بين الرجل والمرأة بتصوير الخيانة الزوجية على أنها شىء لا غبار عليه ولا أهمية له ، وهو فى الأخلاق الإسلامية عمل شائن وخطير ومتصل بالأعراض والسلوك، ومن هنا كانت دعوة كتاب التغريب بالبعد عن التعصب وهى دعوى الماسونية ، وذلك أن القصة الغربية تصور أن زلة الزوجة وخيانتها تنتهى بصفح أو عقوبة ضمير ، وهذا مختلف عن موقف المسلم اختلافاً واضحاً عميقاً فالمسلم والعربى قد يصل به الأمر إلى الانتقام والقتل .

كذلك فإن الشريعة الإسلامية لها موقف واضح إزاء هذه العلاقات الاجتماعية فهى تحرم الاختلاط وتحرم التقاء الزوجة بأى غريب فى غيبة الزوج.

وتوالى قصص الخيانة والزلل من شأنه أن يزعزع العقيدة الإسلامية وهذا ما وقع فيه المجتمع الإسلامى نتيجة استشراء هذا النوع من القصص ، وهو هدف مقصود ومدبر ومبيت ، تحت اسم الفن من ناحية . أو تسلية الجماهير من ناحية ، أو معالجة مشكلات المجتمع من ناحية أخرى .

ولقد استهدفت القصة فى الصحافة أمرين : نشر الإباحية فى القصص الجنسية ونشر الجريمة فى القصص البوليسية .

وهناك ركام ضخم من هذه القصص يملأ الأسواق وتتطوع الصحافة العربية بتقديمه : القاتل الخطير ، اللص اللطيف ، نوابغ المجرمين ، قاطع الطريق العبقرى ، خاطف النساء الشريف .

وكل هذه القصص من الحب والقتل والنزاع والخداع والتجسس منسوبة إلى أبطال ، ووقائعها السرقة والانتقام والاعتداء على الأعراض وتزييف النقود والاتجار بالرقيق الأبيض والأسود والمخدرات والعبث بالطفولة البريئة وخطف النساء وألوان من الفسق والفجور .

ولقد كان لاستشراء هذه القصص عن طريق الصحافة ما يمكن أن تحمله من تبعة وقائع الجرائم والسرقة والاغتصاب التى تنشرها الصحافة أيضاً فهى التى علمت الشباب أساليب ذلك كله بما قدمته من قصص فضلا عن إفساد العقليات والنفوس والأذواق ودفع مجموعات الشباب إلى مجالات خطيرة من الأهواء والمفاسد .

وقد صور الأستاذ حامد بدر الآثار الخطيرة المترتبة على استشراء القصة فقال : إنها تملأ فراغ المراهق بالأفكار الملوثة وتسكب فى غريزته الظامئة ما يزيده للانحراف ظمأ ، ويوجه طاقته أسوأ توجيه ، ويتساءل ، لماذا ننفث فى وعى الناشئين والناشئات سموماً من القصة المبتذلة المترجمة ؟ إن

المداد الذى يسود به الكاتب الكتب والصحف إنما هو دواء شاف أو سم زعاف ، وإن السم الذى يدسه بعض محترفى الأدب فيما يسمى بالقصص الواقعى لهو أشد السموم خطراً وفتكاً ، وتاجر القصة المنحدرة مثل بائع الحلوى المتجول الذى لا يحصل على الربح إلا من أيدى ضحايا أبرياء فى الحارات والأزقة لا يفتحون عيونهم ليروا الأتربة والذباب عند ما يفتحون أفواههم لالتهام الحلوى المكشوفة الملوثة . فكاتب القصة المكشوفة إنما يستثير غرائز قارئه السطحى وينحدر به متملقاً غريزته تملقاً مكشوفاً لأنه لا يملك وسيلة يستميله ويجذبه بها سوى تلك الوسيلة ، وغايته أن يضعف الجبان أمام الغريزة الهائجة وأن تهون فى تقديرها كل القيم . تلك هى السموم التى تدخل بيوتنا فى قصص وروايات فيقرؤها أبناؤنا وبناتنا على أنها أدب ، وتدخل السينما صوراً متبرجة عارية فيشاهدها أبناؤنا وبناتنا على أنها ترفيه وتسلية ، وهى الوباء الذى تصعب الوقاية منه ، والذى يسحق قوانا المعنوية سحقاً ويهدم كياننا من حيث لا ندرى ، إن الطاقة الهادمة تتجه إلى الانحطاط وتستسهله وتمضى فيه ولا سيما إذا وجدت تغاضيا وتهاونا بل تشجيعاً ورعاية عكس البانية التى تتجه دائماً نحو الصعود » .

وليس أدل على أن كتاب القصة يستهدفون أمراً خطيراً ، أن نجد كتاباً قد دخلوا فى الحلقة السابعة من العمر ومع ذلك فهم يتخذون أسلوب القصة الجنسية المكشوفة إطاراً لوضع سمومهم وأهوائهم . وأبرز ما نرى فى ذلك كتابات مصطفى أمين بعد خروجه من السجن ، سنه أولى حب وغيرها .

كذلك فإن زكى عبد القادر يقدم نماذج مضطربة ممزقة لا يجوز لرجل مثله أن يطرحها بهذه الصورة العارية ، لأنها تؤدى إلى إحداث آثار خطيرة فى نفوس الفتيات ، وكان أولى ألا يتوسع فى تصوير الإثم والخطأ والفساد ، وأن يتوسع فى التحليل وبيان الأخطار التى ترجع فى مصدرها إلى سوء التربية وغيرها .

ومن ذلك قصة فتاة يصورها على أنها متطلعة دائماً إلى الرجال وأنها

مغرمة بالعبث بهم وإيقاعهم فى حبائلها . وأنها لا تعرف الحب مع ذلك ، وهى تصلى وتفعل الخير . ولكنها تعمل دائماً على اقتحام عالم جديد للبحث عن اللهو والتسلية والعبث بالناس ، ويمضى زكى عبد القادر فى التوسع على أعمدة أربعة فى تصوير خواطرها المسمومة ، وهو يعنى بأن يقدم هذه الخواطر دون أن يعلق عليها لو كان يريد حقيقة أن يهدى إلى الرشاد . ولكنه لا يفعل شيئاً تجاه ذلك ، ولا يصور خطأها وانحرافها ، وكأنما هو معجب به راض عنه وهو فى السبعين من العمر يهدهد هذه الغرائز ويزيدها اشتعالا فى نفوس أناس ربما كانوا يثقون فى كتاباته ، ويضعونه فى قائمة أخرى غير قائمة أنيس منصور ويوسف إدريس وغيرهم . وفى أكثر من كلمة يتكشف اهتزاز القيم الإسلامية الأصيلة فى نفس الكاتب ، ولو كان مؤمناً بها لكان حاسماً فى معالجة القضايا التى يتعرض لها ولما شغف بين آن وآخر بتقديم هذه القصص الإباحية .

ولست أدرى لماذا يهتم بأن يقول أنها فتاة لها أنوثة طاغية ، وأنها نشأت دون رعاية أو رقابة وأنها فتاة مغرورة ليس لها قدر من ثقافة وإيمان تجرى مع الأهواء ، لماذا الاهتمام بمثل هذه الرسائل وقد نشر منها العشرات فى سياق ما كان ينشره من كلمات يتحدث فيها عن الخلق والفضيلة .

هل هذا هو واجب الصحفى صاحب القلم ، وهل هذه هى رسالته ، الإلحاح على صور الفساد دون أن يقدم العلاج ، والتوسع فى رسم صور الإباحة والوقوف عند ذلك دون أن يحلله أو يظهر خطأه أو يوجه أهله إلى الخير .

لماذا الاهتمام بمثل هذه التى وصفها بأنها شيطانة تضج منها الشياطين (أخبار ١٢ - ٣ - ١٩٧٨) .

وهى تكذب حين تقول أنها تصلى أو تعرف الإيمان أو المصحف الذى فى حقيبتها أو أنها حجت وطافت بالكعبة . ثم هى تخاف أن يقع ابنها أو زوجها على هفواتها ومن التبجح أن يقول أنها تعتقد أن السماء تحفظها ولن تتخلى عنها وأن الله يغفر لها ويحفظ سرها ، مع أنها لم تزمع التوبة .

هذا الكلام يراد به تخفيف الجريمة فى نظر أصحابها ، والتهوين من شأنها وهى محاولة خطيرة فى نشر الفساد ، فإن للتوبة شروطها فإن ستر الله ورحمته لا يكون مع الضالين المفسدين ، ولكن مع المؤمنين أو التائبين الذين يستنكرون صفحاتهم السوداء المظلمة ولا يعلنون بها ، إن هذه هى محاولة خطيرة فى وضع وقائع زائفة فى صورة القصة وهى أسوأ ما تقوم به الصحافة فى العصر الحديث .

المرأة فى قصص كتاب الإثارة :

كشفت الأبحاث التى أجراها بعض النقاد عن أن الأدباء الذين كتبوا القصة شوهوا صورة المرأة فى قصصهم وتفرغوا لتصوير الأحاسيس الشاذة للمرأة ، أو التعبير عن نساء الليل وأعلنت أن معظم الأدباء يحتقرون المرأة لدرجة أنهم جعلوا المرأة على هامش حياة الرجل وأن العقاد والحكيم ونجيب محفوظ كتبوا عن المرأة الشاذة .

ولهذا الكلام إجابتان : (الأولى) أن القصة كانت تصويراً للجوانب المثيرة وأنها ليست عملا أصيلا وقد دخلته أهواء الكتاب وصورة المرأة الحديثة المنحرفة فى الحقيقة عن الطريق الأصيل . (الثانية) أن المرأة العربية فى هذه المرحلة قد خرجت عن الأسلوب الحقيقى للمرأة المسلمة ولذلك فإن هذه الصورة ليست غريبة . ولقد عبر إحسان عبد القدوس عن قلة نادرة من الفتيات المنحرفات ولا نستطيع أن نقول إن كل الفتيات على هذا النسق ، ولكنه أراد أن يعمم الصورة لغرض فى نفسه وهوى فى أعماقه ، وقد قال البعض أن أمثال جاذبية صدقى تكتب أسوأ مما يكتب إحسان عبد القدوس .

الفصل الثانى
كتاب القصة

قدمت الصحافة العربية عدداً من كتاب القصة وأولت العناية بعدد قليل منهم هم كتاب الجنس والغرف المقفلة أو ما أطلق عليه « أدب الفراش » هؤلاء الذين اهتمت بهم الصحف وأذاعت أسماءهم لأنهم يقدمون جوانب مثيرة من العلاقات بين المرأة والرجل . ويصورون المرأة العربية المسلمة على أنها أداة للجنس والشهوة ، وأنها تجرى وراء أهوائها وأن علاقة الرجل بها هى علاقة المطاردة والإغواء والإسقاط بالخداع فى براثن الانهيار حتى إذا قضى منها لبانته تغير كل شىء وانصرف عنها . هذا هو الطابع الذى عرفه كتاب أدب الفراش والذى أولته الصحافة العربية اهتمامها ، ولم تشأ مرة واحدة أن تقدم قصة ذات هدف كريم أو على غير قاعدة الجنس ، ولقد ترددت كلمة « الحب » على ألسنة الكتاب والشعراء والقصاصين على نحو أزرى بهذه اللفظة ومرغها فى الوحل وجعل منها عبارة مبتذلة ، لا تدل على شىء إلا على ذلك الشىء القذر الذى يسمونه الجنس .

ولقد كان لذيوع هذا النوع من القصص عن طريق الصحافة أولا وخاصة المجلات الأسبوعية (أخبار اليوم ، روز اليوسف ، آخر ساعة ، صباح الخير ، الحوادث ، الموعد . الصياد والشبكة) أثره البعيد المدى فى المجتمع فهو الذى أيقظ فى الشباب والشابات تلك المفاهيم المنحرفة وتلك الدعوات المضطربة حتى نرى بعض الفتيات تطالب بالتحرر قبل الزواج أو بالتجربة قبل الزواج .

وفى عديد من استفتاء ماجن خبيث أجرته المجلات بين طالبات الجامعات (روز اليوسف) مثلا فى العدد الخاص بالمرأة (أبريل ١٩٧٥) استفتاء

أجرته المجلة بين طالبات الجامعة ، كانت أجوبة الفتيات مثيرة للفزع ، فأربع مسلمات قلن بالحرف الواحد :

(الحب والجنس وجهان لعملة واحدة ، لماذا لا أمارس الجنس مع من أحب ، إنني لا أعتبر الزواج شرطاً أساسياً لممارسة الجنس ما دمت أحب وأثق فيمن أحب حتى ولو كان ثمن ذلك نظرة عدم احترام من المجتمع) .

والواقع أن كتاب القصة الذين تثيرهم هيئات التحرير لكتابة الصور الصارخة من القصص ، وما قدمه إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ويوسف السباعى ، ويوسف إدريس وموسى صبرى ومن قبل أمين يوسف غراب وغيره هو مصدر هذه الأفكار المسمومة التى سرت فى الفتيات سريان النار فى الهشيم ، ولو أن هذه القصص كانت موجهة إلى صالح المجتمع لكشفت عن فساد هذه المفاهيم ولفتحت أمام الفتيات طريقاً مضيئاً إلى معرفة الخير والشر ، ولأعطتهن العبرة والحرص فى التعامل مع الشباب والحذر واتخاذ بيت الفتاة وأبيها وأهلها المرجع والملاذ لكل علاقة يراد بها الزواج حقيقة حتى ينكشف الخداع .

إن تعالى مثل هذه التساؤلات عن حق المرأة فى أن تمارس الجنس قبل الزواج يرجع إلى ما قدمه أنيس منصور وغيره من مترجمات للكاتبة الفرنسية الإباحية أمثال فرنسوا ساجان وبهذه القصص المترجمة والمؤلفة على غرارها شاعت الفاحشة باسم الفن وبلغ الشطط بالكتاب العرب أن بلغوا مراحل أشد سوءاً مما كتب الغربيون منافسة لهم وكل هذا هو الذى خدع المرأة ودفعها إلى طريق الشر فهجرت مجال البيت والأسرة وتربية الطفولة وبحثت عن الأهواء واللذات .

(٢)

وقد بدأ هؤلاء الكتاب عن غير طريق أصيل أو ثقافة أصيلة وإنما تخطفت المجلات الأسبوعية كتاباتهم لأنها وجدت فيها ما يؤدى إلى الذيوع والانتشار ، وقد كان يوسف السباعى لا يجيـد الكتابة بالعربية إلا بصعوبة شديدة ويفضل العامية ويتحدى فى وقاحـة شديدة ويسخر من الفصحى ومن سلامة الكتابة على أصول اللغة . وقد هوجمت قصص يوسف السباعى (وخاصة قصة إنى راحلة) لأنها عامية اللغة . وأن الكاتب العربى الذى يكتب لمائة مليون عربى يجب أن يجيد الفصحى ولا يحصر نفسه فى دائرة العامية المصرية .

ولا يبالى يوسف السباعى أن يقول : « إنى لا أهتم مطلقاً بمبادئ اللغة . واعتبر أن أسلوبى (كويس كده) وليس فى حاجة إلى المحسنات اللفظية . والواقع أن لغتنا العربية سخيفة وفيها حاجات (مش معقولة) واحد مجنون مثلا قال لنا (خلى الكلمة دى تبقى كده) وخلاص وهى عملية مجهدة لا معنى لها ولا نهتم بها الآن أو يحافظ عليها المصححون فى الجرائد . وأنا على كل حال أعتبر اللغة وسيلة وليست غاية » .

إن مثل هذا الهراء لو وضع موضع النقد الحقيقى لكان حفياً بأن يطرد كاتبه من ساحة الكتابة الأدبية ونأسف لأن جريدة تنشر مثل هذا الكلام (جريدة المساء) .

وإذا كان هذا هو موقف يوسف السباعى من اللغة فلا ريب أن موقفه من القيم الأساسية أخلاقية ودينية أشد عنفاً . وذلك واضح فى قصصه التى تقوم على ظاهرة الكشف . والتى تقوم العلاقة فيها بين الرجل والمرأة على أساس المطاردة والخداع والاغتصاب .

هذه القصص التى كان يقال أنه يكتبها فى كابينة على البلاج يذهب إليها ومعه كراسة بيضاء وزجاجة ماء ملون ويعود بها لتنشر فى الصحف مع الاحتفال بها ثم تنشر فى مجلد ضخم تقوم مكتبة الخانجى بنشره ثم يتحول إلى سيناريو سينمائى وكان يوسف السباعى عضواً فى لجنة اختيار الكتب لمكتبات وزارة المعارف ومدارسها ، وكان يوسف يدخل اللجنة ومعه قائمة الخانجى فيعرضها على اللجنة بمعدل ٣ آلاف أو ألفى نسخة من كل قصة تحصل من ورائها على ألوف الجنيهات ، وتحصل ثلاثة آلاف طالب وطالبة على سموم الإباحة والجنس والانحراف الخلقى .

ثم يحصل على أجور مضاعفة من الأفلام السينمائية بعد أن تكون هذه القصص الجنسية المسرفة فى تصوير الغرائز وإفساد الشباب قد وصلت إلى كل بيت . ولقد وضع نفسه فى أحضان طه حسين الذى كان يعرف أنه حين يقدم يوسف السباعى ونجيب محفوظ وأمين يوسف غراب وغيرهم إنما يقدم سماً من نوع خطير إلى الأجيال الجديدة فيخدم به دعوته ويكوّن جيلا يحمل أفكاره (كل ما هنالك أن طه حسين كان يخدع الناس حين يدعو هؤلاء إلى الكتابة باللغة الفصحى التى لا يعرفونها) فقد أعلن طه حسين أكثر من مرة أن يوسف السباعى يجهل اللغة والنحو ومع ذلك فقد مضى طه حسين يشجع هذه العناصر ويحميها ويدفعها إلى الأمام فى صحافة لها هوى مع كل منهج مضاد للأصالة .

ولقد كشف النقاد أمر يوسف السباعى منذ وقت بعيد فقد نشرت مجلة الآداب (أغسطس ١٩٥٥) رأى خصومه فيه حيث قال أحدهم :

« إن يوسف السباعى لا يمثل إلا الوجه المرفوض غير الأصيل فى الثقافة المصرية ، ولكنه مع ذلك استطاع أن يصل إلى هذا المستوى الذى لمع فيه» وأن كثيراً من الشباب المتفتح الواعى يميلون إلى اعتبار أدبه غذاء سوقياً تجد فيه الطبيعة البرجوازية المترفة موضوعاً لغرائزها ، وهو يؤدى نفس الدور الذى تؤديه الأفلام المصرية السخيفة ويهدف إلى افتعال حياة غير حقيقية للمستمع المصرى حتى يظل بعيداً عن واقعه الصحيح بما فيه من مشكلات .

« لقد ملع يوسف السباعى حقاً فى جو ثقافى أثقلته القيود والأغلال »

ولقد كانت مفاهيم يوسف السباعى منحرفة حقاً ، ضئيلة ، تدل على فقر شديد فى الثقافة ، إنها ثقافة الحى الذى عاش فيه ، ثقافة الأحياء البلدية والزجل والمواويل وكلام المقاهى . وذلك فهمه للعلاقات بين الرجل والمرأة ولذلك غلب عليه طابع اللامبالاة بالقيم ومن أجل انتشار قصصه غلب طابع الجنس .

بل إن يوسف السباعى ذهب إلى أبعد من هذا حين جعل « السخرية » طابع كتاباته فهو يسخر من كل شىء ، حتى من القيم المقدسة ، وأية ذلك رواية (نائب عزرائيل) وتدهش حين ترى يوسف السباعى يوجه كلامه إلى الملك المكرم سيدنا عزرائيل ملك الموت فيقول « ستلمس لى العذر إذا علمت أنى رجل أحب المزاح ، أو أننى أرى أن المرء لا يربح فى حياته إلا ساعات الضحك وإذا علمت أيضاً أن الإنسان بطبيعته مخلوق مهرج إنه لا يغريه شىء كالهزل والتهريج وإنك إذا ما أردت منه أن يستمع إليك فاضحك أولا ثم قل له ما تريد قوله . لا تظن بقولى هذا تزلفاً فالتزلف لا يكون إلا لخشية أو حاجة وما كان بى من خشية منك ولا حاجة إليك » .

ويقول : (ولا يمكن أن يكتب هذا عاقل فى وعيه الكامل) : لن أكف عن الغرور إلا فى نهاية العمر عندما أقف على شفا الموت وأتلفت ورائى فاكتشف مبلغ حمقى وإضاعتى عمرى هباء وجهدى سدى فى سبيل شهرة أو خلود ، وهذا الكتاب يا سيد عزرائيل أنت بطله فهو منك وإليك حاولت أن أظهرك للبشر على حقيقتك وأن أزيل من أذهانهم تلك الصورة الشوهاء التى يتخيلونك بها » .

بهذه اللغة الرديئة يتحدث مثل يوسف السباعى إلى الملك المكرم ، كيف يستطيع يوسف السباعى الذى لم يقرأ شيئاً من الفقه أو السنة أن يصور ذلك الملك الكريم ، ملك الموت ، الذى يقبض أرواح البشر ؟ وكيف يتصور يوسف السباعى أنه يستطيع أن يصور هذا الملك الكريم على حقيقته من خلال رواية هزيلة ومن خلال سخريات خليعة .

إن جهل يوسف السباعى بمفهوم الموت فى الإسلام وموقف الإسلام من الملائكة هو الذى أورده هذا المورد الخطير ، فهو يحاول أن يصور أمر الموت على أنه خبط عشواء ، « وأن مع (عزرائيل) قائمة وأن فيها طبيباً يموت قبل مريضه ، وعروساً قبل زواجها بينما يجد الشحاذ الضرير لا يزال حياً بلا خوف » .

والواقع أن حكمة ذلك كله لها مفهوم فى تقدير الله تبارك وتعالى عز وجل لا يصل إليه يوسف السباعى إلا إذا فهم حكمة الخلق والوجود والموت ، أما سيدنا عزرائيل فإنه ملك مكلف من قبل ربه تبارك وتعالى وما هكذا يتناول الكتاب أو القصاص مثل هذه الأمور .

وهكذا يمضى يوسف السباعى فى جرأة وسخرية وفساد رأى وعجز عن فهم الأمور ليكتب ، وليكتب بعد ذلك عن كل شىء ، فيفتى فى اللغة وهو يجهل كل شىء عنها كما يفتى فى أمور الخلق والموت دون أن يجد من يقول له : قف عند حدك ، ذلك لأن ظروفاً أخرى جعلت يوسف السباعى فى موضع من صحافة ضعيفة عاجزة عن أن تضع كل كاتب فى موضعه الصحيح .

(٣)

وكذلك نجد (نجيب محفوظ) يسقط فى حلقة الاحتواء التغريبي وتخدم قصصه نفس الأهداف، بل نجد الماركسيين يولونه اهتماماً كبيراً ويرون فى كتاباته خدمة لغاياتهم وفكرهم وتفسيرهم المادى للتاريخ وقد استخدموه فى دعوتهم إلى الإباحية وإلى المفاهيم الهدامة فى الأسرة والفتاة . وعمل المرأة وعلاقتها بالرجل ، وقد كان نجيب محفوظ مهيأ لذلك كله لأنه من خريجى قسم الفلسفة – ثم كان اتصاله بسلامه موسى عاملا هاماً من عوامل تكوينه وقد كانت فكرته عن الألوهية فاسدة وقائمة على مفاهيم الماديين .

ونجيب محفوظ هو الذى « أبرز فى رواياته صورة الرجل الشاك فى كل قيمه المذبذب فى كل فكره الضائع فى كل واد المتحدى لعقيدة الأمة والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعب منها وقد كانت اتجاهاته الثلاثة واضحة فى تطوره القصصى على التوالى : اتجاهه الإلحادى واتجاهه المادى واتجاهه الماركسى الأخير . وهو الذى تقلب فى التبعية للمذاهب الوافدة الغربية والشرقية على السواء فى الرومانسية والواقعية والرمزية المغرقة . حتى فى اتهامه للأزهر بأنه لا يقرأ لأن الأزهر وقف ضد فساده وهو يصور أنبياء الله تلك الصورة السفيهة ، وقد توالت كتاباته واستمرت ووجدت من يدفعها إلى الأمام ويشجعها » وتسارع هيئات السينما لنقلها إلى الناس على أبشع ما يجد الذوق وأردأ ما يكون التقديم وأسوأ ما يجترأ على الأخلاق والفضائل ، بل إن هناك من حاول أن يكتب عن قصص نجيب محفوظ وكأنه من دعاة الإسلام وهو القائل :

« الحق أنى معجب بالماركسية بما تحققه من عدالة اجتماعية ورؤية إنسانية سامية واعتمادها على العلم ولكنى أرفض دكتاتوريتها وفلسفتها المادية »

ولست أدرى أين عدالتها ونحن نرى تجربتها بعد خمسين عاماً وقد أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء ، ولست أدرى أين علميتها وهى تقوم على فروض تغيرت ، وأين عدالة الشيوعية وقد قتلت مئات الألوف غيلة أيام ستالين بواسطة السفاح بريا وهى التى حشدت إلى سيبيريا ألوفاً أخرى بمحاكمات صورية أو بدون محاكمة ، وكيف أن الشعب يعيش على مستوى الكفاف وأن أعضاء الحزب الشيوعى هم الوحيدون المتمتعون من النظام ، هذا إلى مالاقته الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى على يدى الشيوعية مما ينفى وجود أى عدالة أو إنسانية ، فقد كانت أقاليم الأورال واستراخان وسيبيريا والقرم والقوقاز والتركستان أقاليم إسلامية قبل الثورة الشيوعية ولما قامت الثورة واجهها كثير من المحن ، وجه زعماء الشيوعية ومنهم لينين وستالين بياناً موجهاً إلى شعوب روسيا المسلمين طالبين منهم الثورة على الرأسمالية والاستعمار واعدين إياهم بأن تكون حرية عقائدهم وعاداتهم موضع احترام وتقدير ، فأعلنت هذه الأقاليم استقلالها ولكنها رفضت الشيوعية نظاماً لها فلما استتب الأمر للثورة الشيوعية تجاهلت ذلك النداء واقتحم الجيش الأحمر ١٩١٨ فى حروب دامية هذه الأقاليم الإسلامية غدراً وغيلة واستبسل فيها المسلمون دفاعاً عن أوطانهم أيما استبسال .

وقد استمرت الحروب حتى ١٩٦٤ حينما سقطت بلاد الشركس والقوقاز آخر الأقاليم الإسلامية التى أنجبت كثيراً من العلماء كالبخارى والزمخشرى والفارابى وابن سينا ، وكلما سقط إقليم بدأت حرب جديدة من الإبادة والتجويع والنفى والتهجير حتى أن سكان بعض الأقاليم المسلمة هاجروا بأكملهم إلى أقاليم أخرى من الاتحاد السوفيتى ، وأحلت الحكومة الشيوعية محلهم آخرين من الروس والسلاف والأكران ثم هدمت الجوامع وحرق القرآن ومنع تدريس الدين الإسلامى .

إن ما حدث للإسلام والمسلمين لم يحدث مثله لليهودية واليهود .

وما حدث فى الاتحاد السوفيتى حدث مثله فى دول أوربا الشرقية ومع

ملايين المسلمين بل إن البانيا كانت دولة إسلامية وقد حدث بها من تعذيب المسلمين مثلما حدث فى روسيا ومثله حدث فى الصين .

هذه صورة المذهب الشيوعى الذى يحترم العدالة والإنسانية على النحو الذى دعا إليه نجيب محفوظ .

وهكذا سار نجيب محفوظ فى طريق اليسار وعاش مع هذا التيار الذى ظن أنه يرفع من أسهمه وشهرته ، وقد حاول بعد أن سقطت هيبة الشيوعيين فى مجال الإعلام والصحافة والسينما أن يتراجع ويتراجع ولكن بعد أن وصمته هذه الأفكار وقضت على كل محاولة لاستنفاذه . وقد وصفه بعض النقاد بأنه عاش مع صناع الأفكار وابتعاد الروح عن موارد الحق والخير وأن المطالع لرواياته يزداد اقتناعاً بأن الرجل لاشىء ، إذ أنه يمثل الضياع العقائدى كما يمثل الضياع الفكرى أو التبعية للاستعمار الثقافى فى بلادنا .

وقد تابع نجيب محفوظ دكتاتورية الناصرية وكان من المؤيدين لها فلما سقطت هاجمها بعنف وحاول تقليد توفيق الحكيم فى نقد الماضى الذى كان مشتركاً فيه مستغلا لخدمته ، وأن الباحث فى آثار نجيب محفوظ يجد ظاهرتين خطيرتين : الأولى الجنس والثانية الإلحاد .

(أولا) طابع الجنس واضح فى معظم روايات نجيب محفوظ ، شأنه فى ذلك شأن إحسان عبد القدوس ويوسف السباعى ولكنه عند محفوظ أشد خطورة فهو يجعله نتيجة للفقر ، ولا يرى للمرأة إذا جاعت إلا طريقاً واحداً وهو أن تبيع عرضها ، ولا ريب أن هذا الفهم خاطىء من ناحية ولا يمكن تعميمه على كل الناس ، فإن كثيراً من الناس لايبيعون أعراضهم ولو ماتوا من الجوع ، وهو فى هذا الفهم يرسم صورة مادية فردية لايعرفها المجتمع الإسلامى الكريم القائم على الإيمان بالله ، وإنما هى منقولة ومقتبسة ومسروقة من قصص الغرب حيث لا يقيم الناس أى اعتبار للعرض والشرف والكرامة.

ولقد جرى نجيب محفوظ انطلاقاً من مفاهيم المادية والوثنية والإباحية إلى أن يجعل أغلب بطلات قصصه ممن يضغط عليهن الفقر فيلجأن إلى الجنس

أى الدعارة المقنعة ونجيب محفوظ فى هذا الاتجاه يجرى مجرى المتطلعين إلى أن تكون القصة مصدراً للكسب المادى سواء أكانت قصة مقروءة أم مسرحية أم فيلماً سينمائياً فيقول أن الجنس ظاهرة من ظواهر الحياة مثل الحب والزواج والجريمة والعقيدة . وهى عنده ظاهرة تصلح موضوعاً للعمل الفنى وكل ظاهرة عرضة للاستغلال التجارى .

ويدافع نجيب محفوظ عن الجنس فى أدب إحسان عبد القدوس ويراه مرتبطاً بمناقشة التقاليد الجامدة وحرية المرأة وانحلال بعض الطبقات .

ولا ريب أن نجيب محفوظ لم يعرف حقيقة المجتمع الإسلامى وأغواره ، وأن ما يعرفه عنه إنما يتمثل فى بعض النماذج الفاسدة التى اتصل بها ، أما جوهره الحقيقى فهو ليس معروفاً له ، وشأنه فى هذا شأن إحسان عبد القدوس وكلاهما متأثر بالوسط الضيق الذى عاش فيه ، فليس كما يقول أن المنحرفة يرجع انحرافها إلى أسباب اجتماعية ، أو أن المجتمع هو الذى يؤدى إلى انحرافها .

وليس من شك أن المرأة التى تتخذ من البغاء والدعارة المقنعة وسيلة إلى الحياة الطيبة هم قلة قليلة ، وليس أغلب المنحرفات كان الفقر مصدر انحرافهن أو سقوط المرأة بسبب الفقر ، أو أن سبب الانحراف هو سبب اجتماعى هذا كله مفهوم ماركسى ومادى ، وليس صحيحاً على إطلاقه ، وليس صحيحاً بالأولى فى المجتمع الإسلامى ، ويخطىء نجيب محفوظ حين يقول أن أوربا استطاعت حل المشكلة الجنسية بطريقتها الخاصة وهذه الطريقة أن البنت وعمرها ١٦ سنة تلتقى فى حرية تامة مع أى شاب حيث لا مشكلة جنسية ولا مشكلة عفاف ولا بكارة .

وليس هذا الذى يقوله نجيب محفوظ مما يصلح لتطبيقه على مجتمعنا أو أنه حل حقيقى لهذه المشكلة .

والواقع أن كتاب القصة (نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى ويوسف إدريس وغيرهم) هم أقل الكتاب المعاصرين

تجربة فى مجال الدراسات الاجتماعية بل إن آراءهم فى هذا المجال تدل على سذاجة شديدة وعلى فقر كبير ، فهم مع الأسف لم يقرأوا إلا مجموعة من القصص الغربية ثم نقلوها — بعد أن انقضى عهد الترجمة — إلى تآليف عربية حيث أبقوا على القيم والمفاهيم والتقاليد الغربية فى كثير من القضايا التى يختلف حلها فى إطار المجتمع الإسلامى وفى ضوء قيمه ومفاهيمه ، وهذه المفاهيم التى يقدمها نجيب محفوظ فى قصصه المختلفة ، لا تمثل حقيقة هذا المجتمع ولا مشاكله ولا يقدم حلولا حقيقية له ، ولذلك فإن هؤلاء الكتاب عندما يخرجون من دائرة القصة إلى دائرة الكتابة الاجتماعية على النحو الذى عرفناه فى كتاباتهم (من مفكرة الأهرام) ينكشف قصورهم وعجزهم .

وتمثل كتابات نجيب محفوظ فى عبارة جامعة « الضياع » ففى رواياته الشحاذ وثرثرة فوق النيل وميرامار والمرايا يبدو المثقفون وكأنهم كائنات ضائعة هاربة من الواقع فى الحشيش أو الجنس ، وتبدو كذلك شخصيات أنانية إلى حد المرض ، وقد قال (رواياتى تنبع من ماء الهزيمة الآسن) وبطولاته أحد اثنين : أناس لا يعيشون وأناس يحيون بفضل الانحراف والجريمة .

وقد اتهمه لويس عوض فى محاضرة بإحدى الجامعات الأمريكية أنه باع نفسه للناصريين فكرمه النظام الناصرى وكان الثمن هو تشويه ثورة ١٩١٩ وزعيمها سعد زغلول حتى لاتبقى على سطح التاريخ السياسى لمصر فى القرن العشرين سوى ٢٣ يوليو . وقال نجيب محفوظ أنا لم أبع نفسى لأحد ولم يطالبنى أحد بذلك .

سأله أحدهم : أثار الناصريون فى الفترة الأخيرة أنك انضممت إلى توفيق الحكيم واليمين فى مهاجمة جمال عبد الناصر وعصره ومنجزاته فى رواية الكرنك مع أنك نلت فى عصر عبد الناصر أعلى جوائز الدولة وأعلى المناصب الرسمية (درجة نائب وزير) وعشت فى عصر عبد الناصر دون أن يوجه إليك نقد ، فما سر حملتك فى روايتك الكرنك ؟ قال : الكرنك تدين الإرهاب لا المنجزات ، وقد كانت رواياتى كلها نقداً للعصر ، لقد تبين لى أن العهد يبنى بيد ويهدم بالأخرى وأنه سلم مؤسساته إلى أناس بلا كفاءة

ولا خلق ينغمس قادتها فى الترف والثراء ، تنكل بأهل الرأى من مخالفيها تنكيلا وحشياً وتشهر سيف الرعب والإرهاب ، تزج بنفسها فى مغامرات دون اعتبار لقوتها الحقيقية ، وتأتى النتيجة رهيبة فقد هزمنا شر هزيمة فى تاريخنا كله وتركنا بلا آمال ولا كرامة ، وهكذا برر نجيب محفوظ تحوله من تأييد عصر كان فيه من أبرز دعاته .

(ثانياً) طابع الإلحاد ، وهذا الطابع واضح فى مختلف كتابات نجيب محفوظ ويرجع إلى إيمانه بالفلسفات المادية وإعجابه بالماركسية واتصاله بسلامة موسى وقصوره وعجزه عن مطالعة الفكر الإسلامى أو الاتصال به ، ولقد كان من أسوأ بادرات نجيب محفوظ (التهكم) على الله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً حيث يقول :

« فقد أعطانا الله سبحانه أرضاً كثيرة ولكنها فقيرة فى غالبها ، ثم أين مساحة الأرض التى قسمها الله للعرب من مساحة الأرض التى تملكها روسيا » وهذا الكلام يدل على قصور نجيب محفوظ حتى فى معرفة أبعاد وأعماق المنطقة العربية الزاخرة بالثروات والخيرات والواقعة بين القارات الثلاث والتى تمر منها جميع المواصلات الجوية والبرية والبحرية فضلا عن مكانتها الجغرافية الضخمة وحيث هى « الأمة الوسط » التى قامت على كلمة الله الحق والتى كان جندها وسيظل خير أجناد الله وإليها حماية الدعوة والأرض والعقيدة » .

وأين من موقع الأمة الإسلامية موقع روسيا أوغير روسيا ، أليس هذا هو الجهل المركب من المغرورين الذين يتصدرون للزعامات الأدبية .

ويبدو فساد عقيدة نجيب محفوظ ومفاهيمه فى الألوهية فى قصة (أولاد حارتنا) التى تقوم على السخرية بالأنبياء والرسل ودعوة الله الحق والتى استقبلها المستشرقون ودعاة التغريب بالتقدير والإعجاب وكتبوا عنها البحوث الضافية ورفعوا صاحبها إلى أعلى ذرى العبقرية .

وقد حاول نجيب محفوظ فى هذه القصة أن يقول بالرمز كل ما عجز عن قوله صراحة عن مفهوم مادى زائف وعقيدة مضطربة ، ونحن لانستغرب هذا الفهم من نجيب محفوظ الذى هو فى الأساس من تلاميذ سلامة موسى الذى دربه على الفكر المادى وأعده ليكون واحداً من هذه المدرسة التغريبية وغرس فيه مفهوم احتقار الأديان والقيم والاندفاع نحو الفرعونية ثم الماركسية ثم نحو معارضة كل القيم الأساسية لهذه الأمة فى عشرات المواضع من كتاباته وقصصه وفى استعلاء طابع الجنس على رواياته واستهانته بكل القيم والمقدسات وقد احتفلت (أهرام هيكل) برواية أولاد حارتنا وظنوا أنها يمكن أن تمر على الناس بسهولة . فلما اكتشف الناس رموزها وعرفوا أنها تهدف إلى الانتقاص من ذات الله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً علت صيحاتهم فأوقفت الرواية ومنع نشرها ونشرت فى بيروت وصفق لها سهيل إدريس ناشرها واحتفل بدراسات عنها ثم تبين من بعد فساد طريقها وهدفها وأنها حملت حملة شعواء على رسل الله وأنبيائه وأنها أعلت شأن الفكر المادى على الأديان .

وليست شخصيات القصة رموزاً بل هى تحوير لغوى لاغير لأسماء الأنبياء موسى وعيسى ومحمد، ويقال أن القصة مشاركة من نجيب محفوظ فى ذلك الحوار الواسع الذى جرى على المنابر المصرية بتوجيه من جهات مسئولة لتحديد اختبارات فكرية واضحة ، ولعل ذلك فى الوقت الذى كانت تجرى المحاولة فيه بواسطة مراكز القوى على إقناع منظمات الشباب بقبول العقيدة المادية وإنكار وجود الله واحتقار الأديان فكان نجيب محفوظ أداة طيعة فى هذا الاتجاه .

ويرى الكثيرون أن نجيب محفوظ فى قصة (أولاد حارتنا) يفسر التاريخ تفسيراً يتفق مع مفهوم المادية التاريخية وأنه يتجاوز الماركسية ، ويقول المستشرق فرنيس شيتات : إنه من العسير على الكثيرين أن يفصحوا عن المقصود بالجبلاوى وأنهم حين يتحاشون الخوض فى هذه المسألة وجدناهم يتحدثون عن المطلق أو عن الإله .

ويرى المستشرقون أن جاك جويد هو أول من نبه الغرب إلى « أهمية

هذه الرواية عندما قدمها فى محاضرة له فى أمستردام ، وتبين أن كثيرين من المستشرقين أولوها اهتمامهم (ساسون سوفيج) وفايكونيس . وتساءل أحدهم : هل ينكر نجيب محفوظ وجود الله فى قوله أن الميتافيزيقيا تتراجع أمام الضرورات الأرضية ، ويرى الآخرون أن هذا هو أهم مراحل التطور العلمانى فى الكتابات العربية الموالية للتغريب وأن هذه القصة مساهمة طيبة فى هذا المجال .

وقد ووجه نجيب محفوظ بنقد صريح من الباحثين فى مجال القصة والأدب العربى المعاصر فيقول أحمد محمد عبد الله : إن نجيب محفوظ روائى مشهور حاز مرتبة فى هذه الناحية ، نقل للناس كثيراً من الخرافات والأكاذيب وقليلا من الصدق والوضوح ، حتى الوضوح لاتتضح فيه الرؤية تماماً فعلها من الغشاوة ما عليها ، وقد بحثت عن خيال للفضيلة فيما يسطر فوجدت أن الحقيقة ترفس رفساً وأن الفضيلة ما وجدت إلا لينال منها أو يسخر بها ، وعرفت أن الهالة التى تبنى حول هؤلاء إنما هى من قبيل البروز للكاتب والمكتوب معه ، إن نجيب محفوظ يمثل جزءاً من قتامة التفكير فى عالمنا العربى والإسلامى فما كان ينتظر منه وهو الذى نال شهرة واسعة أن يكون قائد الميدان نحو الانحدار ، وما عهدنا رجلا حمل المشعل وسار به إلا وتقاذفه السفهاء من كل جانب ليطفئوا مشعله فلربما سقط وحمل المشعل آخرون والمسيرة باقية ، وأما الذى يرفع صوت الشيطان وصورته فنجد سياجاً من الفوضى والبربرية تحيط به تملأ الدنيا صراخاً وتصفيقاً وتصفيراً .

وقد برز نجيب محفوظ فى رواياته بصورة الرجل الشاك فى كل قيمه ، المتذبذب فى كل فكره ، الضائع فى كل واد ، المتحدى لعقيدة الأمة ، والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعب منها حتى يطفح فيفيض ما عليه على غيره وينتكس بعد ذلك إلى غيره » .

(٤)

أفسحت الصحافة العربية لإحسان عبد القدوس مكاناً واسعاً عريضاً على مدى أكثر من ثلاثين سنة كسب خلالها شهرة واسعة ومالا وفيراً وصفه فى فترة قريبة (٦٠٠ قصة قصيرة أو طويلة ، ١٩ رواية ، ٤ قصص للسينما ، ٤٦ فيلماً ، بستان عشرون فداناً فى الهرم فواكه ، خمسة آلاف جنيه فى العام من الصحافة) هذا غير ما كسبه من الأفلام والقصص وهو كثير جداً فوق ما يتصور الجميع .

وبالرغم من أن إحسان عبد القدوس الآن (١٩٨٠) على أبواب الستين من العمر فإنه ما زال ممعناً فى ذلك الطريق المظلم الأسود الذى شقه لنفسه منذ مطالع شبابه وما زال مدافعاً عن أدب الفراش الذى يكتبه بدعوى أنه أدب واقعى وبأنه محب لحرية المرأة مدافع عن حقها فى الجنس والانطلاق وراء الأهواء ، ولقد كانت قصصه مصدر فساد كبير واضطراب عميق فى نفوس جيل كامل من الفتيات اللاتى انسقن وراء الصور التى ساقها عن المرأة المنحرفة والتى حاول فيها أن يجعل المرأة المنحرفة ظاهرة طبيعية فى المجتمع أو أن يصبح المجتمع متقبلا لهذا الانحراف نتيجة إقناعه بهذا المفهوم المسموم فى محاولة خطيرة لتغيير أعراف هذا المجتمع الإسلامى الأصيل الفهم لمعنى العرض والبكارة والعفاف مهما طغت مظاهر الحياة المادية عليه ، وآية هزيمة فلسفة إحسان عبد القدوس هذا التيار الإسلامى الجديد للمرأة الذى يرفض هذه المفاهيم المنحرفة التى نقلها إحسان عبد القدوس لا عن سارتر وألبيرتو مورافيا وكامى وحدهم لكن عن طريق فرانسو ساجان وسيمون دى بوفوار حينما تقمص شخصية المرأة فى كتاباته ، ولعله مما يزعج حقيقة أن يؤلف كاتب رجل قصة يطلق عليها (ونسيت أنى امرأة) .

ويرجع اتجاه إحسان عبد القدوس فى هذه الجرأة على الحرمات والقيم

وتصوير ما وراء غرف النوم وكتابة ذلك اللون الذى عرف به والذى وصمه الأستاذ العقاد بذلك الاسم الشهير بأنه أدب الفراش بالرغم من علاقة مدعاة بين إحسان عبد القدوس والعقاد ، وقد وصفه يحيي حقى بحق حين قال : « لا عجب إن كانت ألفاظه كبالونات المراقص المتواثبة أمام عينك فكيف تريد منها أن تستقر على الورق ، الويل له إن كان فتى يافعاً أو فتاة فى مقتبل الصبا فإن السحر يصبح نوعاً من التخدير كبقية المكيفات لا يخلو من خطر » .

ولعل أبلغ وصف ما وصفه به أحد المسئولين حين قال له فى مؤتمر صحفى : إننى لا أدخل صباح الخير إلى بيتى وأمنع بناتى من قراءتها .

قال إحسان عبد القدوس فى حديث إلى راجى عنايت كاشفاً عن خلفيات قصصه : أنا (أمينة) فى قصة (أنا حرة) .

وقد أدهشنى دهشة الناس من تصورى لعواطف النساء بدقة وتنوع . وسؤالهم لى عن وسيلتى لدراسة هذه العواطف ، وقد فكرت فى هذا الموضوع طويلا ووصلت إلى نظرية وهى أن عواطف الرجل هى عواطف المرأة ولكن الاختلاف فقط يكون فى التصرف والنزوع .

وهذا المفهوم الذى يقوله إحسان عبد القدوس لا يصدق على مفاهيم التحليل النفسى الصحيح للمرأة وللرجل وللفوارق العميقة بينهما والتى تتصل بالتركيب البيولوجى المختلف والعميق الاختلاف بينهما إلا أن يكون للرجل الذى عاش فى بيئة النساء زمناً طويلا من القدرة على تصوير عواطف المرأة .

ونحن إذا راجعنا قصص إحسان عبد القدوس لم نجد تحليلا لمشاعر المرأة وإنما وجدنا تصويراً جنسياً صارخاً أشبه بصيحات مراهق كبير محروم . ونماذج المرأة فى قصصه لا تعطى صورة المجتمع الإسلامى العربى المصرى أبداً . فالبطلة فى النظارة السوداء من سلالة أجنبية ، وفى (راقصة فى إجازة) نموذج لراقصة أجنبية حلت بمصر ، وهناك فتاة نشأت شاذة منحرفة ،

وامرأة خلابة لعوب صاحبها يمسك فى يده كأس خمر طول مدة السهر ، متهوراً إلى حد الوقاحة متحللا من كل قيد .

يقول أحمد حسين الطماوى : من يتأمل معظم قصص إحسان التى أدارها على لسان أبطاله يجد أنها جاءت مناسبة لتفكير المراهقين ، محركة لغرائزهم ، يقبلون عليها إذ فيها ما يثير حواسهم وما يجعل شهواتهم تتراكض مستشرية فى نفوسهم ، والصور الوصفية التى يعرضها لا يمكن أن تكون تصويراً اجتماعياً. فمثلا يصف أمينة « وقد ألقت بجسدها فوق جسد شاب وتركت خصلات شعرها تدغدغ وجهه وتملأ أنفه بعبير أنوثتها ثم أحست بكفه تتحرك فوق ظهرها وتتردد بين كتفيها كأنه كف أعمى يبحث عن باب الدخول» هذا فى (أنا حرة) وفى (الطريق المسدود) يقول : قررت أن تكون سافلة ومنحطة وأخلاقها زفت علشان الطريق ينفتح قدامها . فهل هذه الأوصاف تعبر عن الحياة الاجتماعية وهل من الحكمة أن يكون الانحلال واستطلاع أخبار البغاء ورصد الشذوذ هى أفضل الموضوعات لدراسة المجتمع . إننا لا نطالب من الكاتب أن يلغى مفعول الغرائز ولكنه يجب أن يعمل على تهذيبها وصقلها ويعبر عنها بطريقة لا ينفعل القارىء بها انفعالا شهوانياً ، بل يحس بتأثيرها الوبيل عليه لو انغمس فيها ، وفى هذه الحالة نجا منها وهو يعرفها ويتجنب الوقوع فى حمأتها ما استطاع . « كذلك فإن تصويره للشخصيات فيه مغالطة كبيرة وافتراء على الواقع فالأم تأخذ بيد بنتها لتسلمها للضياع وتساوم الرجال عليها وكأنها قوادة (قصة : أنف وثلاث عيون) وهذا أبشع تصوير للأم والزوجة تقف فى جنازة زوجها وتمسك بعلبة البودرة (الطريق المسدود) والطبيب يدمن المخدرات ويقنع الناس بفائدتها وكأنها روشتة من الطبيب إلى المريض لكى (يروق دماغه) والزوجة حينما تختلى بزوجها تتحمله فوق صدرها وهى تحسب الثوانى ليقوم عنها (أين عمرى) .

« هذه هى شخوص إحسان عبد القدوس وهى شخصيات منحرفة عن الواقع » .

« إن شخصيات الرواية لا تريد ولكنها منقادة تعمل لإرادة المؤلف

فيها ، والقصاص هو المتحكم فى سلوك أبطاله ومصائرهم وأنه من مهام الكاتب تحليل المشاعر ومعرفة أعماق الوجدان وتصوير النفس وتحرى أسرارها وإماطة اللثام عن مستدق أحوالها ووزن أفعالها ، فتكون القصة بعد ذلك دراسة للنفس ونزاعها مع ما يحيط بها ونزوعها إلى ما تريد من خير وضير ».

وعندما لا يستطيع ذلك يترك عالم النفس والخاطر إلى دنيا الشهوة والغرائز ومواخير البغاء حيث الحياة الملوثة المريعة :

« ويشهد إحسان فى رسالة عن بلزاك الذى كان يكتب قصصاً أشد صراحة من قصصه ، هذا أحد كتاب الغرب ، إن قصص إحسان بما فيها من إثارة جنسية تصبح والحالة هذه لا عمل لها إلا إلانة الهمم الغلابة والنيل من أخلاق المجتمع ، هذه الحرية الجنسية التى منحها إحسان لأبطاله قد وجدت من يعتنقها من نساء المجتمع ورجاله ، ومن ذلك ما تنشرته نوال السعداوى التى تطالب بالتحرر الجنسى » .

* * *

(٢)

ولكن ما هو موقف إحسان من الاتهامات التي توجه إليه :

يقول : إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود ، وربما كان أحد دوافعه الأساسية في البداية مستمداً من إيماني بتفرد تجربة أمي (فاطمة اليوسف) هذه السيدة التي أثبتت وجودها في عالم الرجال ونجحت في فرض نفسها عليهم وحققت مالم يستطع كثير من الرجال أن يحققوه .

ولا شك أن الأستاذ إحسان ليس مستوعباً لأبعاد هذا المعنى وحقيقته ، فالسيدة فاطمة اليوسف كانت ممثلة شهيرة كان لها في مجال المسرح خصوم وصداقات ، وقد رأت يوماً أن تحارب خصومها بأن تخرج مجلة تهاجم فيها هؤلاء الأعداء بسلاح الصحافة ، هذا كان هو الهدف الأول ، ولكن المجلة تغير اتجاهها بعد أن رغب حزب الوفد في أن يتخذ منها منبراً سياسياً عن طريق أسلوب الكاريكاتير في مواجهة مجلة الكشكول التي كانت تصلى حزب الوفد نقداً شديداً ، ولم تكن السيدة روز اليوسف كاتبة أو صحفية في الحقيقة ، وما نسب إليها من مقالات أو مذكرات فإنما هو بقلم بعض أتباعها وتلاميذها ، وهو يحوى وجهة نظرها إلى الأمور ولكنه ليس بقلمها .

ولذلك فإن ما يذكره إحسان عبد القدوس في هذا المجال في حاجة إلى مراجعة ، ولابد أنه كان للسيدة فاطمة اليوسف دور ودور خطير في حياة ابنها إحسان : يقول تحت عنوان « أمي » :

أن أمي لا تريد أن تنسى أنها تعبت في حملي تسعة أشهر فتطالبني بالتكفير عن هذه الشهور التسعة طوال حياتي . كنت مقتنعاً بأن أمي تعاملني معاملة فراخ التقفيصة تطعمني ما شاءت وتذبحني إذا أرادت مع اعتقادها أن (لبكي) الكلب أشد إخلاصاً لها مني .

ومع اعتقادى هذا نتيجة وقائع وظروف أحاطت بى فقد تفتح وعيي فإذا بى بين يدى أم ليست ككل الأمهات . أم ليس لها نعومة السيدات ولا ضعفهن نحو أبنائهن ولا يستقيم مع أخلاقها تدليل الأطفال ومناغاتهم ، بل كانت أماً طاغية طغيان مارد ، عنيدة عناد جبار .

ولا شك أنها سهرت بى الليالى كما سهرت كل أم ، ولكن كل ذلك حدث قبل أن أعي وقبل أن يتنبه إحساسى ، وإنما تفتح وعيي وتنبه إحساسى فإذا بأمى هى السيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة روز اليوسف الأسبوعية ثم اليومية ، وإذا بها تخاصم حكومات وتناضل زعماء وأحزاباً وإذا بها تستدعى إلى النيابات ويحقق معها كل يوم ثم تسجن فى إحدى المرات .

وأحسست بالجفاف الروحى وسط هذا الجو الذى أعيش فيه . ولم أكن أرى أمى إلا ساعة الغداء ، وكان يحز فى قلبى أن أرى طفلا تلاعبه أمه فى حديقة أو تسحبه من يده أو تضمه إلى صدرها ، ومن حق أمى على أن أذكر أن عملها لم يفقدها حنان الأم فقد كانت تعود فى المساء فتجلس إلى جانب سريرى لتطمئن إلى ، وربما كانت ساعتها تناغينى وتقبلنى ولكنى فى هذه الساعة أكون نائماً . وقد أرادت أمى أن تخلق منى صحفياً بنفس الطريقة التى خلقت بها صحيفتها . فعينتنى محرراً فى مجلتها وخصصت لى راتباً شهرياً ينقطع إذا انقطعت عن التحرير ، فإذا حاولت أن أعاملها كأم ناسياً أنها رئيسة تحرير ، أوقفتنى نظراتها الغاضبة عند حدى ، وأخيراً تغلب ما أرادته وأصبحت علاقتى معها لاتتعدى علاقة رئيسة تحرير بأحد المحررين .

والسيدة والدتى عنيدة فى عملها عناداً أحس به كل من عمل معها أو اتصل بها . وكان على أن أنفذ أوامرها بلا مناقشة وأعتنق آراءها بلا محاولة ولكن من سوء حظى أننى ورثت عنها كل هذا العناد فكنا إذا اختلفنا فى الرأى اصطدمنا . لم تكن تلين أبداً أو ترحم أعصاب ابنها البكر الوحيد ، بل كانت دائماً طاغية جبارة ولم تقابلنى أبداً كأم إلا مرة واحدة عندما تذكرت أن من حقوق الأم أن تضرب ابنها علقة فضربتنى علقة .

وبلغت مصادماتنا حداً وصل إلى طردى من تحرير المجلة عدة مرات .

هكذا يصور إحسان عبد القدوس علاقته بأمه ، وهى علاقة مضطربة غريبة ولا شك أن اتجاه إحسان إلى هذه الكتابات المثيرة التى يريد بها أن تحدث الدوى هى نتيجة ذلك « الاضطهاد » الذى عاشه فى حياته الأولى ، التى شكلت عواطفه ومشاعره واتجاهاته كلها ، ولقد كانت الصحافة لإحسان عبد القدوس حرفة ومورد رزق ولم يكن مورد الرزق الصحفى فى هــذه الفترة إلا أحد عملين : الكتابة السياسية الحزبية التى تؤيد بها حزب ضد حزب وهذا ما كانت تقوم عليه مجلة روز اليوسف وكان صراعها أنها كانت فى صف أحزاب الأقلية التى كانت لا تصل إلى الحكم إلا عن طريق الدكتاتورية التى يشكلها القصر مع الاستعمار ، وهناك كتابة القصة وهى مصدر توزيع خطير وقد كتب (محمد إحسان عبد القدوس) فى أول أيامه فى السياسة ثم فضل أخيراً أن يقدم لمجلة روز اليوسف مصدراً ضخماً من التوزيع وهو القصة الجنسية المكشوفة التى رفعت من توزيع المجلة أضعافاً مضاعفة ، ولم يكن إحسان عبد القدوس يقدم قصصه فى غلاف سياسى أو وطنى إلا ليخدع الناس وليفتح الطريق للفكرة المسمومة فى مجال القصة وهى الكشف والإباحية ولذلك فإن إحسان عبد القدوس يكذب حين يقول :

« أنا لست محترفاً ، أنا من الهــواة »

ذلك أن كتابات إحسان عبد القدوس كلها توحى بإشاعة روح الفن كما يفهمه دعاة التغريب ، جنساً خالصاً ، وهوى متبعاً ، ممـا جعل كاتباً مثل صبرى حافظ يقول : هذا (. . .) الذى أغرق كتاباته فى طوفان اللحظة الشبقية ممـا جعله ينجح تماماً فى دس أغلب كتبه تحت وسائد المراهقات رغم ضخامة حجم هذه الكتب وغلاء ثمنها غير المبررين » .

ولقد حرص إحسان عبد القدوس فترة طويلة على كتابه خواطر فنية يوجه فيها الراقصات والمغنيات ليصور لهم أصول الفن وقداسته ويقول لهم هذا عيب وهذا واجب وعلى الفتاة فلانة أن تخس كذا كيلو حتى يتلاءم جسدها مع دورها الذى تمثله ، ولا يعقل أن تظهر البطلة بثلاثة فساتين فقط فى مسرحية ولا تبدو فى الصباح بثوب نسائى مجرجر . . إلى مثل هذه الكتابات التى تدل على استبطان عجيب لأساليب المخرجين .

(٣)

ولا ريب أن إحسان عبد القدوس قد دخل فى السنوات الأخيرة مرحلة أشد خطورة بقصصه فى جريدة الأهرام منذ سنة ١٩٧٤ ذلك أنه كان فى الماضى يعايش القصة ويحاول أن يجعل من الخطيئة ظاهرة أساسية فى مجتمع أبطاله ، فهم جميعاً منحرفون تدفعهم أهواؤهم وشهواتهم وملاذهم ولم يكن المجتمع فى حقيقته كذلك ولكنه كان يريد أن يفرض حالة (خاصة) ليجعلها ظاهرة عامة وأن يجعل من التجربة والظروف والخلفيات الفردية منطلقاً لصورة عامة ، ولم يكن فى هذا الأمر إلا جريئاً على أصول الدراسات الاجتماعية وسنن الأمم والجماعات منكراً لأصالة المجتمع الإسلامى الذى يتميز فى مجموعه بالعفة والطهر والخلق والحرص على العرض والبكارة والبعد عن الاغتصاب ، ما عدا بعض حالات ليست أصيلة وليست من شيم المسلمين وأخلاق العرب ، وإنما دخلت عليهم من الأمم الأخرى والنحل التى حاولت أن تنصهر فى مجتمع الإسلام فحملت معها أوشابها وخطاياها وتواريثها إذ لم يستطع الإسلام بعد أن يطهرها وينقيها ويدفعها إلى البحر الواسع بأمواجه الطاهرة فبقيت على حفافى الجداول أما الموجه الجديدة فى قصص وكتابات إحسان عبد القدوس فهو يحاول أن ينقل من الحياة صورة حية للخطيئة ، فهى لم تعد قصة فى مجال الخيال والبناء الفنى وإنما هى أشبه بواقع منتزع من الحياة نفسها ، فكل الذين يكتب عنهم يدعى أنه قابلهم فعلا ودخل معهم فى تجربة « المطاردة والاغتصاب » هذه الطبيبة الإنجليزية التى قدمت جسدها للعبد الأسود الأفريقى ، أو تلك المهاجرة من بور سعيد إلى القاهرة أو تلك الفتاة البدوية التى كانت طالبة داخلية فى أحد معاهد العاصمة العربية .

كل هؤلاء نماذج جديدة حية من الرجال والنساء يلغون فى الخطيئة — تلك الظاهرة التى يراها إحسان عبد القدوس طبيعية فى المجتمع العربى وفى

كل المجتمعات البشرية ويعجب كيف يدسونها أو يكتمونها ، وأن ظاهرة المرأة الخاطئة وظاهرة الخمر ، وظاهرة تقديم الجسد عن رضى لأى رجل لم تعد فى تقدير إحسان عبد القدوس بالأمر الذى يستلفت النظر ، وكأنه يريد أن يقرر ظاهرة جديدة فى المجتمع العربى : هو انتهاء طابع الغيرة ، والحفاظ على العرض من هذا المجتمع الإسلامى الأصيل وبروز بادرة الرغبة والشهوة من المرأة إلى الرجل ، ونحن نرى أن هذا ليس طابع المجتمع العربى والإسلامى فى الحقيقة ، فما تزال المرأة متصونة ومتعززة ومطلوبة ولم تصل إلى مثل هذا الانحراف الذى يعرفه المجتمع الغربى الذى ينقل منه هذه القصص بعواطفها وأحداثها وتحدياتها . وما يوجد لدينا من انحراف إنما يتمثل فى نماذج قليلة من بنت نبت من أمهات منحرفات أو لسن مسلمات على الأصح .

إنما يحاول إحسان عبد القدوس وطائفة من الكتاب اليوم فى إصرار عجيب على تقديم صور الجنس وقصصه وأحاديثه ومع كوكبة من أمثال لويس عوض ونجيب محفوظ ومصطفى أمين ويوسف إدريس فى نفس الوقت الذى أخذت فيه ظاهرة المرأة المسلمة المحتشمة تبدو واضحة فى كل مكان على أنها واقع أصيل يصفع الدعاة إلى الشهوات والآثام . وقد علقت مجلة المجتمع الكويتية فى عددها (١٨ - ١ - ١٩٧٧) على قصة إحسان عبد القدوس (خذنى من هذا البرميل) فقالت :

إحسان عبد القدوس أحد المسئولين عن إفساد هذا الجيل بما كتبه من روايات تجر الشباب جراً إلى القاع .، وتقتل فيهم نوازع السمو والسعى نحو مستوى خلقى أفضل ، إنه يرضى مظاهر واتجاهات الانحراف فيشجعها ويمجدها ويفلسفها ويرصد اتجاهات الاستقامة والفضيلة فيخذلها ويصد عنها ويحاربها . ولقد فسر بعض المفكرين هذا السلوك الذى يضيق بالطهر ويفرح بالانحطاط فاكتشف أن هذا الشخص ينطلق من عقدة خاصة تدفعه إلى تلويث المجتمع كله بالرذيلة وأنه يمضى فى طريقه تحت شعار : لنسقط متحدين . وفى جريدة الأهرام نشر كاتب الرذيلة قصة من ثلاث حلقات عنوانها : أرجوك خذنى من هذا البرميل .

والقصة عن امرأة من الكويت صورها مختنقة فى برميل من البترول وتريد الخروج منه ، وفى الحوار الجاهلى الطويل حول الخروج من البرميل والبحث عن حواجز . بثما يريد بثه من أفكار السقوط والجرائم الأخلاقية. وفى الحوار أيضاً لجأ إلى أسلوب التعميم فجعل الكل يبحث عن حواجز ويعمم الأحكام حين يقول عن بطل القصة على لسانها : إنه كان رجلاً من الكويت يستأجر كل ليلة امرأة دون أن يحس بأنه يخون زوجته .

وفى ثنايا الحوار نقمة على الكويت كله ، ونحن كما ندين كتابات هذا الشخص الرامية إلى إفساد المجتمع المصرى ندين قصته هذه ولا ننكر أن فى المجتمعات انحرافات لكن هذا شيء والرغبة فى الإفساد تعبيراً عن عقد مرضية وأحقاد مهتاجة شيء آخر . إن القصة هجوم سياسى صيغ فى أسلوب فنى».

وكذلك هناك قصة إحسان عبد القدوس التى يقول على لسان بطلها عندما أراد أن يتزوج عشيقته اليهودية : « أنت تستطيع أن تتزوج دون أن تغير دينك . إنها أنانية الإسلام . البنت المسلمة لا تستطيع أن تتزوج غير المسلم ولكن الرجل المسلم يستطيع أن يتزوج من كل الأديان » .

والحقيقة أن هذا الكلام تشويه للإسلام لأن الشريعة الإسلامية هى خير الشرائع عامة وفى النواحى الاجتماعية خاصة وقد أسلم كثيرون لفك قيدهم الاجتماعى من الأديان الأخرى .

والإسلام حينما ينادى بأنه لا زواج للمسلمة من غير المسلم فلذلك حكمة عظيمة وهى ألا تمتهن المرأة المسلمة ولا يكون لغير المسلم عليها ولاية وحتى لا ترتد يوماً عن دينها وحتى لا يخرج أبناؤها على دين أبيهم اليهودى أو المسيحى ، أما أن يتزوج المسلم من الكتابية فإن الرجال قوامون على النساء وباستطاعة الرجل أن يؤثر على زوجته فتتبع دين الإسلام مثله أو على الأقل ينضم الأبناء لدين أبيهم وهو الإسلام والواجب أن نظهر للناس هذه المعانى لخير الأديان بدلا من تشويه صورته التى يحولها بعض ذوى الأغراض إلى طعنات قاتلة للنيل من ديننا .

وفى ضوء مفاهيم إحسان عبد القدوس المنقولة من كتاب الجنس الغربيين والتى تعتمد أساساً على مفاهيم فرويد الزائفة التى كشفت الأبحاث الميدانية والعلمية عن ضلالها ينطلق إلى مفاهيم غاية فى الفساد والاضطراب ومن ذلك أن الموت راحة وأن الانتحار ليس جبناً أو هروباً ، أو كما يقول : إنه عندى إقرار بالشبع وبأنك لم تعد تحتاج من الدنيا أكثر من ذلك ولا أطول .

وليس أدل على فساد عقلية إحسان عبد القدوس من مثل هذا القول الذى يضاف إلى دعواه العريضة بأنه بقصصه يعلم الفتاة ويجعلها أكثر قوة على مواجهة الحياة ، ومتى كان تضليل المرأة عن مهمتها وعن حق الله عليها وعن الطهارة والعفة هو توجيه لها لتكون أكثر قدرة على مواجهة الحياة .

فإذا أضفنا إلى هذا أن مجلة روز اليوسف فى خلال رئاسة إحسان عبد القدوس قد روجت لكثير من الدعوات الهدامة ومنها العلمانية والبهائية والإباحية . وآية ذلك ما نشرته روز اليوسف (١٧ سبتمبر ١٩٥٦) يتحدث عن أن عدداً كبيراً من المؤمنين بالدين البهائى ولكنهم لا يعلنون عن إيمانهم مكتفين باتباع التعاليم فى السر ، وكل ما نعرفه أن بمصر والسودان خمسة عشر محفلا ، ويقول المقال : لكى تكون بهائياً يجب أن تؤمن بموسى وعيسى ومحمد ، وبالتوراة والإنجيل والقرآن ثم ببهاء الله وكتابه الأقدس ... إلخ .

بل إن إحسان عبد القدوس عندما « يسرق » من استيفان ذى فايج يصل إلى أبعد منه جرأة وإباحية ، يقول الدكتور مندور أن زفايج تصد فى قصة السر المحرم إلى إظهار هذه الغيرة الاجتماعية على الشرف ولا أدل على ذلك من أن زفايج قد جعل الطفل يرفض أن يبوح لأبيه بسقوط أمه وجريمتها المخلة بالشرف . أما إحسان فقد اكتفى باستيحاء الإطار العام للقصة والذى راقه كان فيما يبدو هو استسلام الزوجة للذة الآثمة أكثر من معنى الشرف عند الطفل الصغير . وذلك بدليل أن الطفل فى قصة إحسان قد اكتشف بسرعة سقوط أمه وهنا كان الواجب أن تثوب الأم إلى رشدها ولكنا نراها مع ذلك — على يد إحسان — تعود فتلتقى بعشيقها فى الأحراش وتستسلم له مرة ثانية ، وهذا هو أسلوب التوغل فى المسائل الجنسية .

(٤)

ويكشف يوسف إدريس عن هويته واضحة تجاه الأدب العربي كله حتى يدعو إلى نبذ التراث العربي كله وإلقائه في البحر أو إحراقه حيث يقول في مجلة البلاغ الأردنية أن تراثنا تحريفات وزخرفات لغوية وأن التراث سخيف وليس فيه شيء للقراءة .

ويقول : أنا قرأت عشرات من كتب التراث ولم أع منها فكرة واحدة باستثناء بعض الكتاب أمثال الغزالي وابن رشد ، ولذلك يجب أن تحرق كتب التراث كلها .

والواقع أن أكثر الناس جهلا هم أجرأ الناس على الاتهام . ومن جهل شيئاً عاداه ، والواقع أن يوسف إدريس لم يقرأ شيئاً من التراث لأنه ليس له أرضية أساسية لمثل هذا . فهو قد شكل نفسه على قراءة بعض القصص الأدبية الماجنة والإباحية ومنها استمد مفاهيمه ثم عرف الفكر الماركسي فخلق ذلك كله في نفسه العداء للفكر الإسلامي الذي لم يعرفه وإن كان قد ذكر اسم الغزالي وابن رشد فلكي يعلي من شأن نفسه ، وإلا فأين ابن تيمية وابن حزم ، وابن القيم والشافعي ومالك وأبو حنيفة والجاحظ وعشرات من رواد التراث الأعلام . الواقع أن هذه صيحة عداء وخصومة للفكر الإسلامي يحملها كاتب ماركسي يساري لم يكن شيئاً حتى أعطاه الدكتور طه حسين صك الشهرة والظهور وهو من أصحاب الأفكار الإباحية التي يروجها سارتر وكامي وكافكا وكل المنحرفين وليس إلا واحداً من هؤلاء الذين ظهروا خلال فترة المد الماركسي في العالم العربي وهو نبت هش لا جذور له ، ولا قيمة له ، ولا وزن له في ميزان القصة أو النقد .

وما نعرف كاتباً يحترم نفسه يهاجم تراث أمته على هذا النحو إلا إذا كان متعصباً ضد هذه الأمة ، كارهاً لفكرها ، خادماً لأهداف أعدائها ، بل إنه لا يمكن لكاتب يقدر مكانته فى أمته ويكتب بلغتها يقول مثل هذا القول ، بل إن أعتى المستشرقين غلواً وأكثرهم تعصباً وأشدهم كراهة للإسلام والقرآن واللغة العربية لم يصرح بمثل هذه العبارة وإن كان يستبطنها فى أعماقه ، وهذا يدل على الحمق ، وعلى أن الكاتب قد باع نفسه ولم يعد له سهم واحد من المكانة فى أمته ، ذلك لأن التراث الإسلامى قد اعترف بمكانته أشد أعدائه عداوة له ، بعد أن تكشف مدى الأثر الضخم الذى تركه فى الفكر الغربى والفكر العالمى سواء فى مجال التقنية والعلم أم فى مجال العلوم الاجتماعية أم فى مجال القانون والتشريع باعتراف عشرات من أعلام الغرب المتخصصين ، مما يصفع يوسف إدريس ويثبت تبعيته وتعصبه وحقده على الفكر الإسلامى الأصيل .

وهكذا يكشف كتاب القصة عن حقيقة واضحة هى أنهم أعجز الناس عن التفكير فى أفق المجتمع الإسلامى أو دراسة قضاياه لأنهم يعيشون فى أعماق القصص الغربى وقضاياه كما تعيش الأسماك فى أعماق المحيطات .

وذلك من تفاهة الصحافة العربية التى تحاول أن تفرض على القصاصين والممثلين والراقصين أن يقولوا رأيهم فى قضايا المجتمع ، ماذا يقول هؤلاء للناس وهم ينظرون إلى الحياة من جانب الطراوة والرخاوة والاستهانة بالقيم واستنقاص الجد والبحث عن الدعابة والفكاهة .

وبعد فهل يمكن لكاتب القصة أن يكون كاتباً اجتماعياً على النحو الذى ترى الصحافة وقد استخدمت فيه نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعى . لا ريب أن هذا التركيب الثقافى الخيالى القائم على الأرضية الواهمة الخيالية التى كونتها مدرسة القصة الأجنبية بأساطيرها وأوهامها وخيالاتها ومفاهيمها ، وما يتصل بها من نظرة للمجتمع لا تقوم على العقيدة ولا تؤمن بالأخلاق ولا تحنو على الفضائل ويمكن أن تسخر من كل شىء

وتعمل على إبراز الجوانب المثيرة والخاطفة والإباحية فى المجتمع . وغلبة طابع التطلعات المكشوفة ، هذا التكوين الذى عرفه هؤلاء القصاص كيف يمكنهم من أن يكونوا قادة فى الفكر السياسى أو الاجتماعى ، لقد كانت عملية الكتابة السياسية فى بعض الظروف « تكأة » أو حجاباً أو ستاراً يستترون به باسم الوطنية ليمكنهم من إذاعة الجوانب المريضة والمنحلة فى قصصهم ، ولذلك دخلت السياسة إلى القصة للخداع والتمويه . وقصص نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعى السياسية والوطنية كانت تحاول أن تحمل طابع الحماس الوطنى لتغطية الفساد الاجتماعى المبطن الذى تهدف إلى تقديمه للقارئ من خلال هذه الهالة الوطنية الكاذبة .

الباب السادس

الصحافة وتغريب المجتمع

أولاً: الصحافة وتغريب المجتمع

ثانياً: كتاب التغريب

الفصل الأول

الصحافة وتغريب المجتمع

كان من نتائج العمل الخطير الذى قامت به الصحافة أن تشكلت مدرسة تؤمن بهذه المفاهيم وقامت طبقة من الصحفيين المحترفين الباحثين عن التوافه والجرائم والإثارة ، وقد زحفت هذه الطبقة إلى صحف البلاد العربية تحمل هذه المفاهيم المسمومة وتستأجر نفسها لهذا الأسلوب التغريبي المدمر القائم على الإغراء والإباحية والبحث عن التفاهات والغرائب .

فقد ظهرت فى مختلف البلاد العربية مجلات تتولى تحت ستار الفن وأهله تمييع الخلق الإسلامي وتذويب الشخصية الإسلامية وضرب كل القيم وهى مجالات جنسية وإباحية تعمل على الفتك بأخلاق الشباب والشابات من المسلمين وإغرائهم بالتحلل وتزين لهم المعاصي والرذائل من كل لون .

وقد وقعت مجموعة جريدة الأهرام (هيكل ، لويس عوض ، توفيق الحكيم ، حسين فوزى ، نجيب محفوظ ، أحمد بهاء) فى هذه المرحلة فى مواجهة الدعوة لاتخاذ الإسلام أساساً لقيام نهضة حضارية عصرية فى البلاد العربية تكون هى منطلق نداءات الوحدة والتضامن . مع بروز الطابع اليسارى الماركسى العلمانى الذى كشفته الندوات ورفض التيار المطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وجعلها أساساً لقيام مفهوم جامع للأمة العربية الماركسية والرأسمالية على أى انتماء أصيل ، وكانت روح الحقد والكراهية للإسلام واضحة فى مختلف الكتابات فضلا عن محاربتهم للمجلات الإسلامية والعربية والدعوة إلى إيقافها (الرسالة والثقافة) .

وكان طابع العمل الصحفى واضحاً فى عبارات محددة كتبها أحمد بهاء الدين كأنما هى دستور للصحافة العربية فى هذه المرحلة .

قال أحمد بهاء الدين : لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية فى أيامنا مواجهة شجاعة بعيداً عن اللف والدوران ، وإن الإسلام كغيره من الأديان يتضمن قيماً خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير ، أما ماجاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل ومن باب تنظيم حياة نزلت فى مجتمع بدائى إلى حد كبير ومن ثم فهى لا تلزم عصرنا ومجتمعنا » .

وكانت هذه صيحة تلك المرحلة والعلامة البارزة التى سبقتها النكبة ولحقتها النكسة ، وهى ليست صيحة دعاة الحضارة الغربية ولا الاستعمار وإنما هى كلمة كل أعداء هذه الأمة ، ماركسيين وصهيونيين وغربيين ، ذلك القول المردود بكل دليل ، القول الباطل بأن الإسلام لا علاقة له بحياة المجتمع ولا تنظيمه ولا دخل له فى التشريع ولا فى الأحكام ، والعمل على إبعاد القرآن والسنة وكل ما جاء به الرسول من عند الله عن حياتنا الاجتماعية والسياسية على أن يبقى فقط وازعاً خلقياً ، وهذا ما يسمى بتمسيح الإسلام ، وهى صيحة كرومر وطه حسين وماركس وسارتر وكل أعداء الإسلام .

ولقد كان الماركسيون جميعاً يحملون هذه الدعوى ، ويعتقدون أن ماركسيتهم هى وحدها علاج المجتمعات الإسلامية فإذا بهم داؤها وشرها ، وعلى أيديهم وفى ظل نفوذهم جاءت الضربة القاصمة للأمة العربية فى نكسة ١٩٦٧ ، ومن الطبيعى أن تكون دعوتهم إلى إبعاد الإسلام لتحل محله الماركسية ولما وجدوا الهزيمة فى دعواهم تراجعوا فطالبوا المصالحة بين الإسلام والماركسية ، من حيث يرون أن الإسلام دين لاهوتى يقوم على مسألة وازع الضمير ، وتجعل للماركسية وظيفة الحياة وتنظيماتها ، وكان هذا من الأهواء الكاذبة فإن الإسلام بوصفه ديناً ربانياً سماوياً لا يقبل المشاركة ولا المقارنة ولا أن يصبح مبرراً لدعوات أو حضارات سواء الديمقراطية الغربية أو الماركسية الشيوعية ، وإنما هو نظام أصيل له ذاتيته الخاصة ، وهو دين ونظام مجتمع فى نفس الوقت ، وقد قدم منهجاً جامعاً ونظاماً للحياة والمجتمع لن تستطيع أن تلحقه الديمقراطية ولا الماركسية .

كذلك وقفت الصحافة موقف الإغضاء والمحافاة من رغبات الشعب وعمدت إلى التمويه والخداع فيها وخاصة من التشريع الإسلامى ، حين وجدت الإحساس الجارف فأخذت تخضعه وتهون من شأنه وتقدم كتابات تحاول أن تحول مجراه، وكانت موءازراتها لكل وجهة تخالف الشريعة الإسلامية بهدف إسقاط الإسلام من الحساب بالنسبة لتطبيق الشريعة فى المجتمع وقضية المرأة، حتى يقول زكى نجب محمود فى جريدة الأهرام: من الخطأ الظن بأن التشريع الإلهى قد غطى كل معضلات الحياة ، ووقف توفيق الحكيم يدعو إلى تطوير الشريعة لتلائم الزمن ، ودعا غيره إلى أن تكون الشريعة مصدراً من مصادر متعددة ، وليست المصدر الوحيد ، وفتحت أبواب كثيرة للقول بأن القيم مرتبطة بالزمن وذلك للغض من شأن ثبات الشريعة ، وهناك الدفاع عن الربا وسندات الاستثمار وهى محاولات ترمى إلى تطويع الشريعة للواقع الاجتماعى الفاسد فى المجتمعات الإسلامية . وهناك موقف الصحافة من تحديد النسل والصفحات الواسعة المخصصة للكلام عن الانفجار السكانى وتحليل شراب البيرة وإخضاع المجتمعات والاقتصاد لمغريات السياحة ، من الخمر وغيرها من الموبقات بوصفها مصادر للموارد المالية .

ويمكن القول بأن أخطر ما تدعو إليه الصحافة وتلح عليه وتعمل له هو تثبيت الواقع الخاطىء الذى شكلته عادات وتقاليد ومفاهيم دخيلة ووافدة استمرت فترة طويلة حتى أصبحت من المسلمات مع الإيحاء باستحالة تغيير هذا الواقع أو الكشف عن زيفه فى ضوء الإسلام ومفاهيم الدين الحق واستمرار البناء على هذا الواقع الخاطىء ، ومن هنا كانت ضرورة الكشف عن هذه الزيوف وخلفياتها .

ولقد كان فصل الدين عن السياسة أخطر الأطروحات التى قدمتها الصحافة لتثبيت النظم الوافدة : سواء الديمقراطية أو الماركسية ، وكان أول من ابتدعها ونادى بها فى البلاد الإسلامية مصطفى كمال أتاتورك وقلده حكام العرب المسلمون ، وكان وراء ذلك جهد من الاستعمار الذى غذى هذه الفكرة المسمومة وعمل على انتشارها .

وكانت الأطروحة المسمومة هى أن الدين علاقة بين الإنسان وربه على النحو الذى قالت به الديمقراطية الغربية فى وجه نفوذ الكنيسة ، وحيث لا يوجد مثل هذا النفوذ فى الإسلام ، ومن حيث إن الإسلام دين ومنهج حياة فإن هذه الأطروحة ضالة مضلة ، ولقد كانت هى أول الطريق للسخرية والانتقاص من كل ماله طابع دينى أو روحى أو إسلامى فى مختلف مجالات المجتمع أو الأسرة أو الحياة العامة ، بهدف إفساح الطريق أمام المخططات الأجنبية القائمة على الربا والخمر والزنا وتدمير المجتمعات بقصد السيطرة عليها وامتلاك ثرواتها وتهريبها إلى خارج البلاد وخلق طبقة تخدم هذا النفوذ .

وفى الفترة التى استغلت فيها الماركسية وسيطرت كانت الحملة حامية على الأزهر والمنظمات الإسلامية ، وكان كل كلام مسموم يهاجم المرأة التى تلبس الملابس الإسلامية مع الانتقاص من حقوق الميراث والشهادة والقول بأن حركة عظمى من حركات الإصلاح الاجتماعى والعدالة الاجتماعية تدعو إلى العدل والمساواة .

ولقد بالغ دعاة الماركسية إبان تسلطهم على الصحافة وغلوا فى الدعوة بمفهومهم المسموم حتى قال أحدهم أنهم ورثة محمد (صلى الله عليه وسلم) مع أننا نعلم علم اليقين أن الماركسيين واليسار ودعاة الشيوعية والاشتراكية فى البلاد العربية نشأوا وترعرعوا فى أحضان اليهودية العالمية ورعايتها بل بزعامتها ، وأن زعماء الحزب الشيوعى فى مصر والعراق وسوريا ولبنان كانوا يهوداً .

يقول لطفى الخولى : إن اليسار فى مجتمعنا هو الوريث الحقيقى لدين محمد ابن عبد الله ولدين عيسى بن مريم ولفضل أبى بكر وعمر . وهى محاولة فاسدة وكاذبة ومضللة ترمى إلى رفع دعاة الشيوعية من الحضيض إلى قمة الأنبياء والصحابة وقادة الفكر . وهيهات أن يصلوا إلى مستوى أقدامهم أو أفعالهم .

وقد ارتبطت هذه الموجة المسمومة فى الصحافة العربية بالدعوة الصهيونية التلمودية لأنها شقها الثانى، ولأن الترابط بينهما واضح وأكيد ، وكلها ترمى إلى التركيز على المادية والفردوس الأرضى ، وصدق القائل بأن الدعوة إلى الله كانت تدعو إلى الخير والصبر والعزاء والأمل ، فلما ظهرت الشيوعية دعت إلى عبادة الأفراد وجسدت الدعوة فى أشخاص يحقدون على البشرية وعلى قمتهم اليهودى كارل ماركس ، وكما عبد بنو إسرائيل العجل الذهبى عبد الشيوعيون العجل اليهودى ، ومن هنا نشأ تفسيرهم للتاريخ والتصقت التعاليم الشيوعية بالمادة دون غيرها لأن العقل اليهودى لا يمكن أن يسمو ويرتفع إلى ما فوق المادة التى عبدها وكرس حياته وقصرها عليها » .

ولعل أخطر دعاوى الصهيونية والماركسية مجتمعة ما أعلن عنه كامل زهيرى حين قال للأستاذ على الجندى : إننا نريد أن نهدم القديم كله ، التراث كله وليس الشعر فحسب .

وعلى يد الصحافة العربية ظهرت كل دعوة إلى تدمير التراث الإسلامى وكل نظرية تفصل العرب عن تراثهم وتضعهم فى نهج جديد مستقل تحت اسم الفكر العربى المعاصر أو الثقافة العربية ، فضلا عن تاريخ أربعة عشر قرناً من الفكر والأدب واللغة ، ولقد باءت هذه الدعوة بالفشل ، كما باءت الخطط التى سارت عليها تجربة القومية العربية وهى التى حققت نكسة ١٩٦٧ .

وقام بعد ذلك مفهوم أقرب إلى الأصالة يربط العروبة بالإسلام وأصبح مكيناً ، ذلك أن العرب لن يقبلوا وجوداً قومياً منفصلا عن الامتداد الإسلامى أو منفصلاً عن العقيدة الإسلامية .

كذلك سقطت كلمة الثورة بمفهومها الماركسى ، ولقد كانت محاولة فرض المفهوم القومى على الثقافة العربية عاملا لحجب طابعها الإسلامى وجعلها قاصرة فى مجال المفهوم الإسلامى الجامع وقائمة معه على مفهوم مادى أو علمانى (وهى فكرة نبعت من لبنان بمحض ظروفه الخاصة) ولكنها لا تصلح للبلاد العربية ، ولقد تبين أن تجربة القومية العربية الجديدة التى قادها البعث

والناصرية وحمل لواءها ساطع الحصرى وميشيل عفلق قد سقطت ، وأن البلاد العربية منذ ١٩٦٧ ترسم منهجاً جديداً لم يتبلور بعد فى إطار التضامن الإسلامى فى نطاق المفهوم الإسلامى القائم على الشريعة الإسلامية . ولقد سقطت تلك التجربة وفشلت بالرغم من ركام الصحافة الذى توالى سنوات عديدة لأنها عجزت عن أن تحقق شيئاً .

وكذلك سقطت تلك الدعوى التى حملها أتاتورك وسعد زغلول وجمال عبد الناصر ، وشاه إيران وسوكارنو ، وهى المحاولة التى قام بها الحاكم المسلم المتغرب فى سبيل فرض نظام مجمع من أنظمة غربية متعارضة منها الماركسية والديمقراطية وكلها تهدف إلى تدمير النظام الأصيل .

لقد صفقت الصحف لكل هؤلاء بالرغم من أنهم كانوا على غير طريق الأصالة . وأكبرت الصحف من شأن من لا يستحق الإكبار ، واستصغرت من يستحق التقدير ، أكبرت من شأن الخائنين : مصطفى كمال أتاتورك وغاندى وسعد زغلول والمعلم يعقوب .

وكرمت البطولات الكاذبة عبد الحليم حافظ وأم كلثوم ويوسف وهبى وطه حسين .

لقد أخرج سعد زغلول أسلوب العمل السياسى عن منهجه الأصيل وكما كان عليه من قبل ملتمساً مفهوم الإسلام ، فجعله معتمداً على أسلوب الغرب وأقام العمل على أساس الولاء للغرب أو الإعجاب والمتابعة وإنكار أسلوب الإسلام وإهماله مع أنه كان من المتعلمين فى الأزهر (شأن طه حسين) .

ومن وراء هذه الفتنة الجديدة سار حكام البلاد العربية والإسلام وقد أمكن عن طريق هذه النماذج أن يقدم أسلوباً مغايراً لأسلوب الفكر السياسى الإسلامى والفكر الاجتماعى الإسلامى والفكر الاقتصادى الإسلامى .

بل إن كتابنا الذين خاصموا الاستعمار الإنجليزى فى السياسة كانوا تلاميذ فى الفكر ، فسرعان ما أصبحت هناك مدرسة فرنسية ومدرسة إنجليزية ثم جاءت مدرسة أمريكية ومدرسة روسية .

وكانت هناك الدعوة إلى إحياء حضارة البحر الأبيض المتوسط ..

وكانت الصحافة العربية حاضنة الدعوة الإقليمية ، ثم الدعوة القومية المفرغة من القيم الإسلامية . وكانت الدعوة الوطنية ، وكانت الدعوة إلى إحياء الفرعونية والفينيقية .

وحملت الصحافة لواء الدعوة إلى كتابة التاريخ من وجهة نظر مصرية محضة :

محمد رفعت ، شفيق غربال ، محمد صبرى . وكان هدفها هو إعلاء شأن مصر على الدولة العثمانية والعرب ، ومحاولة القول بأن مصر ليست عربية وأن الإسلام لم يؤثر فيها ، ثم اعتمدت القومية المصرية الضيقة مدخلا وهدفاً مما يتعارض مع الوحدة العربية من ناحية ومع الوحدة الإسلامية من ناحية أخرى .

ومصر فى الحقيقة لها طابع عربى وطابع إسلامى ، وما يقال أن علاقتها بالعرب والإسلام كانت علاقة غزو أجنبى هو محض كذب ، وكذلك القول بأنها ظلت محتفظة بمقوماتها قادرة على أن تجتاز محنة الاحتلال ، كل هذا الكلام لا يقوم على أساس ما لم يكن معلوماً أن الإسلام هو مصدر كل قوة وقدرة على المقاومة .

وكانت الصحافة العربية ضالة ومضلة فى اعتمادها على دعاوى الجنس والعنصر والإقليمية مدخلا إلى الفكر بعد أن جعل الإسلام وحدة العقيدة والثقافة أساساً ، فالثبات أمام الغزاة مصدره العقيدة ، هذه التى حكمت بامتصاص الدخيل أو إجلائه عن الأرض ، هذه العراقة المصرية كلها مصدرها الإسلام وليس أى شىء آخر ، ولا ريب أن العقيدة الإسلامية هى المناعة الوحيدة دون الانصهار فى الفكر البشرى الوافد .

ولا ريب أن الصحافة العربية كانت مسرفة فى الانحراف فى احتضانها لمفاهيم الأقليات والقوميات وما تناثر منها من دعوات متعددة ومتضاربة ،

دعوة ترفض الأقلية والقومية معاً وتنادى بالفكرة العالمية الغربية ودعوة أقلية ترفض القومية العربية إيثاراً لوطنيات ضيقة باسم الفرعونية والفينيقية والآشورية ودعوة للقومية العربية أوربية الشكل والمضمون ودعوة للقومية العربية ترفض الدين وتشترط هذا الرفض ، ودعوة لاتحاد العرب داخل إرادة الحكومات (الجامعة العربية) ودعوة للقومية العربية يتبناها الماركسيون مفرغة من مفهوم التاريخ واللغة والتراث . كل هذه الدعوات تعمل فى محاولات لمواجهة الفكرة الأساسية : فكرة وحدة العالم الإسلامى وجامعته .

وقد كانت الدعوة إلى تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً قومياً ، وتصور معارك الإسلام وكأنها محاولات للقومية العربية المضللة .

وقد حملت الصحافة العربية سموم فكرة أخرى : تجرى لتصوير معارك حطين والقدس ، ودمياط والمنصورة وعين جالوت على أنها معارك « عربية » أو مصرية ضد القوى الأجنبية الغازية مع إخفاء وتجاهل وحجب البعد الإسلامى والتسلسل التاريخى وقضية الخصومة والخلاف بين الغرب وعالم الإسلام ، وهذه محاولة مسمومة ، ذلك أن هذه المعارك (حطين ٥٨٣ ، القدس ٥٨٣ ، دمياط ٦١٥ ، المنصورة ٦٤٨ ، عين جالوت ٦٥٨) هى منطلق لمعركة ضخمة بين الغرب المسيحى وعالم الإسلام وأنها كانت تستهدف اقتلاع هذا الإسلام من جذوره .

كذلك فإن هناك من يحاول تصوير « حملة نابليون » على أنها حملة عسكرية استعمارية فى صراع بين فرنسا وإنجلترا على احتلال مصر وهذه نظرة قاصرة للأمور .

وكذلك فقد أخفت الصحافة العربية كثيراً من الحقائق :

أخفت أن اليساريين والعصريين فى كل العصور كانوا من أصحاب الولاء الغربى والتابعين فعلا للمحافل الماسونية أو المنظمات الشيوعية . ولم يكن لهم ولاء وطنى أو عربى أو إسلامى واضح . وأن شبلى شميل كان يدافع عن الإنجليز مع أصحاب المقتطف والمقطم ، وكان سلامه موسى على ولاء واضح

للنفوذ الأجنبى ، وكذلك طه حسين ولويس عوض وجبران وفرح أنطون والصحفيون المارون ، أما اليساريون المحدثون فمعروف ولاؤهم وتبعيتهم وهم جميعاً بدائل الإرساليات التبشيرية وثمرتها .

وفى الوقت الذى كان طه حسين يدعو فيه إلى المتوسطية ، كان العقاد يدعو إلى سياسة مصرية (لا عربية) المصور ٩ - ١٢ - ١٩٤٩ .

« ينبغى أن تكون سياسة مصر مصرية على الدوام ، مصرية قبل كل شىء ، مصرية فى علاقتنا بالأمم العربية ، ومصرية فى علاقتنا بالأمم الأوربية » .

وقد ووجهت الفكرتان بالنقد والتفنيد ، أما أولاهما فهى تدعو إلى ولاء واضح مع فرنسا التى كانت تقود سياسة الدعوة المتوسطية ، أما دعوة العقاد فقد كانت تدعو إلى الإقليمية وتجمد المثل العليا وتمزق وحدة العرب .

* * *

(٢)

عمدت الصحافة العربية إلى إحياء التراث القديم السابق للإسلام (الوثنى والفرعونى والهلينى) واعتبرت هذا الإحياء تقدمية وعصرية بينما وقفت من تراث الإسلام موقف التشكيك والسخرية والانتقاص. والواقع أنه لم يكن قبل الإسلام إلا تراث الأجيال من الوثنية والخرافة والجهل والبغاء والربا والقمار ومعاقرة الخمور واضطهاد الضعفاء والحروب الكثيرة بين القبائل ومئات الشرور الأخر، ولذلك جاء الإسلام نقياً خالصاً قائما على التوحيد ولم يكن هناك ما يسمى الانفتاح على الفكر البشرى الموجود، وإنما كان البحث عن الحكمة نتاج العلوم والدراسات، دون أن يختلط هذا بالفلسفات أو الوثنيات أو مقررات الحضارات العبودية الفرعونية والفارسية واليونانية. ذلك أن الإسلام جاء محرراً للإنسان من عبوديته الوثنية ومن عبودية الإنسان ومصححاً للتحريفات والأخطاء التى وقع فيها رؤساء الأديان السابقة، ومن هنا فقد كان من الخطأ تلك الحملات التى حملتها الصحافة تحت اسم تقارب الأديان أو وحدة الأديان، وكان ذلك من صنع الاستشراق. ذلك أن هذه الأديان قد حرفت وجاء الإسلام بالدين الحق كرة أخرى، وأن بين الأديان فروقاً عميقة، وقد تلتقى فى بعض القيم الأساسية، ولكن التحريف غالب على المفهوم العام **«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»** ومن هنا تجىء تلك الأخطاء والشبهات التى التى تردد وكأنها المسلمات وأهمها خطأ القول بأن ترجمة المأمون للفكر اليونانى كانت خطوة صحيحة على طريق الفكر والحضارة الإسلامية ذلك لأن ما دعا إلى ترجمته المأمون لم يكن من العلوم الطبيعية، وإنما كان إحياء لعلم الأصنام عند اليونان وللوثنيات والأساطير.

إنه ليس تراثاً إنسانياً ولكنه ركام بشرى، ولقد جاء الإسلام

« ليظهره على الدين كله » ، ومن هنا خطأ مسألة الانفتاح على الفكر اليونانى والرومانى والفارسى والهندى والاستفادة منه .

ولقد عمدت الصحافة إلى تبرير فساد الفلسفة المادية والطبيعية على السواء لأنها تقوم على افتراضات ومعتقدات من شأنها إثارة القلق أو الشكوك . لم يصل أصحابها إلى شىء عن طريق أسلوبهم المادى ومنحاهم الوثنى ، وما حاجتنا نحن إلى ذلك حيث يريد زكى عبد القادر أن يحبب إلينا هذا الركام من خلال ضلال الفلاسفة . ونحن نملك أهدى منهج ، وقدم لنا الحق تبارك وتعالى مفهوماً كاملا للغيب فلم نعد فى حاجة إلى البحث الذى تعوزنا أدواته ولا نمتلك مقوماته ، والذى لم يحقق على طول هذا الزمن الذى قطعه الفلاسفة شيئاً ، وما هذه الفلسفات الا احتلال يريد أن يبرره زكى عبد القادر ويحسنه فى نظرنا لندخل فى ذلك التيه حين يصفه بأنه « يشحذ العقل ويضئ الفكر ويملأ القلب » .

هؤلاء الذين لا يقدمون لضال كلمة الله أبداً فإذا سألهم عن النجاح أو سألهم عن الانتحار أو سألهم عن القلق لم يقولوا له الكلمة التى هى الترياق لأنهم لا يؤمنون بها .

يقول زكى عبد القادر (١ - ١١ - ١٩٧٨) :

« العالم كله مضطرب ومتلعثم فى الأدب والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

وهو مضطرب فى العلاقات بين الأفراد والعلاقات بين الطبقات ، أنظر إلى الصداقة والحب والكراهية ، انظر إلى الزواج والعلاقات الأسرية بين الزوج وزوجه ، بين الآباء والأمهات ، انظر إلى مفهوم الأخلاق والسلوك ، ألا ترى أنه يتميع ويتداخل . انظر إلى الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وانظر إلى علاقة الفرد بالدولة بالمجتمع ، وانظر إلى مفهوم الحرية ألا ترى أنه متميع ومتداخل ومتشابك .. »

هذا الكلام ماذا يخدم ، لماذا إثارة الشكوك حول كل شىء ؟ وما هو العلاج . لماذا لم يقدم الكاتب للناس العلاج ، إن هذا الأسلوب هو أسلوب

الماسونية التي تتقنع الآن تحت اسم (الروتاري) وهو مفهوم الصهيونية التلمودية . هذه الدعوة المدمرة إلى إثارة الشبهات وترك الناس بدون حلول .

ومن أخطاء زكي عبد القادر قوله بأن تربية الأبناء الصحيحة وإعدادهم الإعداد الكامل ، هو محاولة لصب هؤلاء الأبناء في قوالب الآباء وإلزام لهم بمنهج التفكير والتصور الذي نشأوا عليه وأنهم بذلك يقضون على شخصياتهم ويطعنون الإلهام والفتوة والقدرة فيهم . من قال هذا ، إن زكي عبد القادر يريد أن يتابع ذلك اليهودي الذي استشهد به والذي قال أن ابنه له الحق في أن يعرب عن رأيه بحرية ولو خالف وجهة نظره هو .

والحق أن هذه محاولة للإيهام بأن هذا الأسلوب صحيح والواقع أنها محاولة لإقرار مفهوم مضلل وافد ، ولا ريب أن إثارة مثل هذه الملاحظات وترديدها إنما يوحي بالهدف الذي يرمي إليه زكي عبد القادر وهو متابعة منهج الماسونية الذي يقول مثل هذا .

ويكتب زكي عبد القادر تحت عنوان (الانفصال عن العصر) في دعوة مسمومة لترك كل القيم والحدود والضوابط التي رسمتها الأديان في سبيل الخضوع للعصر ، وهذا ليس إلا مغالطة واضحة للحقائق الأساسية التي يقوم عليها بناء الأمم من أخلاق وقيم وعقائد .

وأن هذا الكلام يعني ما يقوله الماركسيون والماديون والوثنيون من إخضاع الأخلاق والقيم للمجتمعات والعصر ، ويتعرض زكي عبد القادر لعلاقات المرأة بالرجل والزواج والجنس وأزمة الشباب والجريمة وهو يقصد في هذا أن تتحرر هذه العلاقات من ضوابطها الحقيقية . ويقال هذا ويردد في أفق المجتمع الإسلامي وفي الصحافة العربية بهدف واضح هو تدمير المجتمعات خدمة للماسونية وإن كان يقال في حرص شديد ومكر شديد أيضاً .
ومن الأفكار المسمومة التي نشرها كتاب الصحف قول أمين اسكندر :

« إن مصر حافظت على وجودها وشخصيتها القومية إزاء الأديان . وأن الأديان التي عرفتها مصر سواء بالنشأة أو بالانتساب لم تغير من مصر طابعها

القومى وإنما تحولت إلى جزء من هذا الطابع . كان لمصر مسيحيتها الخاصة وإسلامها الخاص » .

وهذه نغمة مسمومة كاذبة فليس هناك إسلام مصرى مختلف ، وليست مصر كما يقولون أخضعت الإسلام ، الحقيقة أن روح الإيمان التى عرفت فى مصر قبل الإسلام وقبل المسيحية إنما هى ثمرة من ثمار الحنيفية السمحاء التى حمل لواءها دين الله الإسلام الذى دعا إليه سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو صاحب كل الميراث الخلقى والروحى الذى عرفته المنطقة العربية قبل الإسلام بألف وأربعمائة سنة ، وهذا هو ما كان موجوداً فى مصر قبل الإسلام ولا ريب أنه من الإسلام نفسه (**هو الذى سماكم المسلمين من قبل وفى هذا**) (**وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**) . .

ذلك أن هناك علاقة كاملة بدأها إبراهيم عليه السلام فى هذه المنطقة بدعوة التوحيد الخالص وختمها محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاءت فى ثناياها رسالة موسى ورسالة عيسى وسائر الأنبياء ، فلماذا هذا التضليل الكاذب بإعلان شأن العنصريات والقوميات والإقليميات على هذا النحو البغيض . إن شخصية مصر الحقيقية فى جوهرها هى عصارة التوحيد والدين الحق ، ولم يكن لمصر شخصية أساسية مطلقاً قبل الإسلام ، فقد نبذت مصر الدين واللغة التى امتدت خلال الحضارة الرومانية قبل الإسلام ألف سنة .

ومن هذه السموم التى تبثها الصحافة العربية وصف الغزو الفكرى الغربى بأنه خرافة على حد قول محمد عودة الماركسى الذى يدعو إلى ما يسمى الامتصاص المتبادل لتجارب الآخرين ، وليس صحيحاً أن الغزو الفكرى فى الفكر القادم من الشرق من العالم الشيوعى فحسب ، وإنما يعنى الغزو كل التيارات الوافدة من الغرب ومن الشرق على السواء .

ويكذب عودة حين يقول أن انهيار المسلمين بدأ حينما أقفلوا باب الاجتهاد والامتصاص الفكرى والروحى ، والحقيقة أن المسلمين لم يمتصوا فى الصدر الأول قيما ولكن أخذوا وسائل وأساليب وكان جوهر فكرهم الأصيل هو الحكم على كل الوافد ، فلما جاءت عواصف الحروب الصليبية

والتتار وغيرها ، كان إقفال باب الاجتهاد بمثابة التحفظ من سيطرة الفكر الوافد نفسه عن طريق الغزو ، ولا ريب أن من أكبر الأكاذيب تلك الادعاءات التى نشرها هؤلاء المغرضون بأن الإسلام استفاد من فلسفة أرسطو أو من ماركس وانجلز ، أو من غيرهم من المفكرين . فقد كان الإسلام قائماً على منهجه الأصيل منذ اليوم الأول ، وقد رفض كل هذه المحاولات التى قام بها ابن سينا والفارابى للتوفيق بين الفلسفة اليونانية ومفاهيم الإسلام . وسيظل الإسلام متميزاً بطابعه الخاص بالرغم من كل محاولات دعاة الليبرالية أو الماركسية .

وقد كان من المحاولات المسمومة التى قامت بها الصحافة العربية إفساحها المجال للأقلام الماركسية التى تقول بإقامة حوار بين الإسلام والماركسية إذ كيف يمكن قيام حوار بين عقيدة ربانية منزلة وبين منهج بشرى ، ولقد كان الإسلام دائماً فوق كل محاولة لمقارنته بالمذاهب البشرية سواء أكانت ديمقراطية أم ماركسية تقوم على أهواء البشر وعلى الفكر المادى وعلى الإلحاد والإباحية .

كذلك فقد فتحت الصحافة العربية أبوابها لكتاب تحت اسم الإسلام يحاولون تأويل مفاهيم الإسلام وإبراز الفوارق المذهبية وإحياء الخلافات القديمة مرة أخرى ، فهم يقولون أن الإسلام يختلف باختلاف الشعوب ويختلف باختلاف الأجناس ، وأن لكل إسلام طريقاً خاصاً فى فهم القرآن والسنة ، وحاولوا نشر شروح مضللة تعمل على بلبلة الأفهام حول تعاليم الإسلام ، ومنهم من دعا إلى تطوير الإسلام ، بدعوى أن الدين يساير الحياة وهى دعوى باطلة ، وكل كلام عن التطوير إنما يرمى إلى تصحيح سير منهج بشرى وضعى ، أما المنهج الربانى الموحى به فإنه فوق التطوير لأنه بطبيعته جاء موافياً ومتابعاً ومصححاً لكل العصور والبيئات .

يقول سامى محمود « إن مجرد نظرة إلى هذا الرتل الرهيب من الأسماء يوضح لنا المدى الذى وصل إليه انقسام فرق المسلمين وما فعلته فيهم الفلسفات والجدل والتأويل والكلام » . هذا الكلام ليس خالصاً لوجه

الحق ، ومبالغ فيه ، وصاحبه غير قادر على التعرف على أبعاد ما يقول ، ذلك لأن هذه الجماعات كانت قليلة جداً وكانت منبوذة من المجتمع وأنها سرعان ما تهدمت وماتت لأنها قامت بالأهواء وكانت متفرقة على طول العالم الإسلامى وعرضه . وكانت عاجزة عن أن تكسب لنفسها إلا أولئك الذين تغريهم اللذات أو المتاع المادى ، وأنهم كانوا يتصلون بها ثم يخرجون منها ساخرين ، أما المجموعة الإسلامية الضخمة الشاسعة الحاشدة فإنها كانت « سنية » وكانت مؤمنة وكانت بعيدة عن هذا الترف الفلسفى وهذا الضلال الذى شكلته ترجمة الفلسفة اليونانية . وكانت منكرة بقلوبها لهذه الزندقة . وكان علماء المسلمين على موقف صلب إزاء هذه الشبهات وأن هذه الفرق كانت مرتبطة بالأحوال السياسية على فترات زمنية متباعدة ثم فترت وماتت بعد أن هزمها مفهوم السنة الجامعة ، حتى جاء الزنادقة الجدد والمستشرقون فجددوها وأثاروها مرة أخرى . ولا يوجد الآن قدرية ولا صفاتية ولا خوارج ولا معتزلة ، وأن المسلمين الآن (سواء أكانوا سنة أم شيعة أم متصوفة) يؤمنون بالله الواحد الأحد .

ولقد كانت الصحافة مؤيدة ومهللة لكل رسالة وكل عمل يعارض مفهوم العقيدة والدين مؤازرة لكل ضال وماكر ومضلل ، كان ذلك موقفها من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين وكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وكتاب الفن القصصى فى القرآن لخلف الله ورسالة أصوات المد فى القرآن ، مؤيدة لكل ما فيه هجوم على الإسلام أو القرآن أو الرسول ، مسارعة إلى تأييد الموقف المعارض لحماية العقيدة والدين تحت اسم براق هو حرية البحث العلمى .

ومن سموم الصحافة دفاعها عن المبطلين حتى ولو كانوا من الأسماء اللامعة ، المعارضين لحق الله فهى تفسح لمحمد التابعى أن ينتقص من الحدود الإسلامية ويقول : إن لكل عصر ما يلائمه وقطع يد السارق لا يلائم العصر الذى نعيش فيه والقانون يعاقب على تجارة المخدرات وعلى الرشوة بالأشغال الشاقة المؤبدة فهل استطاعت هذه العقوبة أن تقضى على الرشوة وتجارة المخدرات ، وهل استطاعت عقوبة الإعدام أن تقضى على جرائم القتل ومن

هنا هل قطع يد السارق يقضى على جرائم السرقة . والحقيقة أن المريب يكاد يقول خذونى وأن السارقين وحدهم هم الذين يهتزون فى عنف عندما يتحدث الناس عن قطع يد السارق وهم قد سرقوا وأفسدوا وعملوا كل شىء فهم يخافون هذا المصير .

ومن تلك الأخطاء قول الصحافة العربية أن الإسلام ثورة . والإسلام فى الحقيقة ليس ثورة ، ولكنه شريعة الله ، ومعاذ الله أن يعتقد مسلم أن الإسلام هو ثورة اجتماعية ، فإن معنى هذا أن الإسلام مثل الاشتراكية والديمقراطية ، كذلك الخطأ فى القول بأن الإسلام اشتراكية أو ديمقراطية ، ليس الإسلام ثورة وإنما هو رسالة سماوية ، ووحى إلهى ودين وشريعة منزلة دستورها كتاب الله الخالد الحكيم . ذلك أن الثورة عمل موقت يحاول تغيير وضع ثم تنتهى مهمته أما الإسلام فليس كذلك ، وإنما هو رسالة ربانية دائمة ممتدة ، وليست مرحلية وليست علاجاً لوضع موقت ، ولو كانت ثورة كما يقول الدكتور محمد الفحام لكان لها طابع عنصرى محض ، ولكان عملا بشرياً لا وحياً إلهياً ، فالثورة فى استطاعة الإنسان القيام بها أما الشريعة فإنها أعلى وأجل وأرفع من أن توصف بأنها ثورة ، لأنها دين الله الخالد الباقى على اختلاف الزمان والمكان وتعاقب العصور والأيام . ولو كان الإسلام ثورة اجتماعية لكان عملا بشرياً ، ولما كان من داع لنزول الوحى السماوى العظيم ، ولكان فى عداد أى ثورة من الثورات التاريخية التى حدثت فى العالم للمطالبة بحقوق فرد أو جماعة أو طبقة أو أمة أو جنس . ولقد يروق لبعض الكتاب وصف الإسلام بأنه دين ديمقراطى أو اشتراكى وربما سوى ذلك من الأسماء والمذاهب المعاصرة . وما كان لدين الله أن يوصف بأى وصف من المذاهب الاقتصادية والسياسية ولا يصح وصفه إلا بما وصفه به الله عز وجل « **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً** » .

(٣)

ما تزال الصحافة تمهد لكل الخرافات وتعيد الناس إلى عصر الكهوف والمغاور ، وإلى العصور التى كان الناس يتشبثون فيها بالأوهام وما يسمى بالأرواح الشريرة ، والأساطير والسحر وتأثير الكواكب وتتوالى الكتابة فى هذا الشأن كأنها حملات مرتبة مستمرة (١٥ - ٥ - ٧٩ ، ٧ - ٥ - ١٩٧٩ الأخبار) .

بالإضافة إلى أندية الروتارى والليونز التى لها خلفيات معروفة وأهداف واضحة مع الحديث عن انتصارات وهمية للمرأة .

وهناك (أخبار الناس) وما تحمل من سموم ، وأبرز ما فيها الاهتمام بذكريات الممثلات والمغنيات ، فما تخلو يوماً من الإشارة إلى أنه قد مر خمسة أعوام أو عشرة على فلانة أو فلان مع أن هناك عشرات من أعلام هذه الأمة لا يحتفل بهم أحد ولا يذكرهم ذاكر ، إن تجديد الذكريات للفنانين والفنانات من دون الناس جميعاً يوحى بأنه ليس فى الدنيا غير الفنانات ، والراقصات ، ومن أخبار الناس خمسة آلاف جنيه عن فساتين لفائزة أحمد وهناك العناية الشديدة بالفندقة أو السياحة التى تحمل ظلالا كثيرة من الصور الشائنة .

ومن أخبار الناس : توفى سيد كراوية أشهر عازف طبلة فى مصر ، والذى عمل مع جميع راقصات مصر الشهيرات مثل تحية كاريوكا .

ويعلن مصطفى أمين أنه لو كان له ولد لعلمه ليكون عازف طبلة تقديراً للدخل الكبير ، والمقاييس عنده مادية .

وفى مجال الرياضة هناك الدعوة إلى الرحلات المشتركة (الرجال والنساء) وهى دعوة تشجعها بروتوكولات صهيون لأنها تفسد العلاقات وتثير الغرائز .

وهناك الاهتمام العجيب بالكاريكاتير وطوالع النجوم والكرة والموالاة الخطيرة للجريمة .

وحين يدير زكى عبد القادر مذكراته عن امرأة لابد أن تكون شاذة : تقول أنها ضائعة بين الانحراف والتوبة ، ويقول : أن الإيمان مهتز فى نفسها (أحس أحياناً بأنى إرادة الشيطان آويت إليه لعله يعطينى الأمان والاطمئنان ».

هل مثل هذا يقال للشباب والفتيات من رجل يحمل اسمه كثيراً من التوقير ، وهل يستطيع الشيطان أن يعطى الأمان ، ما كان أجدر زكى عبد القادر حين ينشر هذا أن يجعله منطلقاً إلى ربط الإنسان بالله ، فيقول لها : ومتى كان الشيطان يستطيع أن يهدى أو يقدم الخير ، كان يجب أن تكون المحاولة وصولا إلى الخير وخروجاً من الانحراف وليست تبريراً للانحراف أو إثارة للشبهات .

وهناك محاولة القول بأن « روح مصر » أكبر من « روح الإسلام » وأن مصر أرض وعبقرية أولا ثم يجىء الدين والقيم ، هذا ما يذهب إليه الكثيرون منهم فهمى عبد اللطيف . إنهم يقولون أن عطاء النيل هو الذى كون روح الشعب المصرى ، وهل يمكن أن تتكون روح الأمم من المادة ، الحقيقة أن الأديان والقيم هى التى تشكل روح الأمم ، أما هذه الأهرام الشامخة التى يعتزون بها فإنها تمثل مفهوم دين الفراعنة الوثنى ، ذلك الكلام الخادع : قهر الفناء الذى يحطم حياة الحى وسبعة آلاف سنة ، الحقيقة أن مصر عرفت التوحيد باكراً وعرفت رسالة السماء فى إدريس وإبراهيم وفى يوسف وأنها هى مصدر تلك الآصالة وليس النيل أو الأهرام كما يدعون .

ويتحدث التابعى عن تحضير الأرواح ، ويتساءل هل هناك حقاً حياة بعد الموت ، ويتساءل عن خلود الروح ، وكل هذه عناوين مضللة تهدف إلى نقل التشكيك من دائرة ضيقة هى تحضير الأرواح إلى دائرة أوسع .. تهدف إلى التشكيك فى الحياة الأخرى ، ولو كانت الصحافة تحمل الأصالة لقالت أن الروح من أمر الله وأن البعث حق والجزاء حق .

ويذهب زكى عبد القادر إلى ترديد كلام الباطنية حين يقول أن الله فى داخل الإنسان ، وأن فى كل فرد جزءا إلهياً ، ولا يعرف الإسلام هذه العبارات بل هى من نتاج الهندوس والفراعنة والمسيحية ، أما المسلمون فإنهم ينزهون ذات الله العليا عن التلبس بالمادة سموا بها عن المماثلة وأن الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه : « ليس كمثله شىء » .

الصور الساخرة

(الكاريكاتير)

نقلت الصحافة العربية فناً غريباً من فنون النقد الاجتماعى والسياسى . هو الكاريكاتير أو الصور الساخرة ، وهو عمل يقوم على السخرية من كل القيم ويحارب كل مفاهيم الأصالة فى سبيل إضحاك القارىء . وتبدأ الحملة فيه على كل وجه من وجوه الخير من نقد لعلماء الدين أو زى المرأة المسلمة أو الغمز للصوم والصائمين ، أو الهجوم على شهر رمضان ، أو إذاعة التفاهات من الكلمات والفكاهات والعبارات النازلة ، وقد كان من أسوأ هذه الصور كاريكاتير الشيخ متلوف الذى استمر فى مجلة روز اليوسف سنوات فى نقد لاذع لكل القيم التى يمثلها عالم الإسلام ، بل إن صلاح جاهين قد جاوز بعد ذلك كل الحدود حين أجرى الكاريكاتير على أعلى قيم الإسلام وجاء مصطفى حسين فرسم الديك وزوجاته التسع وكتب تحته :

(محمد أفندى والزوجات التسع) .

والهدف معروف من وراء هذه الإشارة . كما نشرت جريدة صباحية كاريكاتورية رسما للاعب كرة وهو يضرب عمامة أحد علماء الأزهر بدلا من كرة القدم .

وعلى أثر حادث الإرهابيين فى فيينا رسم صورة كتب تحتها يصف الإرهابيين بهذه الأوصاف : خديجة مائير ، أحمد ليفى ، إلى آخر هذه الأسماء . لماذا اختار هذه الأسماء الإسلامية الكريمة ليصلها بأبغض الأسماء .

وفى المجال الاجتماعى تجد الصور الكاريكاتيرية التى تصور الزوجة على أنها خائنة لأنها لاحظت ثلاثة فى الدولاب ، وهناك الاهتمام بالجريمة والست التى تتطلب الطلاق لأن قلب زوجها مريض .

هذه الصور ، ليست صور مجتمعنا ، هذه مظاهر دخيلة علينا ، وهذا انحراف فى الاتجاه يرمى إلى التركيز والتكرار لجوانب خافية ويسيرة يراد بذلك إبرازها وإشاعة أمرها . وهى الكارتير المكشوف المتصل بالناحية الجنسية .

هذه الأشياء تمثل شذوذاً فى المجتمع ، ولا تمثل طبيعته الحقيقية . وليس من الطبيعى أن يبقى الجنس دائماً موضوع مناقشة ، ولماذا يركز الكاريكاتير على العورات ، ولماذا يكون منطلقاً لحملات التشهير على الحياة الخاصة بالناس .

ولعل من أقسى صور الكاريكاتير ما تعرض للإسلام فى جرأة وقبح ومن هذا كاريكاتير صباح الخير عبارة عن شاب وشابة بالمايوه كتب تحتها على لسان الشاب يخاطب الشابة :

— ما تيجى ننزل الميه على سنة الله ورسوله .

هكذا تغذى مجلة صباح الخير وصحافة الكاريكاتير الشباب بسمومها وتنشر الجنس الرخيص برسومها .

لقد بدأ الكاريكاتير كسلاح للصراع السياسى والتطاحن بين الأحزاب ثم تحول إلى الميدان الاجتماعى فغدا موجهاً توجيهاً خطيراً لتدمير القيم وتحطيم الأخلاق ، وهو كما يعبر عنه قاموس لاروس الفرنسى (عمل صورة لشخص أو لشىء بالقلم أو الفرشاة تدعو للسخرية) وفى مفهوم الإسلام : « **لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** » والكاريكاتير كالمسرح محاولة لتقديم صورة وهمية مضخمة ، مغايرة للحقيقة تقوم على المبالغة ، وتقوم على انتقاص قدر الإنسان أو العمل ، وإذا كان الكاريكاتير يهدف إلى الإضحاك عن طريق تحميل الأوضاع

أو الصور غير ما هي فى الحقيقة فإنه لا يمثل فى ميزان الإسلام إلا الشر المحض لأنها تمزج المبالغة بالسخرية ، وكلاهما خروج عن الفطرة وعن الطبيعة وعن الأوضاع الصحيحة . وليس الإضحاك فى مفهوم الإسلام إلا عملا منكراً ومحرماً وكذلك السخرية والانتقاص الناس .

وقد وصف الكاريكاتير فى الغرب بالمقت ، لأنه فضح عاهة لا ذنب لصاحبها فيها ، ومن الحق إغضاء العين عنها ، ومن ناحية أخرى لوقوعه فى براثن قسوة لا مبرر لها « أنك لن تضحك من دعابة بل ستتأفف من سقم ذوق وقلة أدب وطول لسان » .

فهذه فنون ضالة باطلة ودخيلة .

ولقد عرف العاملون فى الكاريكاتير أنهم جماعة من طلاب « الغياب » عن الواقع بواسطة ما ، لتصور تلك الأوضاع المنحرفة والضالة التى يرسمونها . وقد جمع بعضهم بين سخرية الرسم وعامية الأداء وعرف بعضهم الآخر بالنرجسية والماركسية .

وينطبق على الكاريكاتير حكم الإسلام على الرسم بصفة عامة ، على رسم الإنسان سواء كان هذا الرسم بالتكبير والتحسين أو بالانتقاص والسخرية فكلاهما محرم ، والفنان المسلم لا يحاكى الطبيعة ولا الإنسان ولكنه يرسم فناً آخر بعيداً كل البعد عن صنعة الخالق الأكبر .

* * *

طوالع النجوم والخرافات

لا ريب أن الصحافة العربية كانت تهدف إلى حشد أكبر قدر من التفاهات وأساليب الإثارة عند ما قدمت طوالع النجوم التى تخدع مئات الألوف من القراء يومياً حين يقرأونها على أنها حقيقة أو أنها عمل من أعمال

علماء الفلك والكواكب ، بينما هى كتابات زائفة يكتبها محرر مجهول حين لا يجد شيئاً يترجمه من الكتب الأجنبية ، وإلا فمن الذى يصدق أن الملايين التى ولدت فى يوم واحد يمكن أن تتشابه حظوظها فى هذا اليوم . وما تقوله الكتب الأجنبية هراء .

ومن وجهة نظر صحيحة وعلمية فإن الإسلام يرفض الاعتقاد فى تأثير الأفلاك على حياة الناس وسلوكهم .

وهناك عدد كبير من الخرافات تثيرها الصحافة حول الزواج والحمل والصحة والمرض والتفاؤل والتشاؤم والحسد والإنجاب والعقم ، كل هذه الخرافات بقايا تركة الفكر الوثنى القديم ما تزال تتجدد وهناك ما تثيره الصحافة حول الرقم ١٣ وأكثر الخرافات تدور حول الحمل والزواج والموت . وخرافة ساعة النحس يوم الجمعة وخرافات الأحجبة والتعاويذ المصنوعة من الجلد والمحشوة برأس الهدهد وقراءة البخت . هذه التفاهات كلها التى دعا الإسلام إلى إنكارها وتجاوزها تعيد الصحافة إذاعتها .

* * *

(الكرة)

تركز الصحافة تركيزاً كبيراً على لعبة الكرة وتفرد لها صفحات بل وتصدر لها صحفاً أسبوعية متعددة ، تشغل الناس بالدورى والكأس والأهلى والزمالك ، بل إن بعض الصحف اليومية الصباحية تصدر فى المساء ساعة خروج السينما لتوزع نسبة معينة على محترفى الكرة التى لم تعد رياضة فى الحقيقة وإنما أصبحت عملا خطيراً يستهدف احتواء الجماهير وشغلهم ، وقد اتسع نطاق هذه الهواية الضارة حتى شمل السيدات فى البيوت اللائى يدخلن فى معارك تحمساً لهذا الفريق أو ذاك ، واللائى يتركن أعمال بيوتهن ساعات ليتابعن هذه المباريات .

ولكم حدثت معارك ومصادمات نتيجة الصراع والحماس والحزبية الكروية : ذلك أن جمهور الكرة لايقتصر دوره على مشاهدة المباراة بل يتجاوز ذلك بأعصاب مشدودة ومشاعر مهتاجة إلى الانفعال الشديد، بل إنه يجعل الكثيرين يقفزون داخل بيوتهم أمام التليفزيون ويصيحون صيحات منفرة نتيجة الإعجاب أو الاستياء . وقد تفلت منهم أعصابهم فتقع أحداث شديدة الخطورة .

والحق أن الصحافة هي المسئولة عن توسيع دائرة الكرة بعد أن كانت لا تتجاوز أعضاء النوادي الرياضية وفريقاً من طلاب المدارس ، وقد أطلق عليه مرض العصر أو مرض الهوس والجنون حيث يبلغ التحمس الجنوني للفرق إلى حد الهوس ، ووقوع الاضطرابات المتوالية والأحداث المثيرة .

وقد كشفت الأحداث عن أن مشجعي الأندية يحملون في عقولهم التعصب وفي نفوسهم النزق ، وأن ذلك كله قد خلق جواً مثيراً من السخرية والسباب والاصطدامات والتوتر .

وقد أشار أحد الباحثين الأجانب إلى ظاهرة الكرة وسر انتشارها فقال : إن رياضة الكرة مثل رياضة مصارعة الثيران والوحوش أيام الرومان فقد قامت هذه الرياضة وازدهرت في عهد القياصرة الذين سلبوا الشعب حرياته وبلغت أوجهاً في عهد طغيان القياصرة . الذين أخذوا يخشون انتشار المسيحية وإقبال الفقراء التعساء على اعتناقها فأرادوا شيئاً يلهي الناس عن حرياتهم المفقودة ويصرفهم عن الديانة التي تزحف عليهم حاملة مشاعل العدالة . فأقاموا تلك المباريات التي كانت ينزل إليها رجال ضخام الجثث مفتولو العضلات يصارعون الأسود وهي تنطلق من أقفاصها . وقد يفتك اللاعب بالأسد ويشق شدقيه بيديه العاتيتين وقد يلتهم الأسد هذا اللاعب الضخم ويمزق جبهته إرباً إرباً أمام الناس ، الناس الذين يفقدون صوابهم وهم يصيحون ويصرخون لا فرحاً ولا غضباً ولا ألماً ولكن في هوس وجنون وقد نسوا أنهم فقدوا أهم شيء وهو حريتهم . وأنه قد حيل بينهم وبين المستقبل المشرق الذي يمثل الديانة الجديدة .

كذلك كرة القدم لعبة تنظمها السوقة التي تنفق عليها . ويشرف عليها كبير من الأغنياء ورجال الأعمال لتصرف الناس عن حقوقهم الضائعة وعن حرياتهم المقيدة ، وتلقى بهم فى عالم من الانتصارات والهزائم الوهمية فى عالم الخيال البعيد عن واقع الحياة .

ذلك هو تفسير الرأسمالية الغربية للكرة . وقد نقلنا هذه الهواية نقلا بغيضاً دون أن نفكر فى آثارها الاجتماعية الخطيرة ، وهى لا تقل عن أثر القصص الجنسية وقصص الجرائم ، وهى محاولة خطيرة لتمزيق وحدة المجتمع وتعريته خلقياً وإثارة عشرات من الكلمات والمصطلحات البذيئة على الألسنة فضلا عن آثارها الاجتماعية فى شغل الناس بالتفاهات عن العمل الإيجابى النافع .

وما تزال الصحافة مسئولة عن جرائر كل إثم وخطر يتهدد المجتمعات الإسلامية .

* * *

الفصل الثانى

كتاب التغريب

استقطبت الصحافة العربية عدداً كبيراً من كتاب التغريب الذين كانوا عدتها فى سبيل تبرير مفاهيم الإقليمية والفرعونية والتنكر لمفاهيم الوحدة الإسلامية وترابط العروبة والإسلام ، وكان فى مقدمة هؤلاء توفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزى .

وما يزال توفيق الحكيم منذ الثلاثينيات يحمل لواء التفرقة بالتجهيل للعرب والإعلاء للمصرية طوال أكثر من خمسين عاماً . وهى تفرقة لا تقوم على أساس علمى وإنما تعتمد شبهات المستشرقين وخصوم العرب والإسلام ، فتوفيق الحكيم يدعى أن هناك شخصية مصرية مميزة عن الشخصية العربية الإسلامية ، ويرى بين المصرية والعروبة خلافاً بل وتضاداً .. حتى يقول : (إن مصر والعرب طرفا نقيض) وهى نفس الدعوة التى حملها طه حسين ومحمد عبد الله عنان وسلامة موسى . ويحملها اليوم لويس عوض وبطرس بطرس غالى وكثيرون من المتأثرين بالتاريخ القديم السابق للإسلام والذين يتجاهلون ما أثبته المؤرخون من « الانقطاع التاريخى » بين مصر الإسلامية العربية وبين ما قبل ذلك .

وكل الذين يفاخرون بميزات لمصر يجهلون أن مصدر هذه الميزة هى تلك الموجات العربية المتوالية التى أخرجتها الجزيرة العربية وأهمها الموجة الإسلامية التى حملت معها مفهوم التوحيد الخالص ، وهم يجهلون ذلك الترابط الوثيق الذى أوجده دين الحنيفية السمحاء : دين إبراهيم الذى عم وشمل كل هذه المناطق بدعوة الإسلام الأولى التى صدرت عنها من بعد رسالات الأنبياء موسى وعيسى ومحمد .

فلماذا هذا الاستعلاء العنصرى بالمصرية المستمدة من الفرعونية ، وقد أثبت المؤرخون أن الفراعنة عرب أصلا ، وأن جميع الموجات الفينيقية والآشورية والبابلية كلها موجات انبثقت من قلب الجزيرة العربية ، وأن كل معطيات المصريين تتلخص فى أمرين : العقيدة واللغة ومن ثمارهما القيم والخلق والمقومات ، وكلها جاءت من الإسلام والقرآن ، فليس هناك فى الحقيقة طرف مصرى مناقض للعرب وإنما هى كلمات من المبالغة والتعصب والعنصرية تذاع وتستشرى فى فترات الضعف ، وقد ذاعت إبان الاحتلال البريطانى وتجرى اليوم على الألسنة إبان تحدى الاحتلال الإسرائيلى لسيناء ، والواقع أن الجامع الحقيقى هو الإسلام ، وليس العروبة ، وليست المصرية إلا دعوة مشابهة لدعوات الإقليمية التى تتحرك على أفق العالم الإسلامى هنا وهناك تحت تأثير موجة القوميات الضيقة الوافدة ، ولا ريب أن العالم الإسلامى كله مقبل على الوحدة والالتقاء وأن هذه الدعوات لا تجد لها مجالا حقيقياً إلا عند ذوى الغايات القصيرة والأغراض الخاصة .

بل إن مصر إذا عزلت عن العروبة والإسلام فإنها لا تبقى شيئاً سوى تماثيل وأهرامات وأحجار الأقصر ووادى الملوك . وهذا يكذب عبارة توفيق الحكيم الذى يقول : « إن الاختلاط بالروح العربية كاد ينسى المصريين أن لهم روحاً خاصة تنبض ضعيفة تحت ثقل الروح الأخرى الغالبة » وإنى لأتساءل ماذا كانت أو تكون الروح المصرية الخاصة بدون الروح العربية ، أتكون روح فرعون والعبودية والظلم وعبادة الآلهة المتعددة والوثنية المغرقة فى السحر : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) .

ويذهب توفيق الحكيم فى هذا الطريق المظلم الموحش إلى أن يدعو مصر إلى أن تكون فندق العالم ، أى أن تصبح داراً مفتوحة لكل السائحين وطلاب الحاجات ، وأن تفقد شخصيتها الحقيقية التى شاء الله أن يصنعها لها بالإسلام ، وهى حماية المقدسات وحمل لواء الجهاد والمرابطة على هذا الثغر الخطير ، فى العالم .

ولقد كانت أكبر أخطائه ، تخبطه بين تأييد الاستبداد الناصرى ومحاولة

تخلصه منه بعد لاستقبال عصر جديد ، فقد كتب يقول أن السلطان فى الفترة السابقة قتل الحريات وكمم الأفواه وأنه أخضع له الكتاب والمفكرين فجروا فى طريقه وأيدوه . ولذلك فهو يطالب بمحاكمة هؤلاء الكتاب ويطالب أول الأمر بمحاكمة توفيق الحكيم نفسه الذى أيد السلطان فى هذا الاتجاه . ويقول أنه جرى فى هذا الطريق حتى بعد وفاة عبد الناصر فطالب بإنشاء تمثال ضخم فى ميدان عام تقديراً لعظمة وبطولة ذلك السلطان ، وقد جاءته مئات الخطابات المؤيدة لرأيه غير أن خطاباً واحداً من بينها جاء فيه : صحيح أن السلطان يستحق تمثالا كبيراً يناسب شهرته ومكانته ولكن أين يقام هذا التمثال .. ثم اقترح أن يقام هذا التمثال فى تل أبيب .

ولقد كان توفيق الحكيم على مدى حياته مضطراً إلى الخطأ غير كاشف لأبعاد الأحداث فإن انغماسه فى الأساطير والقصة الغربية وما وراءها من خيالات قد حال بينه وبين الرؤية الصحيحة لأحداث العصر والمجتمعات .

فهو عندما دعا إلى الخلاص من الطربوش دعا إلى اللجوء إلى القبعة ، وعندما ضرب الفرنسيون دمشق بالمدافع ونشروا الرعب والعدوان لم يزده ذلك على أن قال :

— لتذهب دمشق ومئات مثل دمشق إلى الهاوية وتبقى فرنسا .

وهو الذى قال مرة : إذا لم تكن لنا حضارة فلنأخذ الحضارة الغربية وننتهى .

كل هذا يعطى صورة البساطة والخيال وعدم العمق ، فى تناول الأمور ، ويعطى مفهوم رجل المسرح والرواية والأساطير القديمة الذى يعجز عن متابعة الأحداث . وكل كتاب القصة على هذا النحو .

يقول محمد المجذوب : كتبه أكبر شاهد على تنكره لمثل أمته حتى ما كان منها متصلا بالسيرة النبوية لكتابه محمد (صلى الله عليه وسلم) أو مسرحية أهل الكهف ، وبه مواطن دسائسه على الرسول .

وفى أهل الكهف : « تحوير شائن لمضمون القصة القرآنية التى قامت على إثبات حقائقها الكتب الدينية السابقة والحفريات الأثرية المعاصرة » .

ولقد كان عمل توفيق الحكيم فى الحقيقة قائماً على إحياء التراث اليونانى والوثنى والأساطير (أوديب) وبثها فى أفق الفكر الإسلامى ، وإحياء مفاهيم الحضارة الفرعونية (إزيس) وإحياء تراث اليهودية (الملك سليمان) وإحياء مدرسة اللامعقول وأدب اليهودية يونسكو وبكيت (يا طالع الشجرة) والماركسية الاشتراكية . وكان له إلى ذلك كله هدف مبيت دفين هو إفساد التراث الإسلامى وتغيير مضامينه بما كتب معارضاً لما جاء فى القرآن سواء فى أهل الكهف أو الملك سليمان ، وهو يعيش تحت سيطرة مفاهيم الفلسفة المادية ومذهب مدرسة العلوم الاجتماعية والمفاهيم الماركسية التى تقول بالصراع بين العقل والعاطفة ، وبين المثالية والمادية ، وبين العاطفة والواقعية . ويرى أن هذا الصراع هو جوهر الفن . والحقيقة أن توفيق الحكيم قد غفل عن مصدر ثر لفهم البشرية فهماً صحيحاً وهو القرآن : ومفهوم التوحيد الخالص الجامع الذى يحول بين البشرية وبين التمزق أو الصراع أو انقسام وحدة النفس المؤمنة الربانية الاتجاه . وقد عمل على ترجمة كل الاتجاهات والمدارس والمذاهب الغربية بخيرها وشرها وما يحسن تقديمه للفكر الإسلامى ومالا يجوز تقديمه ، فكانت كتاباته حصيلة مختلطة وركاماً مضطرباً ، وقد أفسد أمانة القلم ومسئولية الكلمة حين عجز أن يقدم لأمته خير مافى هذا الفكر من مثل أو أن يدل الناس على حقيقة هذه التيارات وخلفياتها لتكون على بينة مما فى هذه الكتابات من سموم وأهواء .

بل لقد دافع توفيق الحكيم عن تدريس الكتب الإلحادية فى الجامعة وقال :

(لماذا كل هذا الفزع كلما وقع بصرنا فى كتاب على عبارة تمس الإسلام) تحت مظلة حرية الفكر الباطلة ، وهو يعلم أن هذا الشباب ليس له من حصيلة إسلامية كبيرة تحميه من الشكوك التى تثيرها هذه الكتب .

ويحمل توفيق الحكيم مجموعة من المفاهيم الفلسفية المضطربة تجعله غير

قادر على الوصول إلى مفهوم الأصالة الإسلامية . فهو يقيم مفاهيم فى النفس والمجتمع على الأساطير التى لا تمثل واقع الحياة فى شىء كقصة أوديب الذى تزوج أمه . وهو يعتنق مفهوم هيجل فى القول بأن التناقض قانون الحياة.

كما أنه يروج لمفهوم حرية الفنان المطلقة الذى لا يتقيد بقيم الأخلاق أو الدين ، كما أنه يقيد نفسه بمفهوم الصراع اليونانى بين الإنسان والقدر وبين إرادة الإنسان وإرادة الله ، ويرى رأيهم فى أن القوة الخارجية تتحدى الإنسان وتبطش به . ويرى أن الإنسان سجين فى إطار معين من الزمان والمكان وأن إرادته ترتطم أحياناً بكل هذه العوامل ، وهو بذلك يجهل مفهوم الإسلام فى إرادة الإنسان المحدودة ، داخل إرادة الله تبارك وتعالى ، والتى هى مناط المسئولية والجزاء الأخروى. وهو فى كل آرائه متأثر بالفلسفة المادية والفلسفة الوجودية ومدرسة العلوم الاجتماعية والماركسية على شذرات وشظايا من هنا وهناك متجمعة ومضطربة لا تصل به إلا إلى مفهوم غامض مضطرب .

ولعل أخطر مواقف توفيق الحكيم هو هجومه ضد عروبة مصر ونفيه لانتمائها الإسلامى ووجهها العربى . وقد اتهم بأن فكرة حمار الحكيم مأخوذة من فكرة الأديب الأسبانى (خمينز) وقد كانت لتوفيق الحكيم صلاته بالصهيونية العالمية . وفى عام ١٩٤٣ ترجم له أبا إيبان يوميات نائب فى الأرياف إلى اللغة الإنجليزية وفى عام ١٩٤٧ انتقل توفيق الحكيم إلى تل أبيب والتقى هناك بالفنانين المسئولين عن المسرح ودار الحوار حول مسرحية (سليمان الحكيم) التى استوحى وقائعها من التوراة وعرضوا عليه ترجمة المسرحية إلى العبرية .

ويدعو توفيق الحكيم إلى التعاون الثقافى بين الفكر العربى واليهودى ، وإنشاء جمعية عربية إسرائيلية مقرها العاصمة الفرنسية للعمل من أجل السلام . وهكذا تعطى كتابات توفيق الحكيم صورة التخبط والاضطراب وضعف الرؤية العامة ، ولو اقتصر توفيق الحكيم على أن يكون من رجال المسرح ومترجمى التراث اليونانى والغربى لكان ذلك خيراً له ، ولكنه حاول أن يكون عن طريق الصحافة من رجال الفكر والرأى فكانت أمانته للتغريب والغزو الثقافى والشعوبية واضحة جلية .

(٢)

كذلك فقد سود لويس عوض صفحات كثيرة من الأهرام خلال الفترة بين عام ١٩٥٦ — ١٩٧٠ قدم فيها كل ما يحمل من سموم كاشفاً عن هويته فى كراهية التاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى داعياً إلى فكر إقليمى مصرى يحاول عن طريقه إحياء صفحات ميتة من تاريخ الوثنية اليونانية القديمة ، وهو فى كل المؤتمرات التى تجمع المستشرقين والشعوبيين التى عقدت هنا وهناك كان ينفث هذه السموم الحاقدة المليئة بالاحتقار للهوية المصرية العربية الإسلامية ، وهو وتوفيق الحكيم من دعاة العنصرية واستعلاء الجنس ، وإضفاء طابع من القداسة الكاذبة على المصرية والفرعونية مستمداً من أوهام يسمونها تاريخ خمسة آلاف سنة ، أو النيل أو الأهرام أو آثار الأقصر وغيرها من الوثنيات الضالة .

وهو على هذا الطريق يحاول أن يصم كل الأعلام الباحثين المسلمين بأنهم كانوا تلاميذ للفكر الغربى أو الرومانى ، كما فعل بالنسبة لابن خلدون أو رفاعة الطهطاوى ، وتتركز اهتماماته حول المسرح والأساطير الوثنية اليونانية.

ودعواه العريضة المضللة هى أن التيار الغربى الوافد مع الثورة الفرنسية هو التيار الرئيسى الأصيل وأن التيار الإسلامى الأصيل هو التيار الفرعى ، وليس يصدق هذا أو يعتقد أنه صحيح حتى أشد المستشرقين تعصباً .

فإن الثورة على الحملة الفرنسية ، والثورة العرابية ، وثورة ١٩١٩ كلها نتاج إسلامى أصيل صدر عن إيمان بأن الدفاع عن الأرض والعرض هو جزء من الجهاد فى سبيل الله ، وقد صدرت هذه المقاومة جميعها عن الأزهر الشريف .

أما التيار الذى يربط لويس نفسه به فهو التيار الذى صنعه كرومر والنفوذ الأجنبي فى سبيل إنشاء أجيال لها ولاء غربى ، وهو التيار الذى برز فيه لطفى السيد وطه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وحسين فوزى وتوفيق الحكيم . والذى ظهرت من خلاله دعوى الليبرالية والماركسية والوجودية والاشتراكية والعلمانية وكل الدعوات المضللة التى حاولت أن تحطم وحدة الفكر الإسلامى ، وأن تنال من اللغة العربية وأن تقف فى وجه تطبيق الشريعة الإسلامية ، وكان من ثمارها النكبة والهزيمة والنكسة على مدى تاريخ المسلمين والعرب منذ وعد بلفور إلى اليوم ، ذلك أن المسلمين والعرب لم يعرفوا الفاشية والنازية والدكتاتورية إلا عن طريق هذه المدرسة التى يعتز بها لويس عوض وينسب نفسه إليها والذى لم يكن فيها إلا تابعاً ضئيلا .

وليس صحيحاً ما ادعاه لويس عوض فى كلمته المسمومة أمام مؤتمر التاريخ المصرى الحديث فى جامعة لندن (أكتوبر ١٩٦٦) من أن التيار الإسلامى هو تيار ثيوقراطى فإن هذه الثيوقراطية لم يعرفها الفكر الإسلامى ولا التاريخ الإسلامى على مختلف مراحله وأنه لم يقم فى تاريخ الإسلام حكومة ثيوقراطية ولو لمدة يوم واحد ، وإنما هذه كلمات يلتقطها هؤلاء من الفكر الغربى وتاريخ المسيحية والكنيسة فى أوربا ويلصقونها زوراً وبهتاناً بالإسلام.

ولقد كانت للويس عوض دعاوى كثيرة باطلة تحدث فيها عن حركة عبد الناصر ووصفها بالبطولة والعبقرية . ثم عاد فغير رأيه بعد عبد الناصر كما فعل صديقه توفيق الحكيم وكتب عن الرجل ذو الوجوه السبعة .

ولقد كان لويس عوض بوقاً لكل الدعوات المضادة للأصالة الإسلامية والعربية فهو اشتراكى وديمقراطى ووجودى وعلمانى ومن دعاة الإلحاد والإباحية ومن باعثى الأساطير اليونانية وهو من دعاة كسر عامود الشعر وهدم اللغة العربية الفصحى وإعلاء العاميات والحروف اللاتينية . وهدفه واضح فى كل هذا وهو حرب اليقظة الإسلامية ومعارضتها .

وللويس عوض صفحات من الأدب المكشوف روج بها للدعوة الزائفة : التى تقودها بعض جماعات الهيبز والوجوديين فى الغرب وما يسمى

الثورة الجنسية ، يتحدث فيها عن فكرة الشذوذ الجنسى وكونها أحد حقوق الإنسان المعترف بها ، وهذه الجماعة التى اتصل بها فى جامعة كاليفورنيا (لوس أنجليس) لإشاعة الوعى الشذوذى بين المواطنين والتى أطلقت على نفسها اتحاد الطلبة الشواذ أو المرحين بعد أن غدت كلمة (جاى goy) أى مرح تعنى فى أمريكا الشواذ جنسياً وتعمل هذه الجماعة على نشر الإباحية .

ويتحدث لويس عوض بإعجاب عما يسميه تراث الشذوذ من سافو إلى ليونارد دافنشى ، ويقول إنه قديم قدم المدنية نفسها ويتحدث عن دعوة هؤلاء الضالين فى العمل على كسر عقدة الخجل كلما ذكر الشذوذ الجنسى ، وأشار كذلك إلى ما أسماه الزواج الرسمى بين الرجال والرجال والنساء والنساء .

ولا يمكن أن يكتب كاتب بالعربية هذه الصفحات المستفيضة عن ذلك الإثم إلا إذا كان صاحب هدف معين وغرض مبيت مدفون ، وإلا فلماذا يروج لمثل هذه الدعاوى المسمومة ولماذا تسمح الصحف العربية بنشر هذه الأقذار .

ويستطرد لويس عوض إلى الحديث عن أفلام الدعارة وصحافة الدعارة فى المجتمع الأمريكى وإلى الدعوى الجديدة (ستريكرز) وهى العرايا من الرجال والنساء الذين يظهرون فجأة فى الشوارع والميادين ويعلل هذا بأنه مرض نفسى .

ويرى أن الإباحية هى العلاج لأنها سوف تجعل الأمور عادية بعد قليل .

وهذه هى تفسيرات دعاة التلمودية والصهيونية والمادية وقد غرق فيها لويس عوض إلى الآذان كراهية وحقداً للوجه المشرق للعرب والمسلمين فى هذه المرحلة من حياتهم .

ونحن نعرف أن الثورة الجنسية فى أوربا هى رد فعل الرهبانية المسيحية القديمة وأنها نهاية الشوط المقابل للأخلاق التى عرفتها أوربا إبان تحريم ما أحل الله من طيبات الحياة الدنيا والمرأة ، وهى قضية بعيدة كل البعد عن مجتمعنا الإسلامى الذى لم يعرف إلا نظاماً كاملا جامعاً يعطى للإنسان حقه

فى تحقيق رغباته ولا يسوقه إلى رهبانية أو حرمان ، ولذلك فإنه لا يذهب به أبداً إلى هذا الانطلاق المجنون فى الشهوات التى تعرفه أوربا ويعرفه الغرب اليوم ، ولو كان لويس عوض ناصحاً أميناً حفيظاً على أمانة القلم والكلمة لقال لقومه كل هذا ولحرص على ألا يغرقهم فى هذه الأمواج المتلاطمة من السموم .

ولقد عرض لويس عوض فى حديثه عن العقاد إلى دعاة الإسلام الأبرار فأثار حولهم الغبار واتهمهم ، واتخذ من حديث العقاد عنهم تكأة وستراً يستتر به خصومته وأحقاده وكل ما قال به أو نسبه إلى العقاد من اتهامات فقد ثبت بطلانها بحكم القضاء . ولم تكن كتابات العقاد ـ خلافاً لما ذكر ـ إلا فهماً جزئياً للإسلام ولا تصلح لأن تكون بديلا عن المفهوم الجامع الصحيح ، ولقد عدد الباحثون أخطاءها واضطراب منهجها وخاصة ما يتعلق بما كتب عن الديمقراطية فى الإسلام ، فالإسلام فوق الديمقراطية والاشتراكية وهو مخالف لها جميعاً ولكل مذهب حديث .

ولقد تبين أن لويس عوض يتصيد الأحداث ليرضى بها هواه وموقفه من الراهب (أبا نوفز) وجمهورية همام كلاهما لا يثبت أمام التاريخ الصحيح لأنه أقامه على خيوط وهمية ليس لها رصيد أكيد من الوثائق المعروفة .

وفى الختام نحن نتساءل :

هل استطاعت الصحافة العربية أن تقدم للشباب زاداً روحياً وعقلياً رفيعاً يرده إلى الأصالة ويضعه على الطريق . لقد كانت صفحة الشباب فى الصحافة العربية تافهة تهدف إلى تمييع القيم .

هل استطاعت الصحافة العربية أن تضع المرأة فى مكانها الطبيعى وتدلها على خير نفسها وعلى رسالتها الطبيعية .

لقد أسرفت الصحافة العربية فى النقل عن المنحرفات أو المغاليات فى الغرب أمثال سيمون دى بوفوار وفرانسو ساجان أو عن أصحاب المذاهب الهدامة : أمثال سارتر والبيرتو مورافيا وكافكا وكامى مع أن فى الغرب

كاتبات وكتاباً آخرين يعرفون سر أزمة الإنسان المعاصر وأزمة الحضارة الغربية ، ولكن صحافتنا الباحثة عن الإثارة تركت الأصالة وبحثت عن الانحراف .

لقد أسرفت الصحافة العربية فى نقل آراء الكاشحين والكارهين للغة العربية والإسلام والقرآن والحضارة الإسلامية ، مع أن فى الغرب كثيراً من المنصفين الذين يقدرون عظمة العطاء الإسلامى فى مجال الفقه والعلم التجريبى والبحوث الاجتماعية ، ولكن صحافتنا تجاهلت هؤلاء وبحثت عن الكارهين والمتعصبين .

لقد كان أخطر ما قدمته الصحافة العربية هو ذلك المفهوم المسموم للفن الذى تهدف به إلى إطلاق الغرائز وفك قيادها واستثارة الشهوات . وقدمت مفاهيم جديدة جعلت منها ممثلات السينما وراقصات الليل وبنات الهوى وفتيات الكباريهات بطلات مكافحات .

كما قدمت أفلام الجنس ومسلسلات الرعب التى تمجد الخيانة الزوجية وتبنت كل فاسد من الأفلام والمسرحيات المليئة بالمشاهد الفاضحة والمراودات الفاجرة ، وخلقت مظاهر الصراع والعداء والبغضاء بين الآباء والأبناء وشجعت صالات الرقص وهز البطون .

وقد كان نتيجة كل هذا ما حاق بالوطن العربى من هزيمة ونكبة ونكسة خلال هذه السنوات الثلاثين ، وكان أخطرها نكسة ١٩٦٧ التى ما تزال آثارها مستمرة حتى الآن بالرغم من كل محاولات التخلص منها .

ولا ريب أن التاريخ يدمغ الصحافة العربية لهذه التبعة الثقيلة والمسئولية الخطيرة .

* * *

آفاق البحث

صفحة

رقم الإيداع ٤٢٤٦ / ١٩٨٠

الترقيم الدولى ٨-٣٣-٧٣٢٨- ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ نشاطى ـ شبرا مصر